



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله-

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

مقاومة المور للإحتلال الوندالي

(429-533 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث نظام (ل.م.د)

تخصص تاريخ الحضارات القديمة

إشراف الأستاذة

إعداد الطالبة

د/ بنت النبي مقدم

نبيلة حمودي

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الدرجة العلمية	الإسم واللقب
رئيسا	الجزائر جامعة 2 - أبو القاسم سعد الله-	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ محمد الحبيب بشاري
مشرفا ومقررا	الجزائر جامعة 2 - أبو القاسم سعد الله-	أستاذة محاضرة-أ-	د/ بنت النبي مقدم
عضوا مناقشا	الجزائر جامعة 2 - أبو القاسم سعد الله-	أستاذة محاضرة-أ-	د/ ليلي بومريش
عضوا مناقشا	الجزائر جامعة 2 - أبو القاسم سعد الله-	أستاذة محاضرة-أ-	د/ نورة مواس
عضوا مناقشا	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ رضا بن علال
عضوا مناقشا	جامعة خميس مليانة	أستاذة محاضرة-أ-	د/ جميلة خالفي

السنة الجامعية: 1440-1441 هـ / 2019-2020م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

بداية الحمد لله رب العالمين، الذي أحصى كل شيء عدداً، وجعل لكل شيء أمداً، ولولاه لما وفقنا في إنجاز هذا العمل، فله الشكر والحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر إلى عائلتي التي علمتني العمل من أجل النجاح، والصبر والمثابرة للحصول على المبتغى؛ إلى الأستاذة المشرفة بنت النبي مقدم التي ساعدتني ولم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة.

خالص شكري وامتناني أيضاً لأعضاء لجنة المناقشة على صبرهم أثناء القراءة وجهودهم المبذولة لتقييم وإثراء عملي هذا بنصائحهم وملاحظاتهم العلمية في مختلف الجوانب.

دون أن أنسى تقديم جزيل الشكر والعرفان إلى الأخت والصديقة فروجة بوعرابة التي ساندتني وحاولت دعمي دوماً، والزميلة مريم عبد السلامين، وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة.

شكراً.

قائمة المختصرات:

A.A.A	Atlas Archeologique de l'Algérie
Ant. Afr	Antiquité Africaines.
Ant.Clas	Antiquité Classique
B.S.G.O	Bulletin de la Société de Géographie et d'archéologie d'Oran.
B.S.N.A.F	Bulletin de Société nationale des Antiquaires de France.
C. T	Cahier de Tunisie
C.I.L	Corpus Inscriptionum Latinarum.
C.R.A.I	Comptes rendus de l'Académie des inscriptions et belles Lettres.
Cod. Theo	Codex Theodosianus
E.B	Encyclopédie berbère.
H.A.A.N	Histoire ancienne de l'Afrique du nord.
J.S	Journal des Savants
M.E.F.R	Melanges de l'école Française de Rome Antiquité.
M.A.I.	Mémoires de l'Académie des inscriptions et belles-Lettres.
Pallas	Revue d'Etudes antique
R. Afr	Revue Africaine.
R. H	Revue d'Histoire.
R. Tun	Revue Tunisienne.
R.E.A	Revue des Etudes Anciennes
VL	Vita Latina.
M.G.H.a.a.	Monumenta Germaniae Historica auctores antiquissimi

مقدمة

كانت بلاد المغرب القديم محل أطماع الدول المجاورة لحوض البحر الأبيض المتوسط، نظراً لأهميتها الإستراتيجية واحتوائها على خيرات عديدة حظيت بمدح المؤرخين والجغرافيين أمثال بليينوس وسترابون وغيرهما كثير، ولما احتلت روما هذه المنطقة جعلت منها فضاءاً للحضارة الرومانية ومورداً أساسياً دافعاً لاقتصادها، وقد سعت للمحافظة على هذه المقاطعة رغم أنها شهدت منذ أواخر القرن الثالث وبداية الرابع الميلادي تعاقب الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وحتى الدينية، وقيام حروب في مختلف مقاطعاتها وبروز كيانات سياسية جديدة تريد الانفصال عن هيمنتها.

ويلاحظ أن أغلب الدراسات التاريخية ركزت جل اهتمامها على الفترة الرومانية ببلاد المغرب القديم بصفاتها حاملة للحضارة وعلى الفترة المتأخرة وإعتناق المسيحية وسقوط الامبراطورية الرومانية الغربية سنة 476 م على يد القبائل الجرمانية، كما لم تنس العهد البيزنطي بالمنطقة بصفته تم خلاله إسترجاع الإرث الروماني؛ وأهمل العهد الوندالي من طرف الغالبية العظمى أما الأقلية التي تطرقت له فصورت الوندال همجيين مخربين ولا يقلون في صفاتهم عن السكان الأصليين خاصة القبائل منهم.

ومهما يكن فحتى هذه الدراسات التي تعرضت لذكر الحقبة الوندالية نجدها تقلل من شأن سكان المنطقة، ولا تصورهم إلا بصورة المنصاع، المنقاد الراضخ للاحتلال وإن قاوم تعتبره متمرّد ولا أهمية لرد فعله، ولذلك لم يسلطوا عليها الضوء إلا من خلال اضطرابهم لذكرها أثناء الحديث عن الجانب العسكري، واعتبارها عصياناً من طرف بعض المشاغبيين اضطرت الطرف المحتل للتصدي له؛ بيد أن الحقيقة غير ذلك إذ أنها رد فعل لسياسات محتلة مرفوضة من قبل المور ومقاومة مستميتة ومستمرة طول فترة الاحتلال.

كما ركزت الدراسات التاريخية أيضاً التي تناولت الوندال ببلاد المغرب القديم على العوامل التي دفعت بالوندال إلى الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط، وعلى أصول وفروع الأقاليم الجرمانية، لكن القليل من الباحثين من حاول التعرف على التأثيرات الحضارية التي حملها الوندال إلى المنطقة، إلا أن تركيزهم كان على الجانب الديني وعلى مراحل الاضطهاد الوندالي للكاثوليك.

ولهذا ورغبة مني في معرفة التاريخ السياسي والعسكري لبلاد المغرب القديم، وبالأخص للقبائل المورية وردها على المحتلين بصفة عامة وعلى الوندال بصفة خاصة، فضلت تناول الفترة الوندالية بالدراسة لأواصل مسار التعرف على أوضاع المغرب في الفترة اللاحقة لتلك التي تناولتها خلال انجازي لمذكرة الماستر، والتي حاولت فيها إلقاء الضوء على الحركة الدونانية ودورها في مقاومة الرومان؛ وعليه سيتوجب علي محاولة التعرف على الكيانات السياسية المورية التي كان لها تأثير على مسار الأحداث والتغيرات التاريخية التي عرفتھا المنطقة خلال الفترة اللاحقة .

ولذلك إخترت دراستي حول "المقاومة المورية للإحتلال الوندالي"، ليكون موضوع اطروحتي للدكتوراه، وبالتالي وكما يبدو من العنوان فكرونولوجياً موضوع البحث يمتد منذ دخول الوندال لبلاد المغرب سنة 429 م إلى غاية القضاء على الحكم الوندالي ببلاد المغرب ونهاية عهدهم بها مع بداية الزحف البيزنطي في نهاية صيف 533 م.

وعلى هذا الأساس تمحورت إشكالية الموضوع حول مدى التفاعل الذي عرفته منطقة بلاد المغرب القديم في ظل الإحتلال الوندالي ورد الفعل الموري إتجاه هذا الإحتلال، والتي تفرعت عنها مجموعة من الأسئلة والاستفسارات التي ستساعدنا في الإلمام بحيثيات الموضوع والتطرق لأهم جوانبه، ومعرفة خباياه ومنها:

- كيف كانت التركيبة البشرية ببلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس الميلادي؟ وما هي أهم الإمارات المورية التي تشكلت في نهاية الحكم الروماني؟
- ما هي الأسباب التي دفعت الوندال لاحتلالهم لبلاد المغرب القديم؟
- ثم فيما تمثلت أهم التغيرات التي شهدتها بلاد المغرب القديم مع مجيء الوندال؟ وهل حقا يعد هذا العهد فترة ركود وجمود مقارنة مع بقية العهود التي عرفتھا المنطقة؟
- هل قاوم المور الوندال؟
- ما مدى نجاح المقاومة المورية؟

ولإنجاز هذا الأطروحة والوصول للأهداف المتوخاة منها لابد من الاستعانة بالمنهج التاريخي التحليلي والوصفي، للتمكن من تحليل الأسباب الهادفة لتحليل الإشكالية المطروحة، بناء على معطيات تاريخية، حيث عملت على ذكر الحوادث والتفصيل فيها مع الوصف، وأيضاً اعتماد المنهج الاستقرائي والمقارن أثناء التعامل مع النصوص الأدبية والنقوش لاستقراء المقصود منها والمقارنة بينها أحياناً للخروج بالصحيح منها أو على الأقل الطرح المقبول والذي يمكن تصديقه نسبياً.

وللإجابة عن إشكالية الدراسة قسمت خطة العمل إلى فصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة، حيث سأخصص الفصل التمهيدي لتناول مظاهر سقوط الإمبراطورية الرومانية في المنطقة، وأبرزت فيه التدهور الاقتصادي والمالي، والذي كان بدايته التدهور الزراعي نتيجة لسوء تسيير الملاك الكبار، وكذلك سياسة نهب المزارع خاصة خلال القرن الثالث ميلادي، إلى جانب رفع رواتب الجند، مما أدى إلى إجبار الأباطرة لإنقاص قيمة العملة المتداولة، والانشقاق الديني وما أحدثه من اضطرابات دينية واجتماعية خلال القرن الرابع والتي

ساهمت في إضعاف سلطة روما ببلاد المغرب القديم، والحراك الثوري للعديد من القبائل بما فيها تلك التي كانت مؤيدة ومتحالفة مع السلطات الرومانية.

أما في **الفصل الأول** فتطرقت لبروز الكيانات السياسية الموريتية، وتلك الإمارات التي تعتبر المحور الرئيسي الذي تدور حوله معظم أحداث القرن الخامس الميلادي بهذه المنطقة، حيث برزت قوى جديدة بمثابة إمارت مستقلة، أرادت كل منها إبراز كياناتها السياسي والتحكم بمجالها الجغرافي والسيطرة على بعض القبائل الموالية لها لتبرهن عن قوتها وتوسع لجعله البديل الأمثل للكيانات الأجنبية.

في حين ركزت في **الفصل الثاني** على الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب، انطلاقا من التعريف بالوندال وإبراز أهم العوامل والظروف التي ساعدتهم على الوصول للمنطقة، والمسار الذي تبعه هؤلاء للوصول إلى المنطقة، وكذلك أهم مراحل هذا الاحتلال للسيطرة على معظم أجزاء بلاد المغرب القديم.

كما تعرضت في **الفصل الثالث** لمدى تفاعل المور والوندال بعد احتلالهم لبلاد المغرب القديم، ويظهر من خلاله أنه على الرغم من افتقار الوندال لعامل الاستقرار الذي يعتبر من الشروط الأساسية لبناء أي حضارة من الحضارات الإنسانية فقد أسسوا حضارة تلائم طبيعة عيشهم المعتمدة على الترحال، وتتمثل في المعتقدات الدينية واللغة وكذلك العادات والتقاليد، كما سنتعرض للمدى التأثير والتأثر بين سكان بلاد المغرب والوندال، خاصة وأن الوندال حاولوا فرض بعض مقوماتهم الحضارية على المجتمع الموري في الجانب الديني، اللغة والعادات.

وحاولت في **الفصل الرابع** التعرض لموقف المور من الاحتلال الوندالي الذي تجسّد في الثورات، سواء تلك التي تزعمتها بعض الإمارات الموريتية أو التي قادتها مجموعة من القبائل

المتفرقة؛ مع التركيز على مراحل العلاقة بين الطرفين، وبداية المقاومة المورية للاحتلال الوندالي، ولنتائج المقاومة المحلية ونهاية الاحتلال الوندالي ببلاد المغرب، مع محاولة التطرق والتعرف على نقط الضعف والقوة للمور أثناء تحديهم وتصديهم للوندال.

وختمت الموضوع بخاتمة، تشمل وتحتوي النتائج، التي خرجت بها من هذه الدراسة بعد الوصول للأهداف المرجوة إن شاء الله.

لتحليل هذه الدراسة تحليلاً موضوعياً علمياً وإنجازها سأعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع والمقالات، من بين المصادر نذكر بروكوبيوس "Procopius Caesarensis"، المؤرخ الإغريقي الذي شارك في عدة حروب، منها مشاركته القائد البيزنطي بليزاريوس في حملته على إفريقيا سنة 533م، ويبدو أنّ كتابه الحروب الذي كان في ثمانية أجزاء قد ألفه بطلب من الإمبراطور بصفته الكاتب الرسمي لهذا القائد، وقد تطرق في إحدى الأجزاء إلى الحروب الوندالية "Bellum Vandalorum" التي تطرق فيها لتاريخ هذا الشعب، وتنتقله لبلاد المغرب القديم، وإلى خلفاء الملك جنسريك الذين اتهمهم بخراب المنطقة واضطهاد سكانها، كما تناول مراحل الاحتلال البيزنطي وأهم الحملات التي نظمت ضد الوندال والمور، وبين الإمارات المورية على أنها مجموعات بشرية تتقبل الهيمنة الرومانية، إلا أنّ هدف بروكوبيوس كان تمجيد إنجازات جوستينيانوس التي حققها في كل أنحاء الإمبراطورية.

ومن المصادر أيضاً كوريبوس "Corippus"، الذي كان شاعراً، فهو صاحب ملحمة الحرب الليبية كما يسميها البعض "De bellis Libycis" والمعروفة بقصيدة جوهانيس "Johannis" نسبة للقائد البيزنطي جوهانس تروقليتا "Johannes Troglita" الذي انتصر على المور في 546م؛ التقى به كوريبوس، ونشأت بينهما صداقة منفعة، استفاد فيها الأول من الشهرة بهذه الملحمة والثاني من الدعم المادي والمعنوي بإشادته ودعمه للقائد وللسلطة البيزنطية ككل في بلاد المغرب القديم، والمكونة من 4700 بيت شعري؛ يعتبر نموذجاً لمواقف الأفارقة المواليين

مقدمة

للإدارة البيزنطية، وقد نظم قصيدة طويلة مدح فيها القائد البيزنطي جوهانس تروقليتا الذي يمجده بوصفه من أرجع الهدوء والطمأنينة للمغرب القديم من أجل إبراز مكانته، كما استعرض الانتصارات التي حققها الإمبراطور جوستينيانوس، وتطرق كذلك إلى أغلب القبائل والإمارت المورية التي دخلت في صراع أو تحالف مع الإدارة البيزنطية، والتي تمكنا من معرفة عادات والطقوس الدينية لهذه قبائل، إلا أنه عرف عن كوريبوس الحقد والكراهية للمور واتهمهم بأنهم سبب ما حل ببلاد المغرب القديم وأنهم أكثر خطورة من الوندال كما وصفهم بمختلف النعوت السيئة والهمجية، ومن المؤكد أنه انحاز للسلطة البيزنطية وكان في أشعاره يتباهى بالحضارة البيزنطية.

كما استعنا بمؤلف فيكتور دي فيتا "Victor de Vita" عن الإضطهادات الوندالية بإفريقيا "Historia persecutionis Africanae provinciae" الذي ألقى من خلاله الضوء على الظروف الاجتماعية والدينية في قرطاج وعلى الليتورجية "Leitourgía" الأفريقية في تلك الفترة وكل ما يتعلق بالشعائر الدينية، حيث نجده تناول في كتابه الأول فترة طويلة من عهد الملك جنسريك منذ وصوله للمنطقة سنة 429م إلى غاية وفاته سنة 477م من خلال تقارير مختلفة كانت تصله، وفي الكتاب الثاني والثالث عهد الملك هونريك وينتهي مع وفاة هذا الأخير سنة 484م، وفيهما يعتبر هو شاهد عيان لما يرويه من أحداث تاريخية عايشها في عهد هونريك؛ وقد استفدنا من النقد والتعليقات التي تطرق إليها سارج لونسيل "Lancel(S)" في هوامش هذا المصدر.

وبالإضافة إلى هذه المصادر الأدبية، سأعتمد أيضاً على مصادر أثرية حول الممالك المورية خاصة، كالنقوش مثل نقيشة ألتافا "Altava" التي ترجع إلى سنة 508م، للملك ماصونا "Masuna"، وكذلك نقيشة ماستياس "Masties"؛ إلى جانب ألواح ألبرتيني التي دوّنت

على قطع خشبية تضمنت حوالي 34 وثيقة، بينها 13 عقداً كاملة، اغلبها عقود بيع مختلفة باستثناء وثيقة واحدة خاصة بجرّد مهر عروس.

ولا بد لنا من الاستعانة بالدراسات الحديثة، نذكر منها كتاب كورتوا "Courtois(Ch)" عن الوندال وإفريقيا، إلى جانب موديران "Modéran(Y)" في كتابه "المور وإفريقيا الرومانية خلال القرنين الرابع والسابع الميلادي" الذي أفادنا في التركيبة البشرية لبلاد المغرب القديم، وفي هذا أيضاً نجد فهرس ديزانج "Desanges(J)" الذي عرّفنا بمختلف القبائل المورية التي صنّفها حسب إطارها الجغرافي، وكذلك شميدت "Schmidt(L)" في "تاريخ الوندال" حيث أنه تطرق إلى أصول الوندال ومختلف هجراتهم وتأسيسهم للمملكة الوندالية ببلاد المغرب القديم إلى غاية نهاية هذه المملكة إثر الحملة البيزنطية على المنطقة، وحول شخصية جنسريك وأهم أعماله وكذا أعمال خلفائه، سنعمد فوردان "Gourdin(H)"، دون أن ننسى دراسة فايز نجيب حول الإقتصاد في الشمال الإفريقي في العهد الوندالي، وبعض الرسائل الجامعية التي تصب في صلب الموضوع بشكل مباشر من أهمها دراسة فاطمة المنقاشي والعود محمد الصالح.

ومن بين المقالات التي سنطلع عليها وستساعدنا في إنجاز موضوعنا، "الوندال والوندالية" لبورجوا "Bourgeois(C)"، ومقال كومبس "Camps(G)" عن الملك أنطلاس، وكذلك فيفري "Février (P.A)" الذي تناول ماصونا وماستياس، إلى جانب مقال كاركوبينو "Carcopino (J)" عن ألواح ألبيرتيني، وكذا "الموقف الموري من الزحف الوندالي" لمحمد اللبار منها، وكذلك "شمالي إفريقيا والوندال" لعبد الهادي التازي.

وعموماً تجدر الإشارة إلى قلة المصادر الأدبية والأثرية للحضارة الوندالية ببلاد المغرب القديم، أما ما وجد فقد كتب من طرف أعداء الوندال، خاصة الكاثوليك منهم، مما يفقد كتاباتهم نزاهتها وبالتالي نلاحظ انحيازها للأطراف الموالية لها، وفي المقابل نجد غياب

مقدمة

للكتابات الوندالية والمورية على حد سواء، مما جعلنا نعتد على كتابات البيزنطيين والموالين لهم والتي تطرقت لمراحل الاحتلال الوندالي، مع إهمال دور العنصر المحلي الموري في المنطقة، والذي كان محور أحداث هذه الفترة، ونعتبر هذا من أهم الصعوبات التي اعترضتنا خلال إنجازنا للأطروحة إلى جانب عدم إتقاننا للغة اللاتينية والإغريقية التي تم ترجمتها من طرف مؤرخين لهم خلفيات المدرسة الاستعمارية التي تبقى لمساتها واضحة في معالجة مختلف جوانب تاريخ المغرب القديم.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

أولا-الأوضاع الإقتصادية

1-السياسة الزراعية

2-الوضعية التجارية

3-السياسة الضريبية

ثانيا-الأوضاع الإجتماعية

1-التباين الطبقي وأثره على مجتمع بلاد المغرب القديم

2-علاقة أرياف بلاد المغرب القديم بالدواوين

ثالثا-الأوضاع الدينية

1-إضطهاد المسيحيين

2-الإعتراف بالمسيحية وتأثيرها على الوضع الديني ببلاد المغرب القديم

رابعا-ثورات القرن الرابع الميلادي ودورها في ضرب الإحتلال الروماني

1-ثورة الدواوين

2-ثورة فيرموس

3-حرب جيلدون

أولا-الأوضاع الإقتصادية:

مرت الأوضاع الإقتصادية ببلاد المغرب القديم بمراحل مختلفة، عرف السكان من خلالها تطورا في مختلف جوانبها تنظيما واهتماما من طرف الرومان، سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، غير أنه كان موجه لتلبية حاجيات الرومان في إطار سياستها الإستغلالية التي تبرز خاصة في السياسة الضريبية التي أنهكت الأهالي.

1-السياسة الزراعية:

يتضح مدى اهتمام الرومان بالزراعة ببلاد المغرب القديم من خلال إعتنائهم بعملية الري التي تتجلى خاصة في نظام السقاية بمدينة مروانة الأوراسية (Lamasba)، ذلك أن الإدارة الرومانية سعت لتموين المزارعين بالمياه بشكل متساو وبدقة متناهية¹، كما أن هذه المنطقة كانت مطالبة بتزويد روما مما تحتاج إليه من منتجات متعددة²، مما يوحي أن الحاجات الغذائية الرومانية كانت وراء تكثيف النشاط الزراعي، والذي كان بدوره وراء تنشيط الحركة التجارية³، ولهذا اعتبرت الأرض لدى الإدارة الرومانية من أولى الضروريات المستهدفة⁴.

ومن أهم المناطق التي سخرتها روما لدعم مصالحها الغذائية منطقة السهول العليا الشرقية لنوميديا مثل سهول سطيف (Sitifis)، قالمة (Calama)، سوق أهراس (Thagoste) وقسنطينة (Cirta) التي تكونت بها مستعمرات بمختلف أصنافها مثل مستعمرات قداماء المحاربين، بالإضافة إلى تأسيس أفراد الطبقة النبيلة والإمبراطور للضيعات الواسعة وهو ما

¹ محمد البشير شنييتي، « الدونانية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن الرابع ميلادي »، مجلة الأصالة، العدد، 60-61، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1978، ص 26-27.

² شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر، البشير بن سلامة ومحمد مزالي، ط 4، الدار التونسية، 1983، ص 271.

³ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ص 186-187.

⁴ محمد البشير شنييتي، التغيرات الإقتصادية والإجتماعية في بلاد المغرب أثناء الإحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي، الجزائر، 1984، ص 269.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

تؤكد الآثار المادية منها ضيعة ماتيداي (Paccanis Matidia) جنوب شرق جيجل (Igilis)، والتي تبرز على أنها ملكا لحفيدة الإمبراطور تراجان "Trajanus" (96-180م)، ومستعمر سطيف (Sitifis) لقدماء المحاربين التي أسست من طرف الإمبراطور نرفا "Nerva" بين 96 و98م، ومستعمرة بن زادة (Caput Saltus Horreorum) الواقعة على بعد 20 كلم جنوب غرب سطيف على ضفاف وادي بوسلام، وهي الأراضي التي سعت روما لحمايتها من كل الأخطار، ذلك أن الأراضي الزراعية للسهول العليا الشرقية تتميز بأنها مجاورة لمناطق خطيرة حيث نجدها محاطة بمرتفعات جبلية ذات غطاء غابي كثيف تكون وكرا للثوار من الأهالي، وكذلك محاذية للصحراء التي ينطلق منها الرافضون للوجود الروماني لغزو المراكز الإقتصادية الرومانية، بالإضافة إلى البدو الرحل الذين يتسببون في أضرار كبيرة للمزارع المنتشرة على خط ترحالهم في فصل الصيف الذي يتزامن مع نضج الحبوب¹.

عملت الإمبراطورية الرومانية على إعطاء الصبغة الشرعية من طرف مجلس الشيوخ الروماني لاستغلال الأرض بعد القيام بعملية مسحها من طرف مهندسي المساحة "Arpenteurs ou Géomètres"، فتصبح بذلك هذه الأرض المفتوحة ملكية عامة للشعب الروماني "Ager Publius"، ويتم إيداع ملفات إجراءات المسح في مصلحة خاصة بها للاعتماد عليها خلال توزيع الأرض على الطبقة الأرستقراطية وعلى قدماء الجند لإنشاء المستثمرات الكبرى اللاتيفونديا والسالتوس، وكذلك لإعداد الجداول الضريبية، وبالتالي تكونت مستثمرات كبرى في الأراضي المملوكة للأرستقراطية الرومانية، التي توكل أمر تسييرها واستغلالها إلى مسيرين يكونون تحت تصرفهم عدد من الأجراء والعبيد² الذين تم تقسيمهم إلى فرق توضع تحت مراقبة وقيادة عبيد مثلهم يشرف عليهم رئيس العمل³، وقد أصبحوا خلال العهد

¹ محمد الحبيب بشاري، «أجهزة الدفاع الرومانية في السهول العليا الشرقية لنوميديا»، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية تعني بنشر الدراسات والأبحاث في التاريخ والآثار والفنون، أعمال الملتقى الدولي، النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني، الجزء 1، العدد 5، 27/26 نوفمبر 2014، ص 28-29.

² محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 80.

³ Gsell (S), Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine, mélanges Gostave Glots, T1, Paris, 1932, p 406.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الإمبراطوري الثاني في نظر القانون جزء من المزرعة، حيث أقر مرسوم 370م أن بيع الأملاك العقارية لا تتم منفصلة عن عبيدها¹.

كانت السياسة الزراعية الرومانية تعتمد في البداية على زراعة القمح بالدرجة الأولى ببلاد المغرب القديم²، والتي إنتشرت في السهول الكبرى بتونس، والسهول العليا القسنطينية ومناطق من موريطانيا القيصرية، لتتحول هذه الجهود خلال القرن الثاني ميلادي إلى توسيع نطاق زراعة الزيتون والكروم³، وما يفسر إرتفاع إنتاج الزيت في معظم أراضي المنطقة إدراج هذه المادة من طرف الإمبراطور سيبتيموس سيفروس "Séptémus Sévérus"^{*} ضمن المواد التي توزع مجاناً على العاطلين عن العمل إضافة إلى الحبوب، إلا أن هذه الزراعة بدأت تتدهور منذ منتصف القرن الثالث ميلادي، رغم المناطق الصالحة للزراعة خاصة سهل مجردة وسهول نوميديا كعنابة (Hippo Regius)، سوسة (Hadrumentum) وكذلك وليلي (Volubilis)⁴، غير أن معظم تلك الملكيات الكبرى كانت محتكرة من طرف كبار الأثرياء⁵ في إطار الملكيات المعروفة بالسيناتورية.

عمدت السياسة السيفيرية إلى التوسع جنوباً وإنشاء خط اللمس^{**} من أجل مواجهة

قبائل

¹ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 249.

² Picard (Ch), la Civilisation de l'Afrique Romaine , éd, Plon 1959, p 74 .

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 204.

^{*} سيبتيموس سيفروس (193-211م): إفريقي المولد، فقد ولد ببلدة بمقاطعة طرابلس في ليبيا سنة 146م، تلقى تعليماً رومانياً وثقافة لاتينية، ودرس الفلسفة بأثينا والقانون بروما، وكان توليه للمناصب الرومانية عن طريق طبقة الفرسان، وعين برابيتورا بإسبانيا، وحاكماً على بلاد الغال، وأيضاً كان حاكماً على بانونيا، كما أنه عضو بارز في مجلس الشيوخ، إلى جانب مركزه العسكري المرموق، أنظر، أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 213-214.

⁴ Cagnat (R), "L'Annone d'Afrique", in, M. A. I, Paris, 1915, p 6.

⁵ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 79.

^{**} يبدو أن التوسع الروماني ببلاد المغرب القديم قد عرف ثلاث خطوط حدودية كبرى تمثل المراحل الثلاث لذلك التوسع في المنطقة، الأول هو الشهير بالخذق الملكي "Fossa Regia" الذي أقامه سيبيون الإيميلي وهو يفصل مقاطعة إفريقيا الرومانية عن المملكة النوميديّة، والثاني هو اللمس الممتد شمال الكتلة الأوراسية في خط ينطلق من تبسة مروراً بخنشلة

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الرحل¹، مما جعل روما تدرك أنها إن لم تتمكن من التحكم والسيطرة على الجهة الجنوبية سوف تتعرض للتهديد من طرف قبائل الجيتول²، لذلك نجد أن خط اللمس عند نهاية الحكم السيفيري سنة 235م قد امتد جنوبا بشكل محسوس حيث المراكز الرومانية بإقليم طرابلس إلى سهل جفارة (Djaffara) الذي يفصل الصحراء عن البحر، كما أقيمت خطوط في شكل حاميات دائمة في غدامس³.

2- الوضعية التجارية:

كان لأزمة القرن الثالث ميلادي التي تعرضت لها الإمبراطورية الرومانية وما صاحبها من التدهور الإقتصادي أن انعكس ذلك على المصادر المالية، مما أحدث خلا في

(Mascula) وتازولت (Lambaesis) إلى زاري في نوميديا ومنها إلى ثاملولة (Thamellula) وتاتليت (Tatilti) وما ورائها في موريطانيا، والثالث هو اللمس الجنوبي الذي وصل في البروقنصلة ونوميديا إلى الشطوط الكبرى من الجريد إلى ملغيغ مرورا إلى مجرى واد جدي، ويعتبر خط اللمس جهاز دفاعي جد معقد، يتركب من خندق، تتخلله أسوار وأبراج ومراكز محصنة لتسهيل عملية المراقبة والتبادل التجاري، فقد أقامت روما في المنطقة لساحلية خطا دفاعيا لتأمين شحن المنتوجات الزراعية النوميديية نحو ميناء أوستا، ودعمته بخط دفاعي ثاني بهدف حماية الأراضي الداخلية وهو يمتد من زرايا (Zarai) إلى سور الغزلان (Auzia) مرورا بسطيف (Sitifis) وسهل مجانة، إلا أن كل هذه الأجهزة الدفاعية الرومانية لم تضع حدا لخطر الأهالي مما أدى إلى تدعيمها لوحدها العسكرية النظامية بعدد إضافي من المدافعين عن الحدود، وتمثل ذلك في المزارعين الجنود وهم فلاحون إستفادوا من قطع أرضية لاستغلالها مقابل دعم الجيش النظامي في الدفاع عن حدود الإمبراطورية عند الضرورة خاصة وأن أقدمهم من قدماء الجنود، أنظر،

- محمد العربي عقون، «اللمس النوميدي، نظرة موجزة في الخطوط والمراكز الأمامية للتوسع الروماني في الجنوب النوميدي»، أبحاث و دراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2016، ص 187.

- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص 29، 41.

¹ Mesnage (J), Romanisation de l'Afrique, éd, Beauchesne (G), Paris, 1913, p 75.

² Decret (F) ; Fantar (M), L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, des origines au V Siècle, éd, Payout, Paris, 1981, p 175.

³ Lepelley (C), « La Crise de l'Afrique Romaine au début du V siècle, d'après les lettres nouvellement découverte de Saint Augustin », in C.R.A.I, 1981, p 453.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الإقتصاد جعل الأباطرة من الصعب الحصول على الأموال اللازمة، خاصة مع إزدياد النفقات العسكرية¹ بموازاة حدوث تناقص الواردات المالية ومدخولات الأباطرة.

وفي عهد الإمبراطور كركلا "Caracalla" (211-218)* فقد أستبدل الديناريوس "Denarius" بالأنطونيني "Antoninianus"؛ فكانت بذلك نقطة التحول في العملة النقدية، حيث تم فيها انخفاض قيمة العملة الفضية واختفاء النقود الذهبية من السوق، ونتيجة لذلك ارتفعت أسعار المواد الغذائية الواسعة الاستهلاك كالحبوب، خاصة مع أواخر القرن الثالث ميلادي²، وهذا ما أدى إلى سك النقود لكل إمبراطور جديد بهدف تأمين الموارد، كما تزايدت عدد الورشات النقدية بشكل كبير مما جعل الرقابة عليها أمرا صعبا وأفسح المجال أمام الكثير من الاختلاسات، ويظهر أن هذه القطع النقدية خلال هذه الفترة تحتوي على عدة عيوب نظرا للسرعة في إنجازها ما أدى إلى عدم دقتها³.

كما أن انخفاض وزن عيار القطعة النقدية الجديدة أدى إلى تراجع القطعة القديمة، ومنع على من يمتلك عملة فضية خالصة أن يتعامل مع العملات الشائبة الجديدة، مما أدى إلى إختفاء المعادن الثمينة من التداول في مثل تلك الأحوال السيئة التي تدهورت خلالها العملة النقدية مسببة اضطرابات في الأسواق التجارية ورفع التجار أسعار منتوجاتهم⁴.

وبهذا عرف القرن الثالث ميلادي توقفا لاقتصاد المال بالكامل ما أدى إلى توقف النظام الضريبي الذي سوف يؤثر سلبا على مؤسسات الإمبراطورية وعلى رأسها الجيش، وهذا ما دفع بالإمبراطور ديوقليسيان "Diocletianus" (284-305م) إلى القيام بحركة

¹ أندريه إيمار، جانين أوبويه، تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، تر، فريد داغر وفؤاد أبو ريجان، مج2، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1986، ص533 .

* الإمبراطور كركلا(211-218): إين سبتموس سيفروس، جعل نصيحة أبيه له بالعناية بالجيش والإعتماد عليه جوهر فلسفة حكمه الإستبدادي، فقد حاول كركلا السير على خطى إسكندر الأكبر، للمزيد أنظر، أحمد علي الناصري، المرجع السابق، صص 226-234.

² روستونزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، الإقتصادي والاقصادي، تر، زكي علي، ج1، القاهرة، ص559.

³ أندري إيمار، المرجع السابق، ص534.

⁴ تشارلز وورث، الإمبراطورية الرومانية، تر، رمزي عبده جرجس، سلسلة الأعمال الفكرية، القاهرة، 2003، 162.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الإصلاح النقدي خلال هذه الفترة من أجل إنقاذ النظام النقدي المنهار، حيث أصدر قرار بخلق دور سك النقود المحلية في ولايات الإمبراطورية المختلفة، وركز على عملية إصدار وسك العملة الموحدة لكل ولايات الإمبراطورية في دور سك النقود المركزية.

وعام 286م، بدأ إصلاح النظام النقدي بأن ألغى الأوريوس "Aurius" الذهبي الروماني القديم وحل محله أوريوس ذهبي جديد جعل وزنه 60/1 من رطل الذهب الروماني، ثم سك الأوريوس الفضي وجعل وزنه 96/1 من رطل الفضة الروماني، وبذلك أصبح مساويا للدينار الروماني¹، كما سك العملات الصغيرة في ثلاث فئات؛ الفئة الأولى المعروفة بالفلس "Follis" وهي أثقلها وزنا وتزن 150 حبة، أما الفئة الثانية فكان وزن الواحدة منها ستون حبة، وتزن الفئة الثالثة عشرون قطعة²، غير أن هذا النظام لقي إرتفاع الأسعار من جديد.

ونتيجة لعدم تحقيق هذا النظام النقدي قام الإمبراطور قسطنطين "Constantinus" (306-337م) في عام 324م بخفض وزن جنيه ديوقليسيان "Diocletianus" وغير إسمه إلى الصولد "Solidus"³، وهذا النقد الذهبي الجديد كان أخف وزنا (4 غ و 48 من الذهب) ويقدر قيمته 72/1 من الليرة الذهبية، وحل مكان النقد الفضي نقد آخر إسمه "Siliqua" (يزن 2 غ و 24 من الصولد) يساوي 24/1 من الصولد، أما المليارنيز "Miliarense" فكل منها تساوي صولدا، بينما الفلس يساوي عشر السيلكوا واستعمل عملة برونزية واحدة بدل الثلاث التي سكتها ديوقليسيان، ونجحت هذه الفكرة كون أنها أصبحت المتداولة في كل أنحاء الإمبراطورية⁴.

وبهذا، تبرز الإشكالية التي طرحت في سياق موازنة وتقييم النظام النقدي الإصلاحية القائم خلال عهد ديوقليسيان وقسطنطين، حيث تجلت مساوئه في إلغاء النقود القديمة واستبدالها بسلع ومواد مختلفة، مما ترتب عنه إرتفاع باهض في الأسعار والذي أدى بدوره

¹ أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 418-419.

² أم هاني رمضاني، « روما وسياسات الإصلاح: يوليو-أغسطس - ديوقليسيانوس أنونجا »، مجلة أفكار وآفاق، المجلد 6، العدد 1، 2018، ص 72.

³ أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 419.

⁴ أم هاني رمضاني، المرجع السابق، ص 72.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

لبداية الفوضى والانهييار واللاأمن نظرا لانتشار مظاهر الرشوة والفساد ونهب الأموال في معظم مقاطعات الإمبراطورية.

وعموما يبدو أن الحركة التجارية ازدهرت وازدادت أهميتها مع الإحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، حيث عملوا على تهيئة الظروف والوسائل التي تمكنهم من الاستغلال والسيطرة على المنطقة أكثر خاصة طرق المواصلات البرية والبحرية، وكذلك بناء المستودعات والموانئ المسهلة لعملية التصدير وصيانتها، حيث أصبحت تمثل شبكة منظمة ومحكمة منتشرة عبر الولايات ورابطة بين التخوم والمراكز العمرانية الرئيسية في المقاطعات¹، إلا أن هذا لم يستمر حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية، فقد توقف تداول المصنوعات، فلا مجال للقيام بالتجارة الخارجية، أما التجارة الداخلية فتقهقرت أيضا بسبب القرصنة القائمة في البحر المتوسط، فنجح البرابرة في التسرب إليها، وانقطع إتصال روما بمصر وإفريقيا اللتان تؤمنان لها في الظروف العادية معظم مؤونتها²، وفي نهاية القرن الثالث أصبح التجار وأرباب الحرف يطبق عليهم قانونا يقضي بمبدأ الوراثة بينهم³.

وإذا حللنا طبيعة التطور التجاري الذي بلغه بلاد المغرب القديم في العهد الروماني، نجد أنه من البديهي أن يعرف هذا الجانب تطورا وازدهارا، وذلك من خلال عمل الرومان منذ وجودهم في المنطقة على توفير الغذاء المجاني للشعب الروماني، ففي عهد الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس "Séptémus Sévéus" (193-211م) إستمرت مجانية الغذاء بتوفير مادة الزيت أيضا مع الاهتمام بالقطاع الزراعي، وذلك بهدف الوصول إلى غايتها المنشودة في المنطقة في إطار التبعية والاستغلال، وهذا ما توضحه أطماع الرومان منذ دخولهم المنطقة في إطار رومنتها، واعتبارها خزان روما.

¹ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 271.

² أندري إيمار، المرجع السابق، ص 536.

³ إسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص

3-السياسة الضريبية:

تعتبر الضرائب من بين أهم الأهداف التي سعت إليها الإدارة الرومانية وبرز هذا من خلال قيامها بعملية الكنترة الهادفة إلى إحصاء الأراضي والممتلكات وحتى الأفراد من أجل فرض ضرائب عليها، حيث حرص الرومان بعد كل عملية مسح وتوزيع الأراضي على فرض ضريبة على مستغليها تعرف بـ "Triburum Ex Censu"¹، ولهذا كان النظام الضريبي ببلاد المغرب القديم يقوم بالإعتماد على عملية الكنترة² التي صنفت الممتلكات الفلاحية تصنيفا دقيقا.

ويبدو أنه تعددت أشكال الضرائب الرومانية التي شملت مختلف الجوانب الإقتصادية مما أكسب روما بمداخيل تعود لخزيرتها، وبالتالي ازدهارها خاصة في ظل الإمتداد الواسع للإمبراطورية إلا أنها في المقابل أثقلت كاهل الأفراد خصوصا المزارعين الذين عانوا منها³، فقد كانت ضريبة التموين السنوي "Annonae" من أهم الضرائب ثم تأتي بقية الضرائب الأخرى كضريبة الرأس وضريبة النقل وضريبة الطرق وغيرها.

عملت السلطات الرومانية على ضمان حسن التنظيم وهيكله نظام جباية الضرائب وتدعيم ركائزه خاصة في الأرياف، حيث أشرفت على عملية تحصيلها وكيفية إستخلاصها وفقا لسياستها التوسعية، وتم تكليف مهمة جباية الضرائب⁴ إلى عدة موظفين يأتي في مقدمتهم البرايطور "Praetor"، وهو موظف سامي يتولى مهمة الإشراف على جمع الضرائب على مستوى المقاطعة، ويساعده أيضا محاسبون "Numerati" وأعاون قضائيون "Tabulari"⁵، بالإضافة إلى الملتزمين "Conductores" الذين أوكلت لهم مهمة جمع الأقساط الضريبية على

¹ Fournier De Flaix (E), L'impôt dans les diverses civilisations, T1, Librairie de la société du recueil général des lois et des arrêts, Paris, 1897, p182.

² روستنزوف، المرجع السابق، ص 620.

³ Fournier De Flaix (E), op.cit, p 182.

⁴ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 128.

⁵ محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 146.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

مستوى أملاك الإمبراطورية¹ كما أضيف إليهم مهام جبائية أخرى تخص الجهة المتواجدين فيها.

وضعت الإدارة الرومانية وحدتين أساسيتين لجباية الضرائب تتمثل في اليوغوم "Iugum" والكابوت "Caput" التي يتم من خلالهما تقدير الممتلكات بمراعاة الإختلافات الجغرافية ونوعية الإنتاج، فقد وضع الإمبراطور ديوقلسيان "Diocletianus" (284-305م) اليوغوم كوحدة مرجعية لقياس المساحة والكابوت كوحدة لضريبة الرأس الواجب على كل فرد دفعها سنويا، ولكن بعد ذلك أصبحت الوحدة الضريبية خليطا بين الوحدتين لا فرق بينهما²، وقد كانت السلطة الرومانية متشددة في معاقبة كل من يمتنع أو يتهرب من دفع الضريبة، إذ بلغت عقوبتها إلى حد الإحكام بالموت، مما ترتب عن هذا النظام الجبائي التخلي على العديد من الأراضي التي حولتها السلطة الرومانية بعد مصادرتها إلى الملاك الكبار³ ما أدى بالفلاحين إلى الفقر والحرمان.

ويتضح أن السياسة الضريبية التي فرضتها الإمبراطورية الرومانية أنهكت قوى المجتمع خاصة المزارعين في الأرياف، وذلك من خلال الضرائب الزراعية المتمثلة في الضريبة على الإنتاج التي شملت العديد من المنتجات الزراعية كالقمح، الشعير، الزيتون، الكروم، التين والفول، بالإضافة إلى الضريبة على الأرض حسب خصوبتها، في الوقت الذي كان فيه كبار الملاك لا يلزمون بدفع ما يستحق عليهم من ضرائب، فكثيرا ما كان المزارع البسيط يعجز عن الوفاء بديونه في موعدها، الأمر الذي يضطره إلى رهن أرضه لكبار

¹ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 128-129.

*اليوغوم: تمثل الضريبة المفروضة على الممتلكات العقارية، ويمثل وحدة ضريبية على الأراضي الزراعية تقوم على أساس الإحصاء المساحي، وتعادل المساحة التي يحرثها ثوران خلال يوم وتمثل حوالي 25آرا و 28 سنتيارا (أكثر قليلا من ربع الهكتار)، ما يدل على أن هذه الوحدة فرضت على الممتلكات، محمد العربي عقون، المرجع السابق، رقم 2، ص 145.

**الكابوت: يدل على ضريبة الرأس، أي المقدار النقدي أو العيني الواجب على الفرد تقديمه لخزينة الدولة سنويا، وهي مفروضة على الأشخاص والوظائف، محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 135.

² روستنزوف، المرجع السابق، ص 620-621.

³ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 149-150.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الملاك المزارعين أو النزوح إلى المدن¹، خاصة وأن النظام الضريبي أصبح يتم بالنظام العيني لا النقدي²، وذلك نظرا لاختفاء العملة في الأسواق والإجراءات التي قام بها الإمبراطور ديوقلسيان لتخفيض سعر العملة.

وبالتالي أجبر المزارعين على دفع ضريبة التموين العسكري "Annona Militaris" من أجل تموين وحدات الجيش لما يحتاجه من مواد غذائية وألبسة، وكان هدف الإمبراطور ديوقلسيان من جعل الضرائب عينية هو ضبط الدخل العام في شكل عادل وثابت في كافة أنحاء الإمبراطورية، وأن تقدر في ميزانية سنوية وعلى ضوء قرار إمبراطوري يحدد كمية الضرائب التي يجب أن تجنى من كل ولاية³، وقد ترتب عن هذه الإصلاحات الضريبية العينية تراجع قيمة النقد في المعاملات، مما دفع بالمزارعين إلى ترك أراضيهم التي لا يكاد إنتاجها يسد أقساط الضريبة العينية وأكثر من ذلك معاشهم، ومع أنّ بعض الأباطرة حاولوا تدارك الوضع بسن بعض الإعفاءات الضريبية لصالح الأراضي الأقل جودة، مثل القرار الصادر عن الإمبراطورين هونوريوس "Flavius Honorius" (393-423م) وثيودوسيوس الثاني "Théodose II" (408-450م) في 20 فيفري 422م على البروقنصلية والمزاق (Byzcéne)⁴ إلا أنّ التدهور قد بلغ أوجه.

وبهذا فإن النظام الضريبي المفروض على المزارعين وممتلكاتهم كان نظاما جائرا، حيث اضطروا إلى تقليص عدد الوحدات التي يدفعون عنها الضرائب وأهملوا الأراضي الأقل خصوبة خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين⁵، مما أدى بعمال المستثمرات الكبرى، الفندس واللاتيفونديا، ينتقلون من الأرياف إلى المدن هربا من السخرة والإتاوة، وقد أثر ذلك على تراجع الزراعة وانهيار الإقتصاد عامة، سواء إقتصاد بلاد المغرب القديم أو

¹ تشارلز وورث، المرجع السابق، ص 17.

² إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 22.

³ روستونزف، المرجع السابق، صص 44، 45.

⁴ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 148.

⁵ Lepelley (C) , " Déclin ou stabilité de l'agriculture Africaine au bas-empire à propos d'une loi de l'empereur Honorius ", in : Ant. Afr, n^o1, 1967, p 135.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الإقتصاد الروماني¹، فلم يكن النظام الضريبي الذي فرض على المزارعين مشجعا للإستثمار فحسب، بل تسبب في حدوث إضطرابات وانتفاضات²، كانت أولها الثورة التي قام بها مزارعو منطقة الجم (Thysdrus) في عهد الإمبراطور ماكسيمليان ثراكس "Maximianus Thrax" (235-238م) بسبب ثقل الضرائب عليهم³، حيث عمت البروقنصلية وامتدت إلى نوميديا مع إندلاع أحداث ما يعرف بالفوضى العسكرية خلال القرن الثالث الميلادي⁴، ثم تبعتها أحداث القرن الرابع الميلادي بظهور ثورة الأرياف التي تشكل حركة إجتماعية ثورية ضد الظلم الروماني.

ثانيا - الأوضاع الإجتماعية:

عرفت بلاد المغرب القديم من الناحية الإجتماعية عدة إضطرابات مست الطبقات المتوسطة والفقيرة، التي كانت تعاني من عدة مشاكل أهمها الإجحاف الضريبي وسياسة الحصار الوظيفي، مما ولد نفورا إجتماعيا من السلطة الرومانية، ليس هذا فحسب وإنما بلغ السخط بهؤلاء إلى درجة تضرع بعضهم للرب ليسلط الوندال الجرمان على المنطقة.

¹ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 149.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 187.

Picard(Ch), op.cit, p 76.

³
⁴ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 149.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

1-التباين الطبقي وأثره على مجتمع بلاد المغرب القديم:

يبدو أن ظاهرة تمركز الملكية في يد الطبقات الميسورة هي السبيل الوحيد لفهم البنية الإجتماعية في المنطقة وهي السبيل أيضا لفهم معاناة الطبقات المتوسطة والفقيرة¹، فقد كانت الحياة الإجتماعية منسجمة ضمن فئات شكّلت طبقات إجتماعية متفاوتة الصلاحيات² مرتبطة إرتباطا وثيقا بالنظام الضريبي وعلاقتها بالسلطة.

وفيما يتعلق بوضعية الفلاحين نجد أن هناك عدد منهم يملكون ملكيات صغيرة مستغلة من قبلهم مع عائلاتهم ذات مساحات محدودة غرست فيها أشجار الزيتون وكانت الأراضي المنبسطة منها تزرعت فيها الحبوب³، وهناك البعض من الفلاحين لا يملكون أراضي ليستغلونها لحسابهم الخاص، وبالتالي تلجأ إلى التنقل في مواسم الفلاحة بعيدا بحثا عن العمل في أراضي الملاك الكبار الذين يقسمون أراضيهم إلى قطع قابلة للاستئجار⁴، كما يلاحظ أيضا أن العديد من الفلاحين وأهالي القبائل غير الخاضعة فقدوا أراضيهم أو تقلصت مساحاتها بفعل سياسة المصادرة لها خاصة الأراضي الخصبة منها ولم يترك لها إلا المناطق الوعرة والسهوب، لذا تحول أصحابها الحقيقيون للعمال الأجراء في حقول الملاك الكبار، وقد كان هؤلاء العمال منظمين في جماعات يرأسها أحد أعيانها الذي أصبح وكيلا مفوضا للمالك ومسيرا لأعماله.

وبهذا يتضح أن جميع الفئات الريفية كانت متساوية، ذلك أن حالة الفلاحين الأحرار منهم أو الأبقان أصبحت متقاربة مع فئة العبيد بل كثيرا ما كانت هذه الأخيرة أحسن منهم، ويتضح هذا في رغبة الأرقاء البقاء في العبودية التي تضمن لهم لقمة العيش⁵، ما جعل

¹ فاطمة مناقشي، المقاومة الأمازيغية للإحتلال الوندالي والبيزنطي، إشراف حليلة غازي، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الأركيولوجي، الرباط، 2003-2004، ص 17.

² Albertini (E), L'Afrique Romaine, Alger, 1950, p 340.

³ كاهينة قبايلي، الحياة الإجتماعية في المغرب القديم خلال القرن الرابع والخامس في ظل الإحتلال الروماني، الطبقات الإجتماعية، أطروحة دكتوراه، إشراف، توفيق حموم، جامعة الجزائر، 2014/2015م، ص 151.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 271.

⁵ Gsell(S), op.cit, p 415.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

محمد البشير شنيتي¹ يلقي اللوم حول تردي أحوال الطبقة الفقيرة من الأهالي الأحرار لدرجة أن أصبح الفرق غير واضح بين الحر والعبد على إستحواذ الطبقة العليا للموارد وارتفاع أعبائها التي ألقت ثقلها على الفئات الدنيا، خاصة وأنّ هذه الفئة لا يوجد لها أي سند قانوني ينص على حمايتها.

ويظهر أن الإمبراطورية الرومانية لم تهتم بمصالح الملاك بقدر إهتمامها بالاستقرار العام للالتزامات الضريبية، فقد كانت الحاجة الكبيرة إلى المداخيل الضريبية بعد الفوضى العسكرية (235-285م) التي عرفت الإمبراطورية واللجوء أكثر للضريبة العينية نظراً للتضخم وفقدان العملة لقيمتها مما دفع بالإمبراطور ديوقلسيان "Diocletianus" إلى الإعتماد على ضريبة الأرض والرأس التي أثقلت كاهل الفلاحين²، إلى جانب نظامه في جباية الضرائب الذي ألقى على عاتق ملاك الأراضي وموظفي مجالس المدن مسؤولية جمع الضرائب المقررة، ولكن إذا ثبت فشلهم في جمعها من الأهالي فعليهم أن يتحملوا مسؤولية دفع قيمتها ويتم بعد ذلك بإبعادهم من وظائفهم³، ويلاحظ أنّ كبار الملاك تحرروا بعد ذلك من مهة نقل الضرائب العينية وإلقاء عبئها على كاهل الفلاحين، فكان عليهم مسؤولية صياغتها وتعويض ما تلف منها أو ما ضاع منها أثناء النقل⁴، مما زاد من سوء أوضاع الفلاحين الأحرار والذي سهل في إنحذارهم إلى طبقة القنية.

وكان لفرض الإمبراطور ديوقلسيان على الطبقة البرجوازية دفع العجز في النسب المقرر على مقاطعاتهم من أموالهم الخاصة، أن تحولت هذه الطبقة بعدما كان لها دوراً حيوياً في مختلف المجالات الإقتصادية والاجتماعية في عصر الإمبراطورية المبكر إلى إجراء عند الإقطاعيين القلائل، مما جلب الإفلاس لهؤلاء البرجوازيين وأصبحوا أيضاً

¹ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 250.

² إدوارد جيبون، إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر، محمد علي أبو درة، ج1، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 2016 .

³ محمود محمد الحوري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 37.

⁴ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 138-141.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

عاجزين عن جباية الضرائب من ذوي النفوذ من أصحاب الإقطاعيات، وهذا مادفع إلى إستعمال أشنع الطرق لتحصيل الضرائب من ذوي الملكيات الصغيرة والطبقات الدنيا.

يبدو أن النظام الضريبي الذي فرضه الإمبراطور ديوقلسيان "Diocletianus" كان بداية لتصفية الطبقة المتوسطة في المقاطعات والولايات المختلفة وتحويلها إلى الطبقة الدنيا أو إلى أجراء زراعيين في إقطاعيات الأغنياء¹، فقد إقترن نظامه بفداحة تكاليف الإدارة وتفاقم الزيادة في الضرائب وظلم الأهالي²، خاصة ما كان يعانيه الفلاح من سياسة التعسف من طرف المسؤولين على تسيير الضياع والعقارات، بالإضافة إلى أنه ليس له الحق في المغادرة أو الإنتقال من أرضه، حيث كان مجبر على البقاء فيها بالقوة وقيامه بأعمال السخرة³، مما جلب البؤس والفقر لأصحاب الملكيات الصغيرة من الفلاحين وهو ما دفعهم للفرار من أراضيهم⁴، ذلك أن الزراعة لا تعود عليهم بالفائدة بعد تسديد الضرائب المطلوبة، فوجدوا أنهم من الأيسر لهم أن يرهنوا أراضيهم وأن يعملوا كعمال زراعيين في الإقطاعيات الكبرى أو يلجأوا إلى عصابات قطاع الطرق.

وأمام إضطرار الكثير من الأفراد إلى ترك مزارعهم وهجر تجارتهم أصدر الإمبراطور ديوقلسيان مرسوما أجبر فيه الفلاحين وأصحاب المهن والحرفيين على قبول مبدأ الوراثة وذلك بأن يتكفل الأبناء بمزاولة مهنة الآباء بصفة إلزامية فارتبط صغار المزارعين بالأرض كما صارت الحرفة وراثية⁵، ويلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية منحت لهؤلاء الحرفيين إمكانية إحتكار المهنة والإعفاء من الضرائب⁶.

وفي عهد الإمبراطور قسطنطين "Coustantinus" (306-337م) أصدرت قوانين كرسست إرتباط الفلاحين بالأرض، أولها مرسوم سنة 332م ثم تلتها قوانين أخرى تضمنت حرص

¹ أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 416-418.

² إدوارد جيبون، المرجع السابق، ص 216.

³ كاهينة قبائلي، المرجع السابق، ص 186.

⁴ أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 418.

⁵ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 36-37.

⁶ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 148.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الإمبراطورية على ربط المزارع بالأرض، بالإضافة إلى مرسوم الإمبراطور فالنتيان "Valentinianus" عام 371م الذي نص فيه بوضوح على إجبارية ارتباط المعمرين بالأرض¹، وبهذا فقد تحولت فئة الفلاحين إلى طبقة استغلال واحتكار الإدارة حيث كانت تحمل العبء الذي يقع على الفرد في حالة عجزه عن الدفع أو فراره، مما ولد مظهرا إجتماعيا قائما على الظلم والاستبداد مع ازدياد صلاحيات الملاك الكبار منذ منتصف القرن الثالث، مما أدى بالمنطقة إلى حالة من الإنهيار العام²، وتواصلت الإجراءات الإقتصادية والعسكرية الممارسة من طرف السلطة الرومانية ضد سكان بلاد المغرب القديم لتغذية سياستها الرامية لتحقيق مطامعها³، ولم يعد الأجراء اليوميين يجدون فرصا للعمل بسبب تزايد عددهم منذ القرن الثالث ميلادي.

مع إستمرار تدهور الأوضاع الإقتصادية خلال القرن الرابع الميلادي تبلورت ثلاث فئات إجتماعية على رأسها الأسياد وهم ملاك الأراضي الذين تحالفوا مع السلطة الإمبراطورية التي وضعت ثقتها فيهم ودعمت مركزهم بقوانين برزت عن إرتباط مصلحة الإمبراطورية بنفوذهم، والثانية هي الفئة المتوسطة التي كان لها ثقل أكبر في العهد الإمبراطوري الأول، ولكن خلال العهد الإمبراطوري الثاني ومع التغيرات الجارية أفلست وتراجعت مكانتها وفعاليتها السياسية ولم يعد لها خطورة كبيرة لدى السلطة الإمبراطورية، وتمثلت الفئة الثالثة في اليد العاملة بأنواعها بما فيهم الأحرار والعبيد الذين جعلتهم التركيبية الإجتماعية في منزلة متماثلة، وبدعم الإمبراطورية للفئة الأولى وتراجع دور الثانية وحرمان الفئة الثالثة من حقوقها أن خلق جوا مشحونا بالأحقاد والضغائن أدى إلى فرار الفلاحين من المزارع والحرفيين من الورشات، مما أدى إلى مواجهتهم لتلك الوضعية في حركات مقاومة⁴ تجسدت خاصة في ثورة الريفيين وانضمامهم للدوارين الذين عبروا عن طموحات الأهالي في التحرر من الإستغلال المكرس ضدهم في الجانب الإقتصادي والإجتماعي.

¹ نورة مواس، «القنانة في العصر الإمبراطوري المتأخر 285-395م»، مجلة أفكار وآفاق، العدد 10، 2017، صص 98، 103.

² Monceaux (P), Histoire Littéraire de L'Afrique Chrétienne, depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T 4, éd, Leroux, Paris, 1923, p 165.

³ Picard (Ch), op.cit, pp 55, 155.

⁴ نورة مواس، المرجع السابق، ص 104.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

2- علاقة أرياف بلاد المغرب القديم بالدوارين:

حاولت السلطة الرومانية القيام بإصلاحات تجلت من خلال الإمبراطور ديوقلسيان "Diocletianus" وقسطنطين "Constantinus" من أجل القضاء على الفوضى الناتجة عن الثورات، إلا أنّ ذلك كانت له نتائج خطيرة على المجتمع الذي انقسم إلى عدة طوائف بسبب امتيازات بعضها أو بسبب المسؤوليات والأعباء الملقاة على الطرف الآخر، خاصة بعدما تقلص المجال العقاري الخصب للقبائل التي تسكنها بفعل سياسة المصادرة، فقد سعت روما من أجل إيواء تلك القبائل في مناطق محددة أو تركت لها المناطق الوعرة والسهوب¹، كما أسندت إدارة الأراضي التي تمت مصادرتها وتم منحها للملاك الكبار.

ونتيجة لهذا النظام الإمبراطوري الذي سبب البؤس والشقاء لأرياف بلاد المغرب القديم نظمت الطبقة الكادحة نفسها² خلال القرن الرابع الميلادي في إطار حركة إجتماعية*، والتي ضمّت جمهورا واسعا من العمال الريفيين الأحرار الذين تدهورت أوضاعهم وازدادت سوءا من أجل تحسين أوضاعهم وتحقيق العدالة الإجتماعية³، وقد إستهدفت بالدرجة الأولى طبقة ملاك الأراضي الذين حملوهم مسؤولية تردي أوضاعهم.

إعتبر هؤلاء الريفيين أنفسهم أحرارا وهيكلمهم الإجتماعي سكان بلاد المغرب القديم عامة⁴، ذلك أنهم لم يستندوا إلى خلفية قبلية أو إثنية أو جغرافية معينة⁵، فهم فئة من العمال المزارعين يتنقلون من منطقة إلى أخرى في شكل مجموعات دفاعية وهجومية ضد

¹ محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية (305-429م)، ط1، الرباط، 2001م، صص 58،68.

² محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 412.

* يبدو أنّ المعارك التي دارت بين الريفيين والجيش الروماني كانت خلال عهد ماكسيميانوس سنة 296م، والتي أعتبرت بداية لثورة هؤلاء الريفيين، للمزيد أنظر، محمد المبكر، المرجع السابق، ص 67.

³ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 291-292.

⁴ محمد المبكر، المرجع السابق، ص 67.

⁵ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج 4، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 2011، ص 444.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

المحتكرين، في الوقت الذي إزداد فيه النهب الروماني المقنن بنزع الملكيات لصالح الإمبراطور¹ الذي كان أكبر مالك للأراضي الزراعية حتى بداية القرن الخامس الميلادي.

ويتضح أن هذه الثورة أخذت أسماء عديدة كثورة الفلاحين أو ثورة الريفيين للدلالة على أنها ثورة إجتماعية، إلا أنها إشتهرت بإسم حركة الدوارين نسبة إلى النعت الذي أطلق على أصحابها بالسيركونسيليون "Circum Cellas"² التي هي كلمة لاتينية مركبة من جزئين، "Circum" الذي يعني الطواف أو الدوران، و"Cellas" تعني الأهرأ أو مستودع المؤون، وبالتالي يصبح معناها الذين يحومون حول الأهرأ أو المستودعات بحثا عن لقمة العيش³، في حين هناك من يعتبر أن كلمة "Cellas" تعني أضرحة الشهداء⁴ مما جعل اسم الدوارين يحمل مدلول الطوافون حول أضرحة الشهداء.

ويلاحظ أن المكانة الإجتماعية للدوارين في أرياف بلاد المغرب القديم قد تأرجحت بين الرأي القائل أنهم يعتبرون عمالا فلاحين متقللين أو أنهم عبارة عن فئات شعبية كانت ترتاد أضرحة الشهداء أو أنهم كانوا رهبان متقللين، وفي هذا يفسر محمد المبكر⁵ انطلاقا من هذه الآراء على ماهية الدوارين بأنهم فئة إجتماعية محددة حسب ما جاء في قانون هونوريوس "Flavius Honorius" الصادر سنة 412م⁶، والذي يحدد أن قيمة الغرامات المفروضة على الدوناتيين يتناسب مع الإمكانيات الاقتصادية لكل فئة من فئات المجتمع ببلاد المغرب القديم ومن بينها فئة الدوارين، مما يدل على أنهم كانوا أحرارا يعيشون في الملكيات الكبرى التابعة للإمبراطور أو لبعض الملاك الكبار، وحتى المصادر الكاثوليكية تشير إلى أنهم كانوا يعيشون في الأرياف ويتنقلون عبر الأقاليم ولهم مستوى اقتصادي

¹ محمد المبكر، المرجع السابق، ص 65.

² محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 292.

³ محمد المبكر، المرجع السابق، ص 85.

⁴ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 303.

⁵ محمد المبكر، "حركة الدوارين في شمال إفريقيا في القرنين الرابع والخامس الميلاديين"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، دار المنظومة، المغرب، 2016، ص 263-265.

⁶ Cod.Theo, XVI, 5,52,éd Th.Mommsen et P.Meyer, Berlin, 1903, p 872-873، نقلا عن محمد المبكر، المرجع السابق، ص 263.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

واجتماعي وضع، حيث نجد القديس أوغسطين "Saint Augustin"¹ يصفهم على أنهم كانوا: «مخلوقات لا تفهم ولا تحتل من ينصحها، وتمارس أعمال العنف ضدنا» .

وقد أشار إليهم أوبطاميلي "Optât De Milev" بأنهم جماعات من الرجال ينتقلون عبر البلاد ويزرعون الخوف في النفوس، وكانوا ينطلقون من تيمقاد (Thamugadi) خلال الليل من أجل النهب والسرقة في أرجاء البلاد²، مما يدل من خلال هذه المعطيات أنها لا تنطبق على العبيد ولا على المزارعين ولكنها تتلاءم تماما مع العمال الموسمييين المتنقلين الذين يشكلون ظاهرة قديمة في المنطقة، ويرتبط وجودهم على الأرجح بنمط عيش الترحال الذي كان سائدا في بعض السهوب لدى عدد من السكان، وهو نمط لم تسطع روما القضاء عليه رغم ممارستها لسياسة تحديد مجالات الشعوب "Limitatio" وتضييق الخناق عليها³.

أما الآراء الأخرى التي تفسر ماهية الدواوين يرجح محمد المبكر⁴ أنها لا تتركز على أساس متين، فالقول أنهم كانوا رهبانا متنقلين إنما يرجع إما إلى نصوص متأخرة كالتالي اعتمادها الباحث الإيطالي "S.Calderone" والتي وقع فيها خلط بين الرهبان الذين كانوا يغادرون أديرتهم خلال القرن الخامس الميلادي وبين الدواوين الذين وجدوا على الأقل منذ سنة 340م*، وإما إلى نصوص غير مقنعة كالمعارضة التي وضعها القديس أوغسطين بين الدواوين الدوناتيين والرهبان في مصر، ومن الجدير بالذكر أن الدوناتيين كانوا يعارضون مبدأ الرهبنة، ثم إن الدواوين لو كانوا رهبانا لما فرض عليهم القانون غرامة عشرة أرطال من

¹ Saint Augustin, Contra Cresconium Libiri, IV, De unico baptismo, texte de Petschenig(M), trad, Finaert(G), "Bibliothèque Augustinienne", Paris, 1968, IV, L, 61.

² Bissière(G), Esquisse d'une histoire de la conquête et de l'administration romaines dans le nord de l'Afrique et particulièrement dans la Province de Numidie, Paris, 1878, p 397.

³ محمد المبكر، المرجع السابق، ص 264.

⁴ نفسه، ص 264-265.

* خلال هذه السنة (340م)، إشتكى أساقفة الدوناتيين بالثوار الريفيين إلى الدوق طورينيوس "Taurinus" الذي قاد بدوره الهجوم على هؤلاء الدواوين بمدينة أكطافيا (Octava)، وبالتالي ظهور تسمية الدواوين، وهناك من يرجع ظهورهم إلى سنة 347م على إثر تحالف الدوناتيين مع الدواوين من أجل مواجهة مبعوثي الإمبراطور بولس "Paulus" وماركاريوس "Macarius" لفرض الوحدة الدينية والتكامل بالدوناتية، وبهذا يبدأ الدواوين ممارسة نشاطهم في إطار النحلة الدوناتية، كما لا يستبعد أن تعود حركة الدواوين لأبعد من سنة 330م. للمزيد أنظر،

-محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم، ص 179.

-Décret (F), Le Christianisme en Afrique du Nord Ancienne, éd, Seuil, Paris, 1996, p 150.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الفضة حسب قانون هونوريوس "Flavius Honorius"، ذلك أنّ الرهبان مبدئياً لا يملكون الثروات.

كما أنّ الرأي القائل أنّ الدوارين كانوا خليطاً من السكان يجمعهم نشاط واحد يتمثل في الارتياح لأضرحة الشهداء، فمن المفروض أن يختص الدوارين بهذا النشاط دون غيرهم، وأن يكون ذلك النشاط ظاهرة خاصة بالأرياف وكلاهما غير صحيح، ولو افترضنا أيضاً أن الدوارين "زوار الأضرحة" لسقطنا في نفس المشكل، ذلك أنّ الفئة الوحيدة التي كانت لها الحرية والوقت الكافي للتنقل هي فئة العمال الموسميّين وليس المزارعين ولا العبيد.

وبالتالي فالأقرب إلى الصواب أن نعتبر أنّ الدوارين كانوا ينتمون أساساً إلى فئة اجتماعية محدودة تتمثل في فئة العمال المتقلّين، وإن كان هذا لا يمنع إلتحاق بعض العبيد والمزارعين "Coloni" بجماعات الدوارين الثائرة، وهذا ما أكدّ عليه أوبطاميلي "Optat De Milev"¹ بقوله: "... هم مجموعة من الناقمين على الأوضاع، من مختلف الأصول ومن كل المقاطعات، ومن الأهالي الذين لا يتكلمون غير البونية، وتشكلوا من العبيد الفارين والثائرين"، كما أنّ واقعهم الاقتصادي لا ينف أن يكون لهم واقع ديني كدوناتيّين يهاجمون الكنائس الكاثوليكية ويرتادون أضرحة الشهداء²، فقد أطلق عليهم الدوناتيون تسمية جنود المسيح "Milites Christi" وقادتهم بالزعماء القديسين "Duces Sauctarum"³، إلا أنّ الواقع الاقتصادي للدوارين كعمال متقلّين يبدو سابقاً على واقعهم الديني الذي خلّدتهم به المصادر الكاثوليكية⁴.

وعلى العموم فقد كانت حركة الدوارين تجمع مختلف فئات المجتمع التي عانت من الظلم والإجراءات التعسفية للإدارة الرومانية من أجل وضع حد لاحتكارات الملاك الكبار،

¹ Optat De Milev, De schismate Donatistarum, Libri VII, Ziwsa(C), G.S.E.L, XXVI,1893, III, 4

² محمد المبكر، «حركة الدوارين في شمال إفريقيا»، ص 264-265.

³ Vannier (O), "Les Circoncellions et leur rapportes avec l'église Donatiste, d'après le texte d'optat", R. Afr, n°67, 1926, p 17.

⁴ محمد المبكر، المرجع السابق، ص 264-265.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

فقد كانت مطالبهم اجتماعية لم تحمل طموحاتهم تولي المناصب العليا، وإنما حركة ممتدة في جذورها لمختلف الثورات التي شهدتها بلاد المغرب القديم الراضة للاستغلال الروماني.

ثالثا-الأوضاع الدينية:

عرفت المسيحية انتشارا واسعا ببلاد المغرب القديم واحتضانها من طرف السكان نظرا لاحتوائها على مبادئ المساواة والعدل، فمن خلال حديث ترتليان "Tertullianus"¹ يتضح أنّ عدد المسيحيين كانوا كثيرين في المدن والمواقع المحصنة وفي المعسكرات ومجلس الشيوخ، ويستدل بول مونصو "Paul Monceaux"² على هذا الانتشار الهائل بالأسقف أغريبينوس "Agrippinus" الذي استطاع أن يجمع سبعين أسقفا سنة 220م، ومر انتشارها بثلاث مراحل تركزت أولها في المدن الساحلية ثم وصلت إلى المدن الداخلية، وبعدها امتدت نحو الأرياف.³

1-إضطهاد المسيحيين:

واجهت المسيحية رفضا شديدا من الوثنيين بسبب انتشارها واعتناق بعض فئات سكان بلاد المغرب القديم لها، كما أعتبر المسيحيون أعداء للإمبراطور كون أنهم يسخرون من آلهته ويحتقرون شخصه، وكان الجهر بالمسيحية تعد جريمة يعاقب عليها بالتعذيب والحكم على المتهم دون الرجوع لقوانين العدالة⁴، وتجسدت ملامح هذا الرفض على شكل سلسلة من الإضطهادات العنيفة التي مارسها الأباطرة منذ ميلادها في المنطقة، وكان من مظاهر هذا الإضطهاد القتل والرمي في السجون وللوحوش الضارية من أجل التسلية بمناظرهم الدامية ورفض دفنهم في المقابر⁵، وهذا ما دفع ترتليان "Tertullianus"¹ بالرد على هؤلاء الوثنيين بقوله: « كم مرة شررتم المسيحية، مرة بأحقادكم السخيفة، ومرة أخرى بقوانينكم... » .

¹ Tertullianus, Apologétique, trd, Waltzing(J.P), Paris, 1929, XVI, 40-2.

² Monceaux (P), Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne, depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T1, éd, Ernest Leroux, Paris, 1901, p 3.

³ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 167

⁴ Tertullianus, op.cit, XI, 9-6.

⁵ Monceaux (P), T1, op.cit , p12.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

يتضح أنّ فاتحة الإضطهادات ببلاد المغرب القديم كانت من طرف البروقنصل فيجيليوس ساتورنينوس "Vegellius Saturninus(P)" خلال حكم الإمبراطور كومودوس "Lucius Aelius Commodus" (176-192م)، فقد قام هذا البروقنصل بمعاقبة المسيحيين الذين إمتثلوا أمام محاكمته من قرية سيليوم "Scillium" وحكم عليهم بالإعدام بعد رفضهم التخلي عن دينهم المسيحي سنة 180م، بالإضافة إلى شهداء نوميديا بمداروش (Madauros) منهم نمفاموا "Namphano" وميجي "Miggi"².

وبهذا تبدأ حركة إضطهادات واسعة زادت من حدة العداء بين السلطة والكنيسة، مما أضر بمصالح روما التي اضطرت بعد أحداث 180م إلى فرض التسامح النسبي الذي يبرز في محاولات حكام المقاطعات للتهدئة ووقف المطاردات بالإضافة إلى السعي لتغيير القانون خدمة للمسيحيين³، إلا أنّ هذا الوضع لم يدم طويلا فقد عادت إضطهادات عنيفة مع الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس "Lucius Septimius Severus" (193-211م)⁴، بالإضافة إلى إضطهادات ترتولوس سكابولام "Tertullus Scapula" (211-231م) التي إمتدت إلى غاية نوميديا وموريطانيا، إلا أنها لم تدم طويلا ذلك أنها توقفت لمدة 32 سنة لكنها عادت من جديد في عهد الإمبراطور داسيوس "Decius" (249-251م) واستمرت في عهد خلفه غالوس "Gallus" (251-253م)، غير أنها توقفت لفترة بسبب الطاعون الذي ضرب بلاد المغرب القديم ثم سرعان ما عادت إلى ما كانت عليه في عهد الإمبراطور فاليريان "Valirianus" (253-260م) الذي أعطى إشارة لإضطهاد المسيحيين في كامل إفريقيا، ولم تتوقف إلا في سنة 260م بموجب مرسوم التسامح لكاليينوس (Gallienus) وحتى مرسوم الإمبراطور أورليانوس (Aurelianus) (270-275م) في نهاية 274م لم تشر إلى أي من أعمال العنف في المنطقة نتيجة إنشغال أباطرة عهد الفوضى العسكرية على كرسي الإمبراطورية⁵.

Tertullianus, XXXVII, 2. 1

Monceaux(P), op.cit, p 42-43. 2

³ شارل جنيبير، المسيحية، نشأتها وتطورها، تر، الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، المكتبة العربية، بيروت، ص 166.

⁴ Leclercq (H), l'Afrique Chrétienne, T1, Librairie Victor Le coffre, Paris, 1904, p 123.

⁵ شارل جنيبير، المرجع السابق، ص 170-171.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

ولكن مع حكم الإمبراطور ديوقلسيان "Dioletianus" (284-305م) قامت أعنف الإضطهادات الدينية نظرا لبلوغ المسيحية أوج إنتشار لها ببلاد المغرب القديم¹، حيث أصدر أمرا إلى الجيش يفرض عليهم عبادته ويلزم عناصر الجيش بالتدين بالوثنية، وكانت نتيجة هذا القرار فرار الجنود المسيحيين من الخدمة العسكرية وتمردهم ضد السلطة الوثنية الرسمية²، ومن الملاحظ أن الإمبراطور ديوقلسيان كانت بدايته في القيام بإجراءات القضاء على الديانة المسيحية تدخل ضمن إجراءاته الإصلاحية، وذلك من خلال مطاردته للمسيحيين المجندين في مختلف المعسكرات ولعلى أهمها تبسة (Theveste) سنة 295م وامتدت لغاية 299م، إلا أن هذه الإجراءات كانت بداية لإضطهاداته العنيفة التي كانت بموجب صدوره لأربعة مراسيم بين 303م و304م³.

وتضمن مرسومه الصادر في فيفري 303م تهديم الكنائس المسيحية وإحراق الكتب الدينية، ومنع المسيحيين من الاجتماعات واعتبارهم خارجين عن القانون، وفي مرسوم آخر في مارس من هذه السنة يضيف إليه طرد كل مسيحي يتقاد منصب رفيع كما أنه أمر بحرمان خدام البيوت من الحرية إذا أصروا على الاعتراف بالمسيحية، وفي مراسيم سنة 304م أمر أن يقوم جميع سكان الإمبراطورية بتقديم القرابين للإمبراطور، كما أمر في مرسومه الأخير بقيام كل المسيحيين بالتضحية دون تمييز وإلا سوف يتعرضون للقتل، ويتضح أنّ هذه المراسيم امتازت بالشمولية في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية وقد حرصت السلطة الرومانية على تنفيذها وأوكلت مهمتها للسلطات المحلية⁴، وفي حالة المخالفة لهذه المراسيم يتعرض صاحبه لشتى أنواع التعذيب منها إستعمال النار والسيف والصلب والرمي إلى الوحوش في أعماق البحر وقطع الأطراف والألسنة، وفقء العيون وتركهم للجوع وحتى العمل في المناجم⁵.

¹ Tertullianus, XVI, 40-2.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 287-288.

³ Decret (F), op.cit, p 127-128.

⁴ Audollent(A), Carthage Romaine, 146 avant jusu-christ – 698 après jusu-christ, éd, Abert Fontenoing, Paris, 1901, p 507.

⁵ يوسيبانوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، القمص مرقس داوود، ط 3، مكتبة نوبراس، القاهرة، 1998م، صص، 354،

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

وعلى الرغم من قصر فترة إضطهادات الإمبراطور ديوقلسيان (303-305م) فقد خلفت العديد من الشهداء في مختلف مقاطعات بلاد المغرب القديم، كما برزت فيها قضية المرتدين المسيحيين نضرا لسياسة الإمبراطور الوحشيّة والقاسية في إضطهاداته¹، وحتّى الأساقفة والإكليروس ضعفوا وسلموا الكتاب المقدّس منهم، بول "Paul" أسقف قسنطينة (Cirta) وفكتور "Victor" أسقف سكيكدة (Rusicad)، وكذلك أسقف قرطاجة مونصريوس "Mensurius"، الذي عاب عليه الشعب استعمال أساليب لا تشرف المسؤول الأوّل عن كنيسة قرطاجة، كما تم اتهامه بتسليم الكتاب المقدس للسلطات الرومانية، مما جعل مسيحيو قرطاجة يقارنون بين خيانة الرؤساء، وصمود شهداء أبتينا (Abathin)*، الذين تعرضوا للموت بسبب الجوع بالسجون².

ويبدو أنّ موقف أساقفة نوميديا كان واضحا في عدم قبول الذين تظاهروا بالعودة إلى الوثنيّة، ذلك أنّ عمل المتحمسين في أبتينا يعتبر بمثابة الميثاق الاجتماعي والديني للمسيحيين، وقد سمي بميثاق الشهداء "Act martynum"³ الذي يعد بمثابة قانون يلتزم به ويطبّقه كل المسيحيون الأوفياء من خلال الانفصال عن المتخاذلين، وبهذا برزت الدوناتية التي إنتف حولها أعداد قليلة في البداية ولكن مع مرور الزمن أصبحت لها خلفيّة جماهيرية ريفية⁴.

وفي خضم حماس النصارى المقاومين حاول أسقف قرطاجة مونصريوس "Mensurius" إقناعهم بضرورة التريث وعدم الحكم على بعضهم بالكفر، لأن ذلك من اختصاص المجمع الكنسي* بقرطاجة وروما لكنّه لم يجد آذانا صاغية بل إنّ أساقفة نوميديا ثاروا في وجهه،

1 Monceaux(P),op. cit, T4, .p 204.

* أبتينا: هي مدينة صغيرة، تقع في حوض مجرّدة قرب مدينة مجاز الباب بتونس، أنظر، محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم، رقم 18، ص 25.

2 Audollent(A),op.cit, p 508.

3 Monceaux (P), op.cit, T4, pp187, 204.

4 محمد المبكر، المرجع السابق، ص 26.

**المجمع الكنسي: هو إجتماع رسمي لأساقفة وممثلي الكنائس، حيث نجد المجمع المسكونيّة التي هي لقاءات تضمّ أساقفة من كلّ العالم والمجامع المحليّة التي تخصّ بلدا واحدا. أنظر، نهى النجار، موسوعة الأديان السّماويّة والوضعيّة، الدّيانة المسيحيّة، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1995، ص 196-197.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

وقد رفض بشرعية أسقفية على كنيسة قرطاجه باعتباره مواليا للسلطة الرومانية، بل ولم يشارك أساقفة نوميديا في إنتخاب كايكليانوس "Caecilianus" سنة 311 م الذي خلف مونصريوس معتبرين توليه المنصب غير شرعي أيضا، حيث يعود عدم قبول السكان والأساقفة به إلى خيانتة وارتداده أثناء فترة الاضطهاد وحمله الكتب المقدسة إلى السلطة الرومانية لحرقتها¹، كما وجهت إليه تهمة إستعمال القوة والعنف في القضاء على المسيحيين الذين تظاهروا أمام سجن الشهداء بأبييتينا (Abathin) لتشتيت تجمعاتهم².

وجه إلى كايكليانوس "Caecilianus" طلب التتحي عن منصبه إلا أنه رفض ذلك وهذا ما أدى بالمعارضين إلى تنظيم أنفسهم واعتبروا دوناتوس "Donatus" زعيما وأسقفا عليهم، فكانت خطوة أولى نحو ظهور كنيسة مغايرة للكنيسة الموالية للإمبراطور³، إلا أن محمد المبكر⁴ يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يذكر أن هناك حزبين بإفريقيا، حزب يحبذ الولاء للحزب الإمبراطوري الشرعي ممثله الإسكندر، ويضم المدن الإدارية الكبرى مثل قرطاجه وقسنطينة (Cirta)، وحزب آخر مؤيد للإمبراطور المتسلط ماكسنطيوس "Maxentius" ويمثل النوميديين والأرياف، وهي العناصر التي أصبحت فيما بعد مناصرة للدوناتية.

تمثل الدوناتية* الإنشقاق عن الكنيسة الرسمية الكاثوليكية وتنسب إلى دونا "Dona" القرطاجي الذي كون كنيسة إفريقية مغايرة للكنيسة الكاثوليكية⁵، لكن بول مونصو "Paul Monceaux"⁶ يشير إلى أن هناك شخصيتين بهذا الإسم، الأول هو دوناتوس أسقف كازاي نيقراي (Casae Nigae)** والثاني هو دونا القرطاجي الذي خلف الأول وأكمل عمله التنظيمي

¹ Gautier (F), Le Passé de l'Afrique du Nord, Payot, Paris, 1942, p 286.

² محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 288.

³ محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، ص 407-408.

⁴ محمد المبكر، المرجع السابق، رقم 20، ص 26-27.

* يتضح أنه ليس هناك تاريخ محدد لظهور الحركة الدوناتية ببلاد المغرب القديم، إلا أن بوادرها الأولى يمكن إرجاعها لحركة نوفاتوس "Nuvatus" وأتباعه الذين واجهوا الأسقف كيبيريانوس "Cyprianus" المتسامح في قضية المرتدين، للمزيد، أنظر، محمد البشير شنيطي، المرجع السابق، رقم 2، ص 296-297.

⁵ Berthier(A), L'Algérie et son passé, éd, Picard, Paris, 1951, p 24.

⁶ Monceaux(P), op.cit, T4, pp 100-105.

** تقع شمال تازولنت "Lombaesis"، الواقعة شمال شرق باتنة.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

للكنيسة الدوناتية التي أعتبرت من الأحداث البارزة بإفريقيا الرومانية نظرا لشعبيتها لدى الأهالي، مما أدى إلى ازدياد عدد الكنائس الدوناتية في المنطقة ما يدل على حقد السكان وكرهيتهم للوجود الروماني¹.

2- الاعتراف بالمسيحية وتأثيرها على الوضع الديني ببلاد المغرب القديم:

أدركت السلطات الرومانية مع بداية القرن الرابع ميلادي أن العنف لا ينفع مع هؤلاء المسيحيين الذين هم في تزايد مستمر²، مما دفع بالإمبراطور قسطنطين "Constantinus" اعتناقه للديانة المسيحية وجعلها ديانة رسمية، ومنح حرية المعتقد والدين كما شجع حركة التنصير بموجب قانون ميلان "Millan" سنة 313م الذي يعد بمثابة مؤتمر سياسي هيمنت عليه إدارة الإمبراطورية، وبهذا فإن الإمبراطور قسطنطين يعتبر أول إمبراطور روماني اعتنق المسيحية بل وأقرها قانونا عاما للإمبراطورية³ كون أنه أعجب بنظام المسيحيين وطاعتهم لرؤسائهم الدينيين كما إتضح له أن النظام الكهنوتي وسلطان الكنيسة الدنيوي بما فيه الأساقفة والقساوسة اللذان يقيمان نظاما يناسب نظام الملكية الذي يعتبر أداة لتهدئة البلاد وتوحيدها⁴، مما يدل أن المسيحية كانت مجرد وسيلة لا غاية بالنسبة للإمبراطور قسطنطين وذلك من أجل كسب المؤيدين له خاصة وأن هذه الديانة عرفت انتشارا واسعا في أرجاء الإمبراطورية.

وكان لتحالف السلطة الرومانية مع الكنيسة أن أثر على حدة الخلافات بين المسيحيين ببلاد المغرب القديم إلى أن أصبح انشقاقا في صورة حزبين دينيين، تجسدا في حزب موالي للسلطة الرومانية يمثل الكنيسة الرسمية، وحزب معارض لهيمنة السلطة على الدين بزعامة الكنيسة الدوناتية⁵، كما أدى أيضا هذا التحالف إلى ازدياد حدة المقاومة الرافضة للوجود

¹ Mesnage(J), Le Christianisme en Afrique, origines développements, extension, Paris, 1914, p 114.

² شارل جنبير، المرجع السابق، 171.

³ إدوارد جيبون، المرجع السابق، ص 412.

⁴ ويل ديورانت، قصة الحضارة، م3، ص 692.

⁵ أحمد صقر، الإقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا، مدينة المغرب في التاريخ، ج 1، دار بوسلامة للنشر، تونس، ص 276.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الروماني ببلاد المغرب القديم على اعتبار أنه مجرد هيمنة روحية أضيفت إلى الهيمنة السياسية¹.

وتجدر الإشارة إلى أن موقف السلطة الرومانية من الدوناتية مرت بمرحلتين، فالمرحلة الأولى (313-347م) تميزت بتأييد الإمبراطور قسطنطين "Constantinus" لرجال الكنيسة الكاثوليكية ودعوته للقضاء على كل النزاعات وإقامة الوحدة الكنسية²، أما المرحلة الثانية (347-412م) فقد إستخدم الإمبراطور في عدائه للدوناتية العنف وهذا بعد فشله في استمالة الدوناتيين إلى جانبه بواسطة سياسة الإغراء، من خلال توزيعه للأموال لمختلف كنائس بلاد المغرب القديم، إلا أن الدوناتيين رفضوا صدقات الإمبراطور كما عرقلوا مهمة المبعوثين بولس "Pauls" وماكاربوس "Macarius" في إحصاء عدد الفقراء سنة 347م، مما أدى إلى تدخل الجيش لتطبيق أوامر الإمبراطور³.

ويبدو أن الشقاق الديني لم يكن سوى ستارا ظاهريا، ذلك أن الهدف الأساسي من قيام الدوناتية يتمثل في مقاومة الكنيسة الرسمية والحكم الأجنبي الروماني، ويظهر هذا في تحالف الدوناتية مع سكان نومديا، وقد كان أغليبتهم من الفلاحين والفقراء وحتى الطبقة الأرستقراطية ناصروها بكل ما لديهم⁴، لذلك أعتبرت الدوناتية أفضل معبر عن معاناة هؤلاء المحرومين من ممتلكاتهم مما أكسبها شعبية أكثر من الكنيسة الكاثوليكية⁵، كون أن الدوناتية تمسكت بالمعاني الإنسانية ومبادئ العدالة الإجتماعية القائمة على مقاومة البطش السياسي بالصبر وقوة الإيمان.

Monceaux(P), op.cit, T4, p 12.

¹ يوسابيوس القيصري، المرجع السابق، ص 447.

Decret (F), op.cit, p 140.

² أبو عمران الشيخ، «أغسطين العنابي ومقاومة الحركة الدوناتية»، مجلة الأصالة، العدد 34-35، وزارة التعليم العالي

والشؤون الدينية، مطبعة البعث، الجزائر، 1996.

³ محمد البشير شنياتي، المرجع السابق، ص 290-291.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

رابعا-ثورات القرن الرابع الميلادي ودورها في ضرب الإحتلال الروماني:

تزامن اشتداد الصراع الديني بين الكنيسة الكاثوليكية والحركة الدوناتية مع عجز الجيش النظامي لوضع حد لتهديدات الأهالي، خاصة القبائل النوميديّة والمورية التي قامت بالهجوم على المراكز الحضرية والإقتصاية داخل خط اللمس متسببة في خسائر كبيرة للمدن والمزارعين¹، إلا أن الدوناتية تمكنت من استقطاب العناصر المتضررة وعقدت التحالف معها أمثال الدوارين، بالإضافة إلى بعض الأمراء الذين يرغبون في التخلص من السيطرة الرومانية وعلى رأسهم فيرموس "Firmus" وجيلدون "Gildon".

1- ثورة الدوارين "Circumcelliones":

صنفت ثورة الدوارين ضمن تمرد عصابات يطوفون حول المزارع ومخازن الحبوب ثم يمارسون عمليّة السلب والنهب، لهذا أطلق عليهم تسمية الدوارين أي الذين يطوفون حول المخازن، ونظرا لأعمالهم فإنّ الكنيسة الدوناتية لم تكن على وفاق معهم ولم تبارك أعمالهم، وقد تبنت هذا الموقف الكنيسة العليا على عكس صغار رجال الدين الذين كانوا إلى جانب الثوار الريفيين لاحتكاكهم بمعاناة المستضعفين، فكانت لهذه المعارضة على أعمال الدوارين "Circumcelliones" من طرف أساقفة الدوناتية من جهة وأساقفة الكاثوليك من جهة أخرى أن قاموا بتحريض السلطة الرومانية ضد هؤلاء الخارجين عن القانون، ولتلبية طلب أساقفة الدوناتيين إشتكوا بهم إلى الدوق طورينيوس "Taurinus" الذي قاد بدوره الهجوم على الدوارين بمدينة أكتافيا (Octava) سنة 340م².

يتضح أنّ هذه الوشاية كانت من طرف أساقفة نوميديا الكبار الذين تعرضت مصالحهم الإقتصادية للتهديد من طرف الدوارين³، ذلك أنّ الدوناتيين في خضم المشاكل التي أثاروها لمبعوثي الإمبراطور بولس "Paulus" وماكاريوس "Macarius" من أجل فرض

¹ محمد الحبيب بشاري، « ثورة جيلدون »، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2016، ص 24.

² محمد المبكر، المرجع السابق، ص 179.

³ Decret (F), op.cit, p 150.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الوحدة الدينية وإحصاء عدد الفقراء، وهو ما رفضته الدوناتية مما أدى إلى بداية المواجهة مع السلطة الرومانية سنة 347م¹ وكذلك بداية تحول موقفها اتجاه الدوارين، حيث دعمت الحركة الدوناتية الدينية بحركة الدوارين الإجتماعية التي أعتبرت الجناح العسكري للدوناتية² وأصبح الدوارين يطلقون على أنفسهم جنود المسيح كما أسندت تسمية القديسين لبعض قادتهم أمثال أكسيديو "Axido" وفازير "Fasir"³

أصبحت حركة الدوارين ملتزمة بالدوناتية وجزء لا يتجزأ منها، فمن خلال الرسائل التي بعثها القديس أوغسطين "Saint Augustin" إلى بتيليانوس "Petlianus" وزملائه الأساقفة نلاحظ أنه لا يفرق بينهما، حيث أنه يخاطب الدوناتيين وكأنه يقصد الدوارين، فمثلا نجد قوله: « ... آه لو إستطعنا أن نصل إلى إتفاق معكم... ولا ترفعوا عصاكم لمجرد كلمة سمعتموها منا »⁴ ، فالمعروف أن الدوارين هم الذين اشتهروا باستخدام العصا في غاراتهم وليس الدوناتيون.

ولما كان الهدف الذي يجمع الحركة الدوناتية بالدوارين الذين فرضوا أنفسهم ببلاد المغرب القديم والوقوف في وجه آلية سياسة الرومنة إضطر الأثرياء إلى إعتناق الدوناتية في المدن والأرياف خوفا على مصالحهم وقام الأسياد بتسريح عبيدهم وإعلان عتقهم في المحاكم إمتثالا لأوامر الثوار الريفيين.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن التحالف الذي كان بين الدوناتيين والدوارين يعتبر ظرفيا تخلله نوع من الحذر والتخوف من جانب الدوناتيين⁵، ذلك أن الكنيسة في هذه الفترة كانت منقسمة على نفسها إلى جناحين، جناح معتدل يضم الإكليروس الأعلى الذي لا يجذب التعامل مع الدوارين وجناح متطرف يضم بعض الأساقفة ورجال الدين الصغار المتعاون مع

1 Decret (F), op.cit, p 150.

2 Ernest(M), Histoire de l'Afrique Septentrionale, depuis les temps les plus reculés , jusqu' à la conquête Française 1830, T1, éditeur Ernest Lerouse, Paris, 1888, p.

3 محمد الصغير غانم ، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ص447.

4 Saint Augustin, Lettre, Petil, II, XCL, d'après :

محمد المبكر، المرجع السابق، ص305

5 محمد البشير شنيطي، المرجع السابق، ص314.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

الدوارين، وقد إعتبر محمد المبكر¹ أنّ هذه العلاقة جاءت نتيجة فح نصبه الكاثوليك للدوناتيين وكان القديس أوغسطين "Saint Augustin" من ورائها، ذلك أن حركة الدوارين كانت مهددة للأمن نظرا لمهاجمتها للملاك وبما أن الدوارين يعتبرون دوناتيين فإن هذه الأخيرة عليها بتحمل مسؤولية تهديد الأمن، وبهذا سوف تحتج بأن لا علاقة لها بحركة الدوارين، وبالتالي يطلب الكاثوليك من الدوناتيين التكر للدوارين، ولكن هذا غير ممكن ذلك أن الدوارين يمثلون أنصار أقوىاء يمكن أن ينقلبوا ضدهم، كما أشار بول مونسو "Paul Monceaux"² إلى وجود ثلاثة مراحل أساسية مرت بها علاقة الدوناتيين بالدوارين، حيث أنها انتقلت من التناقض والاختلاف الفكري والمذهبي إلى علاقة التحالف والمساندة لتنتهي العلاقة بالحذر والترقب من طرف الدوناتيين.

وعلى العموم فإن الدوناتيين والدوارين يفتقرون إلى القيادة السياسية ذلك أن القيادة الدينية لم تكن كافية لقيادة الحركة إلى النصر النهائي، ما دفع بالدوارين إلى الإنضمام لحركة فيرموس، فأصبحوا يسمون برجال فيرموس "Ferminai"³، أما الدوناتية فقد استمرت في نزاعها مع الكنيسة الكاثوليكية⁴، ذلك أن الدوناتيين يرفضون أن يكونوا جزءا من الكنيسة الرسمية، وهذه الأخيرة ترفض إنفصالها عن الدوناتية.

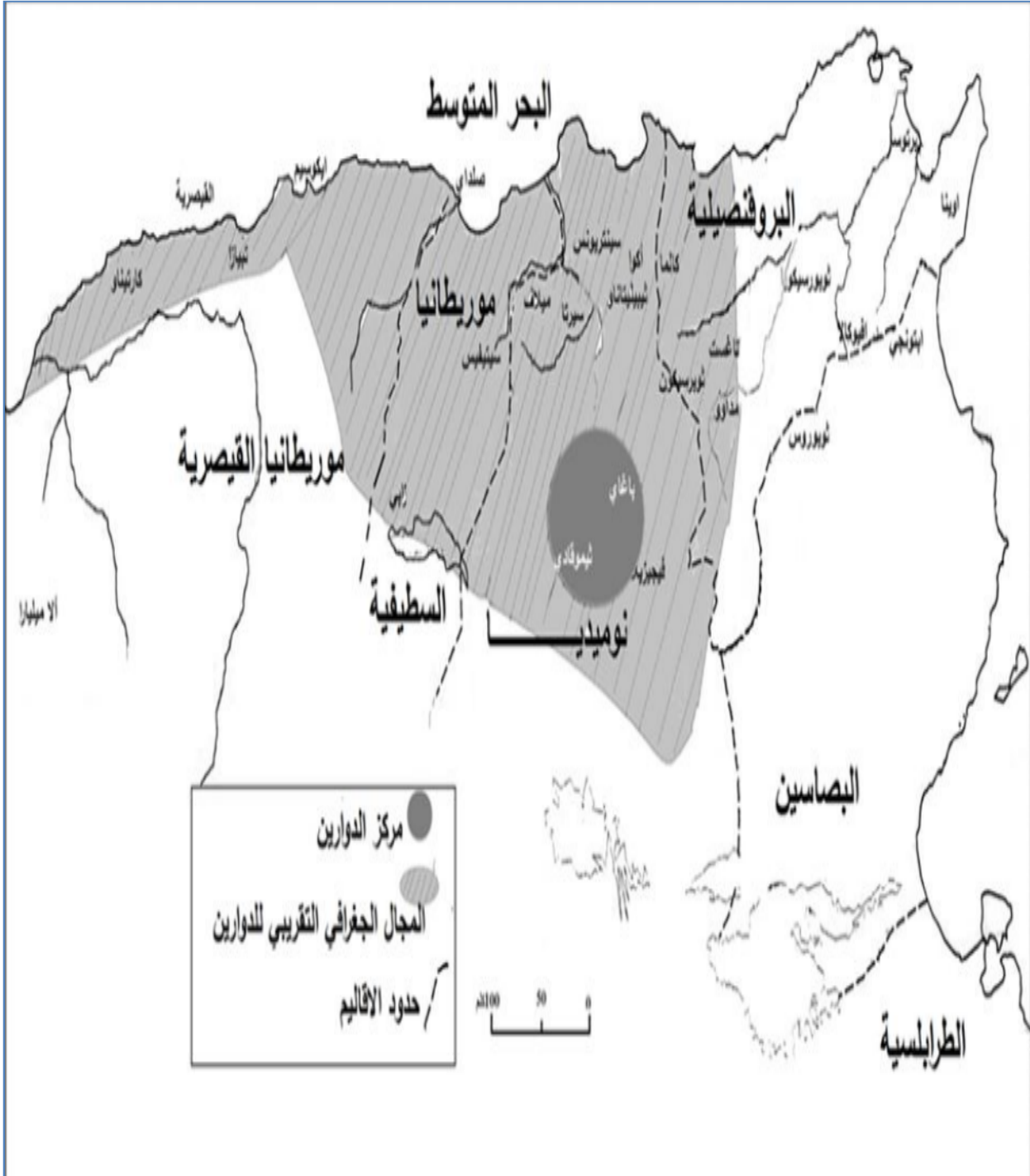
¹ محمد المبكر، المرجع السابق، ص 254.

² Monceau(P), T4, op.cit, pp 394,408.

³ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 315.

⁴ روبيه دانيل، التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى، تر، سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، 1999، ص 347.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي



الخريطة رقم 01: ثورة الدوايرين، عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم، ص 54.

2-ثورة فيرموس (372-375 م):

خلال الثلث الأخير من القرن الرابع ميلادي برزت شخصيات قوية ذات نفوذ واسع في المقاطعات القيصرية، تنتمي إلى أسر ملكية تتعامل مع حكام الرومان، ومن تلك الشخصيات نجد فيرموس "Firmus" الذي تزعم حركة العصيان لتخليص البلاد من السيطرة الرومانية¹.

يعتبر أميان مارسلان "Ammien Marcellin" المصدر الأساسي لهذه الثورة التي تمتد من جيجل ولمباز شرقا إلى تنس والشلف غربا، أوزيا ومسيلة جنوبا²، أما أسباب هذه الثورة فقد أرجعها أميانوس³ إلى القائد الروماني رومانوس "Romanus" الذي كان سببا مباشرا في إثارة الأمير فيرموس "Firmus" مما أدى بهذا الأخير إلى الانقلاب ضد السلطة الرومانية، ذلك أنّ رومانوس فرّق بين أبناء نوبل "Nobel"* من خلال مساندته لزمامك "Zammak"، مما أثار غضب فيرموس بقتل زمامك، فقام الكونت رومانوس بالثأر لمقتل زمامك وحرص على دفع شكاوى ضد فيرموس، وهذا ما سماه رونييه كانيا "René Cagnat"⁴ بالحرب الصامتة التي كانت على شكل مناوشات، إلا أنّ فيرموس تيقن هذا التخاذل وللفرار من العقاب أعلن الثورة ضد السلطة الرومانية ودعا الأهالي للإنضمام إليها⁵، ولكن إذا ما اعتمدنا على ما ذكره أميانوس يتبين لنا أنه حصر أسباب الثورة في إطار ضيق، باعتبارها مجرد مسألة شخصية

¹ محمد البشير شنيّتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري، اللبس الموريطاني ومقاومة المور، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 253-254.

² محمد الهادي حارش، «ثورة فرموس»، مجلة الدراسات التاريخية، العدد السابع، الجزائر، 1993، ص 11.

³ Ammien (M), Histoire Romain, trad, Nizard(M), firmin, didot, frères, Paris, XXIX , 2-3.
* نوبل: عين من طرف السلطات الرومانية على رأس قبيلة اليوباليني(سور الغزلان)، ومنح له لقب ملك، يعتبر من أقوى زعماء قبائل موريطانيا القيصرية، بعد وفاته ترك عدة أولاد منهم فيرموس، زمامك وجيلدون، الذين لهم أدوار سياسية، أنظر، خديجة منصور، «ثورة فيرموس»، مجلة أبحاث في التاريخ والتراث، العدد الأول، وهران، 1996، ص 77.

⁴ Cagnat(R) , l'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, T1, Paris , 1912 , p 78.

⁵ Lacroix(L), Histoire de la Numidie et des Maurétanie, des origines jusqu'à l'invasion vandale, Alger, 2004, p 186.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

وخلاف بين الأخوين ورغبة في الانتقام، كون أنه اكتفى بتتبع حملة ثيودوز على إفريقيا ضد فيرموس دون تطرقه إلى الأسباب الحقيقية للثورة.

يتضح أن الدوافع والظروف التي أدت إلى قيام ثورة فيرموس "Firmus" تعود إلى سوء الأوضاع الاقتصادية للسكان الناجمة عن السياسة الضريبية المتبعة من طرف الإمبراطور فالنتيان "Valentinianus"، بالإضافة إلى عمليات الإستلاء على الأراضي الزراعية وتشريد أصحابها¹، وكذا الصراع الديني بين الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية، ذلك أن انشقاق الدوناتيين عن الكنيسة الرسمية تعد الفرصة المنتظرة للوقوف ضد عبودية تحملوها عن إكراه²، وبالتالي تحالفوا مع فيرموس كما تحالف فيرموس معهم، من خلال تقديم الدوناتيين تدعيم عسكري بإمداده بجيش وتجنيد الأهالي، في حين مثل فيرموس القيادة عليهم³، وقد تحدث محمد البشير شنييتي⁴ عن وجود محركات خفية لثورة فيرموس تمثلت في تطلع الإمارات المورية المعادية لروما، وكذلك عن قابلية المجتمع المدني والزيفي المتأثر بالمسيحية إلى التمرد على السلطة لصالح الحركة الدوناتية التي تستخدم جماعات الدوارين كطلائع ثورية قوية، وأشار رونييه كانيا "René Cagnat"⁵ إلى العوامل المساعدة على قيام هذه الثورة والمتمثلة في عجز أجهزة الإمبراطور الإدارية والدفاعية عن القيام بأنشطة أمنية رادعة، وقد لخص قيام ثورة فيرموس في أسباب دينية وانتقام شخصي ومطالب استقلالية .

لم يعلن فيرموس "Firmus" الثورة إلا بعد أن نصب نفسه ملكا وذلك بعد ارتدائه للحلة الأرجوانية⁶ ووضع التاج على رأسه كما تحالف مع قبائل موريطانيا، وكانت انطلاقة الثورة بالإستيلاء على قيصرية شرشال (Caesarea) وحرقتها⁷، كما استولى على الجزائر (Icusime) ونجح في السيطرة على المدن الواقعة بسهول متيجة، وسهول الشلف والجبال المجاورة لها وكذا تنس وسور الغزلان (Auzia)، ولكن فيرموس فشل في الإستلاء على تيبازة (Tafza) رغم

¹ خديجة منصور، المرجع السابق، ص78.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص12.

³ Cagnat(R), op.cit, p79.

⁴ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص360.

⁵ Cagnat(R), op.cit, p80.

⁶ Ammien (M), op.cit, XXIX, 48-4 .

⁷ Cagnat (R), op.cit, p80.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

محاصرتها لمدة ثمانية أيام وما يدل على هذا الفشل هو لجوء فيرموس إلى كنيسة القديسة سالسا(على التلة الشرقية لتييازة) لطلب الحماية¹، وبهذه الانتصارات وجد الكونت رومانوس "Romanus" نفسه عاجزا أمام فيرموس مما أثار قلق الإمبراطور فالينتيان "Valentinianus"² خاصة بعد انضمام فرق من الجيش الروماني إلى جانب فيرموس.

إضطر الإمبراطور فالينتيان لإرسال حملة ضد فيرموس بقيادة الكونت ثيودوز "Theodose" الذي يعتبر من أحسن الضباط وقد نزل بجيجل (Igilis)³ وسحب قيادة العمليات من القائد رومانوس وكلفه بحراسة الحدود والدفاع عنها، خاصة من جانب القيصرية⁴، وعين جيلدون "Gildon" والقائد ماكسيموس لتولي مهمة القبض على فيمكيتبوس شريك رومانوس في أعماله التعسفية⁵، وبالتالي توجه ثيودوز نحو سطيف "Sitifis" التي أصبحت قاعدة لعملياته العسكرية مع فرقه من المشاة والفرسان وقوة من الجيش النظامي الذي يتكون من المرتزقة والفرق المساعدة من العناصر التي كانت على دراية بالبلاد جغرافيا وبشريا⁶، ولربح الوقت من طرف فيرموس "Firmus" طلب إبرام الصلح الذي قبله ثيودوز "Theodose" بشرط أن يسلم فيرموس الرهائن، إلا أنه رفض ذلك ما أدى لإلغاء الصلح⁷.

توجه ثيودوز بعد ذلك نحو بانشاريا "Panchariane" على طريق تازولت (Lambaesis) من أجل تفقد فرق إفريقيا ثم عاد بعدها إلى سطيف⁸ أين رفض استقبال الوفد الثاني الذي بعثه

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 82.

² Lacroix (L), op. cit, p 188.

³ Gsell (S), l'Algérie dans l'Antiquité, éd, Adoulphe Jourdan, Alger, 1903, p 100.

⁴ Cagnat (R) , op.cit, p 81-82.

⁵ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 83 .

⁶ محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري، ص 418 .

⁷ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، 13.

⁸ Cagnat (R), op.cit, p 83.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

فيرموس لعدم إحضاره للرهائن المتفق عليها¹، وقام بمهاجمة قبائل ميسينيس وتدين التي كانت تحت قيادة شقيقي فيرموس، ماقرال "Maczel" وديوس "Dius"، إلا أنهما انهزما وتم السيطرة على ممتلكاتهما²، كما نجح ثيودوز في الإستلاء على أبيدوم لامفكتانس (Appidum Lamfoctense) التي اتخذها مخزنا للتموين³.

أمام هذه الضغوطات أرسل فيرموس هذه المرة مجموعة من الأساقفة لطلب الصلح من طرف ثيودوز، حيث قام بتسليم الرهائن كما وافقوا على مطالب ثيودوز المتعلقة بتموين جيشه خاصة، فالتقى فيرموس بثيودوز وقدم له كميات من المؤن ووعده بإطلاق سراح الأسرى⁴.

لما أدرك ثيودوز "Théodose" أن فيرموس "Firmus" بصدد الإعداد لهجوم جديد إنتقل إلى تيبازة (Tafza) ومنها إلى قيصرية التي وجه فيها نداء للجماهير من خلف أسوارها، حيث وعد من خلاله الأهالي بالعفو والمكافأة إن تخلو عن فيرموس⁵، وبالفعل فقد تأثرت بعض القبائل بالوعد الزائفة التي كانت روما تعدهم بها وتخلت عن مساندة فيرموس.

توجه فيرموس إلى إيغمازن "Igmassen" زعيم قبيلة إزفلانس (Isaflenses) من أجل استجماع قواته من جديد بمساعدة أخيه مازوكا "Masuca"، إلا أن ثيودوز لحقه فوقت المعركة الفاصلة بينهما⁶، وقد استعمل ثيودوز في هذه المعركة أسلوب الأرض المحروقة مما جعل السكان العزل يطلبون من فيرموس بضرورة طلب الهدنة، كما تحالف الملك إيغمازن مع ثيودوز في ظل انتصارات ووعده بالمساعدة بالقبض على فيرموس، وقد فعل ذلك عندما

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 7.

Cagnat (R), op. cit, p 83 .

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 13.

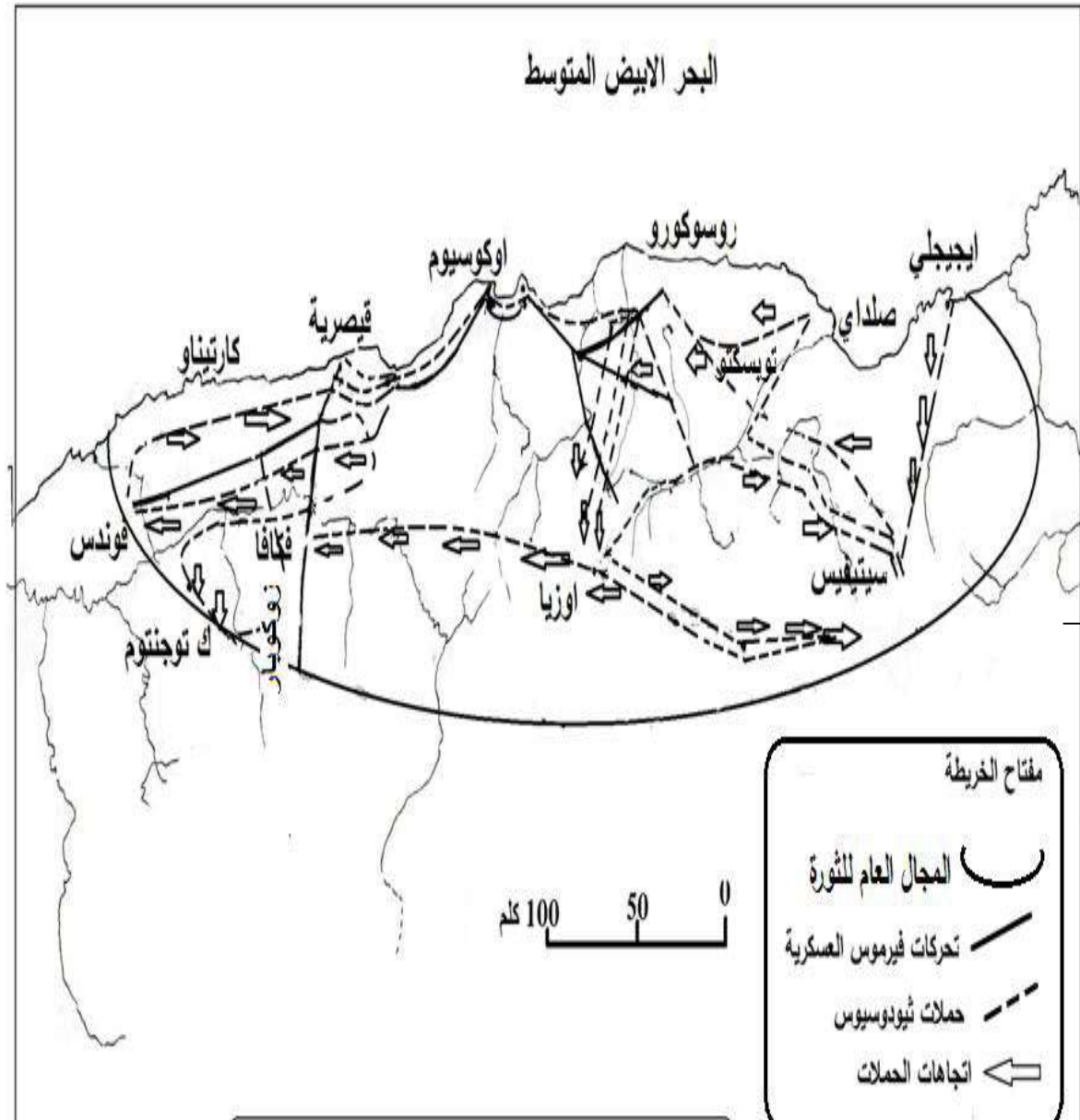
Ammien (M), op.cit, XXIX, 5-15.

Cagnat (R), op.cit, p 86.

⁶ Dureau de Malle, Algérie, Histoire des guerres des Romains, des Byzantins et des Vandales, Paris, 1858, p 208 .

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

حاول فيرموس الفرار فتم تسليمه إلى ثيودوز¹، غير أن فيرموس لم يستسلم للأمر الواقع، حيث أنه فضل الإنتحار على أن يقع بين أيدي أعدائه وذلك في سنة 375م².



الخريطة رقم 02 : المجال الجغرافي لثورة فيرموس، عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم، ص 273.

Ammien (M) , op.cit, XXIX , 51-55.
Dureau de la Malle, op.cit, p 209.

1
2

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

وقد ترتب عن ثورة فيرموس "Firmus"، عدة نتائج نلخصها في:

-استعادة ثيودوز "Théodose" الاعتبار لروما.

-عدم إقامة العلامات الحدودية بين المناطق الخاضعة للإدارة الرومانية بصفة مباشرة وبين المناطق التي ترك أمرها لنفوذ الأمراء الأحلاف مثل إيغمازن "Igmassen".

-عدم نزع الثقة لعائلة فيرموس بصفة نهائية، ودليل ذلك هو تعيين جيلدون حاكما على إفريقيا.

-إصدار الإمبراطور غرانتيانوس "Gratianus" قرارا بمصادرة جميع الأماكن التي يجتمع فيها الدوناتيون باعتبارهم شركاء فيرموس ومعاقبة كل الحكام الذين لا يطبقون هذا الحكم¹.

3-حرب جيلدون "Gildon" سنة 398م:

برزت شخصية أخرى إثر القضاء على ثورة فيرموس ذات نزعة استقلالية مناهضة للسلطة الرومانية تمثلت في شخصية جيلدون "Gildon"* أحد أبناء نوبل الذي تحالف مع القائد الروماني ثيودوز وكان مساعدا له ضد إخوته خاصة مع فيرموس، وقد كافأته روما على موقفه هذا بمنحه تولي عدة مسؤوليات عسكرية حتى عين سنة 385م قائدا للقوات الرومانية في إفريقية "Comes Africae"، ومنح لقب الرجل الشريف "Vir Spectabilis" وهو ما سمح له بقيادة كل القوات الرومانية بإفريقيا، حتى وإن لا نعرف بالضبط المقاطعات التي كانت خاضعة له، كما سمح له منصبه حق عقد الاتفاقيات مع زعماء القبائل النوميدية والمورية لتجنيد وحدات قتالية عند الضرورة².

¹ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 365.

*كان جيلدون وثنيا، وقد تزوج من امرأة مسيحية نجهل كم أنجبت له من الأولاد، لكن نعرف أن إحدى بناته وتسمى صالفينا كانت مثل أمها مسيحية التي تزوجت بالأمير نبرديوس حفيد الإمبراطورة فلاسيا زوجة الإمبراطور ثيودوز، وما يبرز المكانة التي كان تحظى بها زوجة جيلدون وابنته أنهما عاشتا ببقية حياتهما بعد مقتلته وموت نبرديوس في القصر الإمبراطوري في أمان، في الوقت الذي كان فيه ستيلكون وزير الإمبراطور هونوريوس وعدو جيلدون يتحكم في مقاليد السلطة، أنظر، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 153-154.

² نفسه، 153.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

بعد وفاة الإمبراطور فالنتينيان "Valentinianus" اعتلى العرش ثيودوز الصغير "Theodos" الذي عين جيلدون "Gildon" حاكما على مقاطعة إفريقيا¹، إلا أن هذا الأخير كان ينتظر الفرصة المناسبة للتخلص من التبعية الرومانية على الرغم من الوفاء الذي كان يكتفه لثيودوز، وتحقق له ذلك من خلال رفضه تقديم المساعدات الضرورية المادية والبشرية للإمبراطور بين سنوات 386-388م من أجل التصدي للمتمرد ماكسيم "Maxime" بل ودعم هذا الأخير بالحبوب وتعامل معه كأنه الإمبراطور الشرعي²، كما رفض أيضا جيلدون سنة 392م دعم الإمبراطور ضد أوجين "Augène"³، ويبدو أن الإمبراطور ثيودوز لم ينقم على جيلدون لشعوره بحاجته الماسة إليه وإلى القمح الإفريقي الذي الذي يتحكم فيه.

وعند وفاة ثيودوز سنة 395م قسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين ، إمبراطورية غربية بزعامة هونوريوس "Honirius" وأخرى شرقية بزعامة أركاديوس "Arcadius"⁴، ونضرا للصراع الذي دبّ بين أبناء الإمبراطور اغتم جيلدون الفرصة لتقوية مركزه⁵، مما يوحى إلى بداية انفصاله عن السلطة الرومانية رغم ما قدمت له من إغراءات⁶، وأهم ما قام به جيلدون للوقوف في وجه روما منعه تموينها بالقمح باعتباره أهم مورد غذائي للرومان بداية من سنة 397م⁷، وكانت نتيجة هذا القرار أن أصبحت روما مهددة بالمجاعة فأعلنت بذلك حالة الطوارئ وطلب الوزير ستيلكون الحاكم الفعلي لإمبراطورية الغرب من مجلس الشيوخ إعلان جيلدون عدو الشعب الروماني "Hostis Publicus"، وهو القرار الذي شجع جيلدون على التحرر من سيطرة إمبراطورية الغرب معلنا تمرده عليها وتبعيته لإمبراطورية الشرق وهو ما رحب به رحب به أوتروب "Eutrope" وزير أركاديوس، إلا أنه كان قرار مؤقت في انتظار الفرصة المناسبة لإعلان استقلاله التام⁸.

Cagnat (R), op.cit, p 91.

¹ محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 154.

Cagnat (R), op.cit, p 92.

² Julien (Ch.A), Histoire de l'Afrique du Nord, éd, Payot, Paris, 1969, p 267.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 424.

⁴ Ernest (M), op.cit, p 136.

⁵ Cagnat (R), op.cit, p 93.

⁶ محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 155.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي

وكما هو متعارف عليه لدى السلطة الرومانية فقد احتفظت بأحد أفراد الأسرة الملكية لوقت الحاجة إليه، فلما استنفذت حاجتها من جيلدون لجأت إلى ماسيزل "Masizel" الذي يكن الكراهية لأخيه، وهذا ما استغلته السلطة الرومانية وجهزت جيشا بقيادة ماسيزل معلنا الحرب على القائد الموري جيلدون¹، ما دفع هذا الأخير إلى جمع حوالي سبعين ألف (70000) رجل فيهم الجيتوليين والدوناتيون² والغرامنت والناسمون ومن مختلف القبائل المورية والنوميديّة والنوبية، إلى جانب تسخيره للقوات الرومانية المرابطة في المنطقة والتي كانت تحت قيادته، فقد كان لانضمام كل أطراف المجتمع الإفريقي إلى جيلدون أن أعطى الثورة طابعا تحرريا واجتماعيا ودينيا³.

وفي سنة 398م بدأت الحرب بين الطرفين إثر إرسال ستيلكون جيشا متكونا من خمسة آلاف (5000) مقاتل ضمت قدماء المحاربين وفرق أغسطية بقيادة ماسيزل الذي أصبح قائدا للجيش الرومانية⁴، وقد التقى الجيشان في منطقة أردليو (Aradlio) مابين حيدرة (Amaedara) وتبسة (Theveste)، وبعد مناوشات عديدة فشل جيش جيلدون واستقل قاربا باتجاه بيزنطا، ولكن الرياح حلت دون مبتغاه، فتحول مساره نحو طبرقة (Thabraca) التي تم فيها القبض عليه، إلا أنه فضل الانتحار⁵، أما نهاية ماسيزل "Masizel" فقد كانت أبشع من أخيه، حيث أن الوزير الروماني أمر باغتياله وأشاع بأن جنيا قتله في أحد شوارع روما⁶.

¹ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 224.

Julien (CH.A), op.cit, p 268.

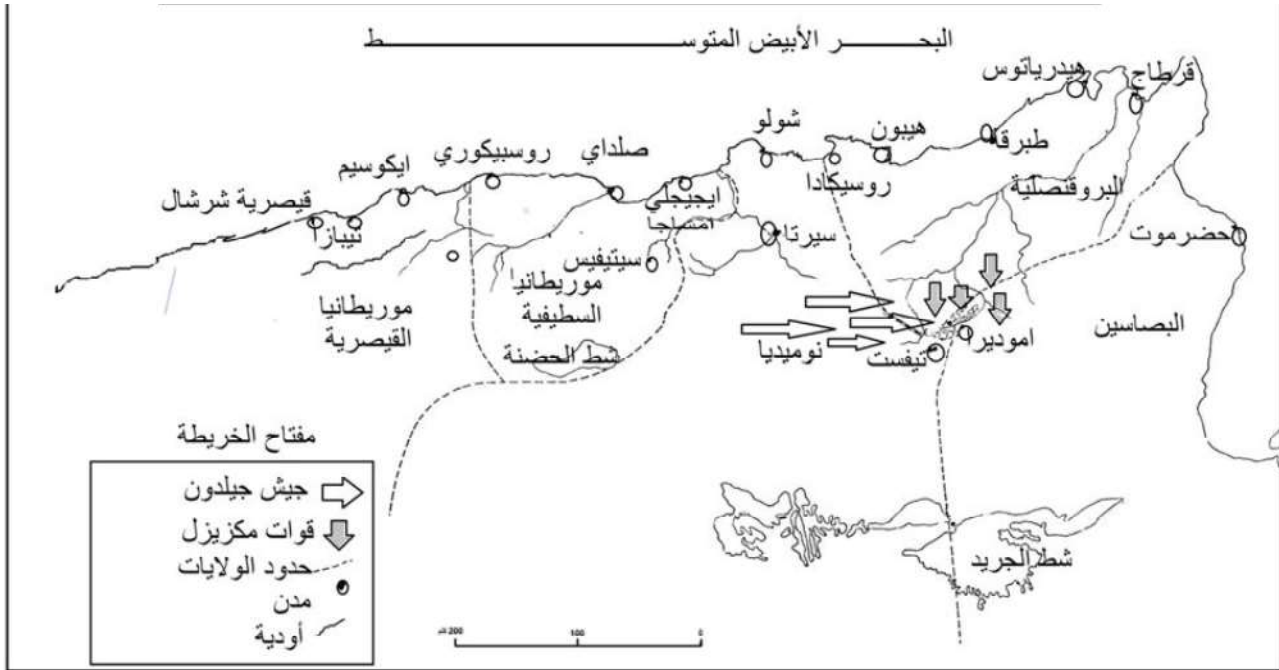
² محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، صص 156، 158.

Ernest (M), op.cit, p 137-138.

Cagnat (R), op.cit, p 95.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 425.

الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي



الخريطة رقم 03: موقع المعركة الفاصلة بين جيلدون وقوات ماسيزل، عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم، ص 283.

ومن النتائج المترتبة عن حرب جيلدون، القبض على أوبطما التماقادي "Optatus de Thamuges" أسقف تيمقاد الذي كان من ضمن المساعدين الأساسيين لجيلدون "Gildon" حيث أُلقي فيه إلى غاية وفاته¹، بالإضافة إلى مصادرة أموال وأملاك جيلدون وذلك بتعيين موظف من أجل القيام بهذه المهمة "Comes Patrimou Gildomai"، وقمع الأهالي خاصة العناصر الموالية للحركة الدوناتية، ما أدى لتوالي الانتفاضات التي بدورها أضعفت الإحتلال الروماني ببلاد المغرب القديم²، وهذا ما اغتتمه الوندال الذين تلقوا الدعم من طرف الأهالي.

ومن دراستنا لأوضاع بلاد المغرب القديم خلال الفترة المتأخرة من الحكم الروماني نلمس الكثير من التغيرات والأزمات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وحتى تطورات دينية غيرت وقلبت الكثير من موازين المجتمع في هذه الفترة، وكل هذا أدى إلى قلب وتغيير القوى في غرب البحر المتوسط.

Ernest (M), op.cit, p 138.

1

² محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 425-426.

الفصل الأول: التركيبة البشرية ببلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس الميلادي.

أولا- ماهية المور

ثانيا- القبائل المورية

1- القبائل الصحراوية الطرابلسية

2- قبائل إمارة المزاق

3- قبائل موريطانيا الطنجية والقيصرية

4- قبائل الأوراسيين

5- القبائل المجهولة

ثالثا- الممالك المورية

1- الممالك الشرقية

أ- مملكة الأوراس

ب- مملكة الحضنة

2- ممالك ولاية الطرابلسية والمزاق

أ- مملكة كابون بالطرابلسية

ب- مملكة أنطلاس بالمزاق

3- الممالك الغربية

أ- مملكة ألتافا

ب- مملكة لجدار

رابعا- الأجناس الأخرى الموجودة ببلاد المغرب القديم:

1- الأجناس الشرقية

أ- الفينيقيون / ب- اليهود

2- الأجناس الشمالية :

أ- الإغريق / ب- الرومان

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

عرفت التركيبة البشرية ببلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس الميلادي تغيرات مهمة؛ حيث تميزت هذه الفترة بتحويلات عميقة في نظام الحكم خاصة من ناحية تقسيم الإمبراطورية إداريا واعتناق المسيحية كدين رسمي للدولة وهو ما انعكس على المجتمع المغاربي بطريقة مباشرة إلى جانب الزحف الوندالي سنة 429 م.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الفترة التي شملها القرن الخامس الميلادي قد عرفت نقصا في الكتابة حول مجريات أحداث المنطقة نظرا لعدم إهتمام الوندال بها خاصة تلك المتعلقة بالمجالات السياسية والاجتماعية، وكذلك تفهقر الحضارة الرومانية وانكماشها، أما أغلبية المصادر التي تطرقت للأحداث فقد جاءت من طرف الكتّاب اللاتين الذين إهتموا بحياة أجناسهم وتأثيراتها عليهم، فلم يهتم هؤلاء بالعنصر المحلي والأجنبي في المنطقة بالإضافة إلى الصبغة العدائية التي تميز بها المؤرخون خاصة الكاثوليك منهم إتجاه المور والوندال.

برزت خلال القرن الخامس الميلادي ببلاد المغرب القديم إمارت وممالك مورية كان لها تأثير بالغ على الأحداث السياسية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وهذا ما يدفعنا للتعرف على هذه الإمارات المورية ودورها سياسيا وعسكريا إتجاه الطامعين في أراضي المنطقة وكيف أصبحت الخريطة البشرية خلال الفترة الوندالية.

أولا- ماهية المور:

من خلال العودة للجذور التاريخية لتشكل الكيان الموري نجد أنّ معظم الكتابات التي تطرقت لها عبارة عن فرضيات مبنية على نصوص أدبية وشواهد أثرية ضئيلة وجزئية، ذلك أنّ الباحثين الأوروبيين المؤمنين بمبدأ الإستمرارية في التاريخ¹ عملوا جاهدين على ملء الفراغات للحد من الغموض الذي يلف تاريخ هذه الممالك المورية.

يبدو أنّ مصطلح المور كان محل إختلاف بين الباحثين، فمنهم من رآه لفظا قديما أطلقه الأهالي على أنفسهم وهو مشتق من جذر لغوي قديم أور "Aour" بمعنى الموقع أو

¹ عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب قبل الإسلام، الممالك المورية الأمازيغية قبل الإحتلال الروماني، قراءة جديدة، 1975، ص 40.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

الجبيل، فيكون مور الجبليين أو أهل الجبل¹، ذلك أنّ هذه العبارة ظلت متداولة في منطقة جبال عمور بالجزائر إلى أواخر القرن 19م، كما يمكن أن تكون أيضا مشتقة من لفظ الأوراس²، ولكن حسب ما أشارت إليه بوشارب سلوى³ فإنّ رين "H. Rinn"⁴ حاول إيجاد علاقة بين موري وأور ومقاربتهما مع إسمي المنطقتين الجبليتين في الأطلس الصحراوي عمورو أو أمورو وأوراس "M(aures) et (Amaur)"، في حين ترجح بعض المصادر حسبما يذكر ستيفان قزال "Stéphane Gsell"⁵ أنّ مصطلح موري "Mauri" من أصل فينيقي مأخوذ من اللفظة ماحوريم التي تعني الغرب، ويقابلها المصطلح الإغريقي هيسبيريا "Hesperis" للدلالة على أقصى الغرب وهي منطقة غروب الشمس⁶، ما يدل على أنّ التسمية ترتبط بالإطار الجغرافي.

أعتبر الجغرافيين الإغريق القدامى أول من إستعمل لفظ موريزيا "Maurusio" للدلالة على الرقعة الجغرافية الأكثر بعدا بالنسبة لبلادهم من ليبيا أي في المنطقة التي تقع في أقصى الغرب وعلى السكان معا إستنادا لما أورده ديودور الصقلي "Diodore de Sicile"⁷ خلال القرن الخامس ق.م، كما يعتبر بوليبيوس "Polybe"⁸ أقدم مؤرخ ذكر إسم الموريين وأن سكانهم كانت بمحاذاة المحيط، وذلك أثناء حديثه عن الشعوب المساهمة في جيوش القائد القرطاجي حنبعل "Hannibal" إعتادا على نقيشة برونزية عثر عليها بإيطاليا تخلد بعض

¹ Rinn (L), « Les premières royaumes berbères et la guerre de Jugurtha », R. Afr, T169, 1885, p 244-245.

² محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات إقتصادية وإجتماعية في ظل الإحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص197.

³ بوشارب سلوى، « أشكال التنظيمات الإجتماعية بالمغرب الديم من خلال المصادر المادية، دراسة في الأصول والتطور «، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 480.

⁴ Rinn (H), op.cit, p 244-245.

⁵ Gsell(S), H. A. A.N, T5, les Royaumes indigènes organisation sociale politique et économique, Librairie Hachette, Paris, 1927, p 89.

⁶ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 196.

⁷ Diodorus, XIII, 80,3-28, d'Après :

محمد اللبار، « الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م «، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس-فاس، العدد 4، 2000، ص 29.

⁸ Polybe, Histoire Romaine, trad, Denis Roussel, éd, Gallimard, Paris, 1970 , III, I, 3.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

إنتصارات هذا القائد¹، ما يدل على أنّ المؤرخين اللاتين الأوائل تأثروا بالتسمية الإغريقية موريزيا ومنهم تيت ليف "Tite Live"² الذي ورد عنده بتسمية موريزي "Maurusii" وهي التسمية التي حرفت فيما بعد إلى موري "Mauri".

كان مصطلح المور متداول بين الأهالي والرومان على السواء، فقد أشار في ذلك سترابون "Strabon"³ على أنّ الملك الموري بوخوس "Bocckus I" الذي تمكن بنوا جلدته أن يحافظوا على إستقلال المملكة طيلة ثلاثة قرون من بعده داخل كيان يمتد ما بين نهر الملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا مغتتمين كل فرصة لتوسيع منطقة نفوذهم في إتجاه الشرق، وقد تمكنوا بقيادة ملكهم أن يوسعوا من مملكتهم في نوميديا الغربية على حساب جيرانهم أنذاك الماسليين "Massyles" وأن يصل بحدودها إلى واد الشلف سنة 105ق.م بمساعدة الرومان، كما تمكن خليفته من بعده بوخوس الثاني "Bocckus II" أن يبسط نفوذه في حدود سنة 38ق.م على رقعة شاسعة تمتد ما بين المحيط الأطلسي غربا وواد الواد الكبير (Ampsaga) شرقا⁴.

ونجد أنّ سالوست "Sallust"⁵ قد أرجع مصطلح المور إلى أصل ميدي من آسيا الصغرى والذين إنتقلوا في رحلة بحرية إلى ما وراء أعمدة هرقل ومنها إلى إفريقيا، وقد تم تحريف تسمية الميدين فيما بعد من طرف الليبيين وفق للغتهم إلى إسم المور، بينما ذكر كل من بطلموس وبلينوس قبيلة تدعى موري وراء نهر الملوية وهي تمثل عصبية الملك الموري⁶، مما يدل على أنها كنفدرالية قبلية تشكلت إنطلاقا منها المملكة المورية.

كما وردت تسمية المور أيضا لدى بعض المؤرخين الذين عاصروا أحداث القرن الثالث والرابع الميلاديين أمثال، أميانوس "Ammien Marcellin"، زوسيم "Zosimus"،

¹ محمد اللبار، المرجع السابق، ص 29.

² Tite Live, Histoire Romaine, Trad, Lasser (E), éd, Libraire Garnier Frères, Paris, 1950, XXIV, 4, 5.

³ Strabon , Géographie De Strabon, trd, Amédée (T), T1, Librairie de Hachette (L), Paris, 1867, III, I, 7-8,32.

⁴ محمد اللبار، المرجع السابق، ص 29.

⁵ Salluste, Guerre de Jugurtha, trd, Ernout(A), éd, Les Belles Lettres, Paris, 1974, XIX.

⁶ محمد البشير شنياتي، التغيرات الإقتصادية والإجماعية، ص 158.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

كوريبوس "Crippius" وكذلك لدى رجال الدين أمثال كيبريانوس "Cyprianus"، سانت أوغستين "Saint Augustin"، فكان بعضها مدحا تجسدت في مشاركة المور إلى جانب الرومان أين تذكر خصالهم العسكرية، ولكن كثير منها كانت إحتقارا، حيث نجد كوريبوس يصف المور بالهمجيين والمتوحشين المخادعين والماكرين كما شبه معيشتهم بمملكة الحيوان.

وإلى جانب هذه المصادر الأدبية التي تناولت المور نجد أيضا هذا المصطلح في الدراسات الأثرية والتي منها الأبحاث التي أجريت بجنوة (سيدي سليمان) المؤرخة بنهاية القرن الرابع ق.م والتي تم العثور فيها على مخلفات لشخص من نفوذ السلطة الحاكمة ما يدل على وجود إمارة بالمنطقة الغربية تابعة للملوك الموريين منذ القرن الرابع ق.م وبداية القرن الثالث ق.م¹، وكذلك لوحة بنازا (Banasa) التي تتمثل في نقش لوثيقة على صفيحة من البرنز في ضواحي الشمال الغربي (بالمغرب حاليا) تعود لسنة 177م تتحدث عن إجراءات منح حق المواطنة وصيغها، وقد أشارت إلى أن المور المجندين في الجيش الروماني لهم إجراءات خاصة، ذلك أنهم بعد مسيرة خدمتهم في الجيش تمنح لهم حق المواطنة مع منحهم أراضي على طول خط اللمس مقابل توريث أبنائهم الخدمة العسكرية، وإلى جانب أبحاث جنوة وبانازا، نجد أيضا النقوش التي عثر عليها في مدينة ويلي "Volubilis" والتي وصل عددها 12 نقش تتعلق بمحادثات واتفاقيات سلام بين الرومان والبقواط²، وكذلك النقيشة الأثرية للملك الموري ماصونا "Masuna" الذي يدعي نفسه ملك المور والرومان: " Regis Masunae Gentium Maurorum Romanorum"³.

ويعتبر غابريال كومبس "Gabriel Camps"⁴ أن تسمية المور مصطلح إداري أوجده السطات الرومانية للدلالة على إقليم جغرافي معين في موريطانيا خاصة، ولكن في المقابل

¹ عبد العزيز أكير، المرجع السابق، ص 242.

² خالد محفوظ، «مقاومة القبائل المورية ضد الإحتلال الروماني خلال القرن الثالث»، بحث في العلاقات المورية الرومانية، مجلة الدراسات التراثية، الجزء الأول، العدد 5، الجزائر، 2014، ص 201-202.

³ Camps (G), " Rex gentium Maurorum et Romanorum, Recherches sur les royaumes de Maurétanie des Vie et VIIe siècles ", in : Ant.Afr, 20,1984, p 199.

⁴ Camps (G), " Qui Sont les DII mauri ? ", Ant. Afr, T26, 1999, p 131-132.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

لا يمكن أن نستثني السكان المحليين، فلا يمكن أن تكون التسمية متعلقة فقط بالغرب بل يمكن القول أن المور وظفته السلطات الرومانية للدلالة على القبائل المحلية التي كثيرا ما تسببت التوتر للروماني وتهديده.

وبداية من القرن الثالث الميلادي إستخدم هذا المصطلح لتمييز الأشخاص الذين لا تحكمهم الإدارة الرومانية ثم بعدها قصد به كل الأهالي غير المترومينين¹، مما جعل إسم المور متداول بين سكان بلاد المغرب القديم من المحيط الأطلسي إلى برقة "Cyrénaique"²، وبالتالي عملت الإمبراطورية الرومانية على الحد من التحالفات الظرفية التي تشكلها القبائل المورية كون أنها تمثل خطرا عليها وتهدد مصالحها بالمنطقة، ذلك أن هذه التحالفات حسب ما أشار إليها محمد البشير شنيتي³ تعتبر: «محاولات لاستعادة الوحدة السياسية والعسكرية ذات المضمون الكونفدرالي الذي درجت عليه بلاد المغرب القديم من فجر التاريخ، وبلغ أوجّه في الممالك النوميديّة والمورية عشية الإحتلال الروماني وأثناء الإحتلال الوندالي» .

وبهذا إستمر إستخدام مصطلح المور للأهالي الرافضة للخضوع للسيادة الرومانية خلال القرن الرابع فالخامس والسادس الميلادي، أي الذين كانوا خارج السيادة الرومانية فالوندالية ثم البيزنطية، حيث عم مصطلح المور سكان المناطق الفالطة من أيدي حكام المقاطعات في كل من موريطانيا القيصرية ونوميديا منذ القرن الرابع الميلادي، فقد تكرر الإسم لدى أميان مارسلان "Ammien Marcellin" عند حديثه عن ثورة فيرموس وجيلدون ضد الرومان، ثم تردد هذا المصطلح على لسان الأساقفة الكاثوليك المعاصرين للعهد الوندالي أمثال فيكتور دفيتا "Victor de Vita" في صدد حديثه عن السياسة الدينية الوندالية بعد الإحتلال، ثم على لسان بروكوب "Procopé" الذي إستعمل مصطلح المور للدلالة على حلفاء الوندال من الأهالي دون تمييز بين أسماء الأقبام العديدة، فالمور بالنسبة لبروكوب هم سكان الأوراس (Aurès)، الحصنة (Hodna)، السهوب والمرتفعات الموريطانية الوسطى والغربية

¹ حفيضة لعياضي، «مقاومة الأوراس للإحتلال البيزنطي» ، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 4، العدد 1، مارس 2020، ص 165-166.

² Gsell (S), op.cit, p 94-95.

³ محمد البشير شنيتي، موريطانيا القيصرية، دراسة حول اللبس ومقاومة المور، 1990، ص 580.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

على السواء، وبالتالي لم يكن يميز بين كان المقاطعات الإفريقية سوى من حيث درجة العلاقة بالسلطة المركزية الممثلة في المدن، ذلك أن سكان المدن والمزارعون التابعون لهم كان يسميهم بركوب بالأفارقة دون تمييز بين أعراقهم وطبقاتهم الاجتماعية وكذلك ديانتهم، بينما دعا جميع الأهالي الذين لا يندرجون تحت هذا الوصف بالمور، وقد حذا حذوه الشاعر كوريب "Corippe"¹.

إتخذ هؤلاء المور ألقاب سامية مثل أمير أو قائد أو ملك؛ فقد تشكلت على يد القبائل المورية نواة مؤسسات سياسية يرأسها قادة موريون إتخذوا في بعض الأحيان لقب الملك، وتعود تأسيسها إلى بداية تراجع الإمبراطورية الرومانية عن أجزاء بلاد المغرب القديم، ومع سقوط الوندال إتسعت حركة إستقلال القبائل المورية في مناطق واسعة من نوميديا، المزاق (Byzacéne) وموريطانيا القيصرية وغيرها، ويبدو أن كريبيوس حينما أشار إلى إستقلال القبائل المورية نعت زعيم الموريين بلقب لاتيني وهو "Princeps" الذي يعني الأول بين أقرانه ويترجم عادة بالأمير، أما بروكوب فقد إستعمل مصطلح أرخون لإغريقي الذي يقصد به أحد الحكام التسعة في أثينا، ويستعمل أحيانا تقاديا لمصطلح الملك، حيث أن كل من الحاكم "Princeps" و"أرخون" يستعملان في معان تتدرج من القائد الأعلى للحرب إلى الملك، ذلك أن القبائل المورية كانت تحتفظ باستقلالها في تسيير شؤونها الخاصة وهي لم تكن لتلتفت حول زعيم أعلى تفوق سلطته شيخ القبيلة إلا في ظروف الحرب²، لذلك يظهر الملوك الموريون في النصوص التاريخية كمحاربين وقادة للجيش.

ثانيا-القبائل المورية :

¹ حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص 166 .

² نفسه، ص 166-167.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

عرفت بلاد المغرب القديم في عصور ما قبل التاريخ تجمعات بشرية متنقلة من مكان لآخر، من أجل الحصول على الغذاء معتمدة في ذلك على عملية الجمع والالتقاط أو صيد بعض الحيوانات، وهو ما تؤكد الأدوات الحجرية المتشابهة بمكان واحد¹، وكان دخول المنطقة في الفترة التاريخية مواكبا للتطور الاجتماعي الذي يقوم على الأسرة والقبيلة وكذلك التطور العقائدي الذي تبرزه عمليات الدفن في مقابر الدولمان والبازيليك، بالإضافة إلى التطور الاقتصادي بموجب معرفتها للزراعة منذ نهاية عصر النيوليتي كما عرفت التطور الفني الذي يظهر في الرسومات الصخرية بجبال الطاسيلي والأطلسي²، ما يدل أن مجتمع بلاد المغرب القديم ظهر في شكله القبلي منذ فجر التاريخ.

تشكلت القبيلة من أسر متحدة على كيان اجتماعي يقوم على القرابة بالدم والمصاهرة ويتعزز هذا الكيان بالمشاركة في مختلف النشاطات الاقتصادية³، فالقبيلة لا يمكن تصورها بدون إقليم تحتفظ به أو على الأقل يكون تحت تصرفها تعيش فيه بشكل دائم أو خلال موسم جيد في السنة⁴، فنجد الرعاة في السهول يشكلون قبائل ذات أراضي واسعة رغم الموارد الضئيلة لهذه المناطق في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف تهاجر القبيلة إلى الأطلس التلي أو الأطلس الصحراوي، أين توجد ملاجئها ومراكزها التجارية وكثيرا ما كانت تقوم بعملية الرعي نظرا لإرادتها وقوتها⁵، فقد كانت العلاقة بين المزارعين المستقرين والرعاة الرحل في آن واحد أبسط وأكثر تعقيدا مما كان يتصور عادة⁶، ذلك أنه من الصعب التمييز بين واحد عن آخر وحتى شبه الرحل الذين تميزهم عن المهاجرين.

¹ ستيفان قزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر، محمد التازي العودي، ج5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص 30-29.

² محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص167-168.

³ نفسه.

Gsell(S), op.cit, p 68.

Ibid, p 70 .

Euzennat (M), "la frontière romaine d'Afrique", in: C.R.A.I, 134^e Année, n^o2, 1990, p 573 .

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

وبالتالي فقد عرفت بلاد المغرب القديم هذا الشكل من التنظيم القبلي عبر مراحل تاريخية نتيجة لتراكمات اجتماعية في السلم والحرب¹، حيث أشار ستيفان قزال "Stéphane Gsell"² أنّ القبائل عبارة عن دول إتحادية صغيرة تشكلت للدفاع أو الهجوم وذلك حفاظا على وجودها أو تحقيق رغباتها للتوسع من أجل الهيمنة أو الانتقام، وهذا ما عزز روح التضامن بين أفراد القبيلة الذين كونوا الأعراف التي تنظم حياتهم الإجتماعية³، كما يمكن لهذه القبائل أن تتخذ قرارات من قبل ممثليها ذلك أنّ الزعيم ضروري فقط عندما يتعلق الأمر بالحرب، ولكنه قد يسيء استخدام السلطة المؤقتة الممنوحة له والهوية المكتسبة والامتنان الذي يتلقاه من الخدمات المقدمة له كما يمكن أن يشكل قوات تابعة له يساعدونه في حماية نفسه⁴، وبالتالي يصبح الملك الحقيقي وقد يسعى لجعل هذه السلطة وراثية في عائلته.

ويتضح من خلال عملية وراثية القبائل لبلاد المغرب القديم أن تلك المجموعات التي تحدث عنها المؤرخ الإغريقي هيرودوت تكثرت في ظروف غامضة⁵ على شكل كونفدراليات قبلية ابتداء من نهاية القرن الرابع ق.م وبداية القرن الثالث ق.م⁶، وبالتالي تحولت القبيلة إلى قوة سياسية إنبثقت منها الدولة في شكلها الملكي على يد كونفدراليات قبائل كبرى⁷ أبرزها النوميد والمور بالإضافة إلى مجموعات التخوم الصحراوية ذات الطابع البدوي التي انتشرت على طول الحدود الجنوبية⁸ للمنطقة التي تتمثل في قبائل الجرامنت والجيتول.

وقد تحولت هذه الزعامات القبلية إثر هذه النقلة السياسية المهيمنة إلى أسر ملكية إنبثق منها ملوك بلاد المغرب القديم وظهور عملية التدرج في المراتب، حيث نجد الملك

¹ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 168.

Gsell(S), op. cit, p 66.

³ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 168.

Gsell (S), op.cit, p 70-71.

⁵ مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، منذ عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة الدكتوراه، إشراف محمد الصغير غانم، 2010/2009م، ص 408.

⁶ بوشارب سلوى، المرجع السابق، ص 477.

⁷ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 169.

⁸ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 408.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

ورؤساء الكونفدراليات القبلية وحاكم القبيلة، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون¹: «... كان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار الحامية ما شاء من قوة ووحدة، وعدد ملوك ورؤساء وأقبال، وأمراؤهم لا ينالهم الروم والإفرنج في ضواحيهم، وقد صحبهم الإسلام وهم في مملكة قد إستولوا على روما...» .

ويبدو أنّ تسمية حاكم القبيلة "Prefectus/ Princeps Gents" نجده في الفترة الرومانية مما يدل على أنّ السياسة الرومانية عملت على إحتواء القبائل المتواجدة داخل الأقاليم الخاضعة لها، وذلك بإعتراف إستقلالها الذاتي من حيث النظم الداخلية والقوانين والأعراف، وذلك بالإكتفاء بالسيطرة على القادة والأمراء في المنطقة مع دعمهم لسلطتهم ونفوذهم على شعبهم²، وهذا ما تجسده عائلة نوبل "Nobel" وابنه فيرموس "Firmus" التي يبدو أنّها استفادت من الدعم الروماني، وذلك من أجل إنقاذ مكانتها بين أقوامها، كما تبرز وثيقة بنازا (سيدي علي بوجنون) التي تعود للقرن الثاني الميلادي جانب من معالم هذا التنظيم القبلي الذي يعتمد على الأسرة كنواة والعرش الذي يضم مجموعة من الأسر، وعلى درجة أعلى نجد القبيلة التي تشكل إتحاد لهذه العروش، بالإضافة إلى العديد من النقائش الأثرية التي أشارت إلى القبيلة على شكل كونفدراليات مثل قبيلة أو شعب البافار (Bavares) والبقواط (Baquatin).

ومن خلال ربط البيانات المكتوبة والوصف الأساسي لبطلموس "Patolomé" تمكن المؤرخ جوهان ديزانج "Jehan Désange" من إبراز على الأقل ثلاثين قبيلة معروفة في بداية القرن الثاني، إلا أننا نجد أنّ يافس موديران "Yves Modéran" يشير إلى أنّه قد تم إزاحة بعض القبائل في البروقنصلية خلال عهد فلافيانوس "Flavienne" الذي ركّز على سياسة الرومنة وأدخلت ضمن الإمبراطورية الرومانية وقد وفّرت لها العمالة في حين ظلت البقية متنقلة، ويضيف بأنها تحولت في نهاية المطاف إلى مدن ناتبوتسن "Natabutes" النوميدية وإثنوس "Ethnos" المورية³، إلا أنّنا نجهل تركيبة القبائل والإمارت التي ظلت مستقلة عن

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، تقديم تركي فرحات المصطفى، ج6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص 108.

² محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 576-577.

³ Modéran (Y), " De Julius Honorius à Corippus, La réapparition des Maures au Maghreb oriental », in: C.R. A.I, 147, Année, n^o1, 2003, p 262.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

الإدارة الرومانية بالرغم من تأكيد القديس أوغسطين "Saint Augustin"¹ بوجود فرق بين القبائل التي ظلت خارج التأثير الروماني محافظة على ملوكها، وبين القبائل التي أصبحت خاضعة للنفوذ الروماني التي أصبح على رأسها حاكم باسم "Prefectii".

والممتنع للخريطة البشرية لبلاد المغرب القديم يجد تغيرات كثيرة طرأت على أسماء القبائل في المصادر الكتابية وخاصة في كتابات أميان مارسلان "Ammien Marcellin" وبروكوب "Procopé" وصاحب الجوهانيد كوريبوس "Corippe"* الذي إستعرض أغلب القبائل والإمارات المورية، إلا أن هذا لايعني أن مواطنهم قد تغيرت أيضا أو أنهم إنقرضوا، فمثلا نجد مصطلح المور الذي أصبح له دلالة إدارية أواخر العهد الروماني يعرف بموريطانيا القيصرية والسطيفية والطنجية ثم تعاضمت هذه الكلمة خلال الإحتلال البيزنطي، بالإضافة إلى مصطلح الجيتول الذي أصبح لاحقا في المصادر الإسلامية باسم جدالة²، إلا أن

¹ Saint Augustin, Les Lettres de Saint Augustin, découvertes par Divjak(J), coll, des études Augustiniennes, t57, Lettres 199, Paris, p 284.

* الإسم الكامل للشاعر هو فلقبيوس كريسونيوس كوريبوس "Flavius Cresconius Corippus" وفي محفوظة مدريد يرد إسمه كوريبوس النحوي الإفريقي "Corippus Africanus Grammaticus"، ما أدى لدى البعض لعدم التمييز بينه وبين قسيس باسم كريسونيوس "Cresconius" الذي عاش في القرن السابع وألف ما يعرف بالإتفاقات المقدسة "Concordia Canonum"، ويعتبر الشاعر كوريبوس من أصل ومولد منطقة بلاد المغرب القديم ذلك أنه لقب بالإفريقي وأيضا لعلمه الواسع بالمنطقة وقبائلها، وكان لتقابلته مع قائد الحملة البيزنطية يوحنا المرسل من طرف الإمبراطور جستنيان لفرض الإستعمار البيزنطي على المنطقة أن نشأت بينهما علاقة صداقة ذات منافع متبادلة، حيث أن الشاعر كان بحاجة لدعم مادي ومعنوي أما القائد البيزنطي بحاجة إلى إعلام يسهل مهمته وعمل أدبي يخلد شهرته، وبهذا تولدت لدى الشاعر ملحمة تمجد الإسقر الذي سنتشره السلطة البيزنطية -حسب رأيه- في حين تغاضى كل سلبات الإستعمار البيزنطي مثل الإضطهاد الديني والإداة السيئة والضرائب الفادحة، وقد كانت لمرافقة الشاعر للقائد يوحنا طوال فترة الحملة التي إستمرت من 546-548م أن جاءت ملحمة غنية بالمعلومات الأولية شبه الصحيحة والفريدة عن بطل الحملة وعن معاونيه وعن سيرها وعادات وأسماء المشتركين فيها، مما يعطي لملمة الحرب الليبية "De Bellis Libycis" والتي تسمى أحيانا الليوانية "Johannis" نسبة إلى بطلها يوحنا وفي بعض النسخ يطلق عليها الليوانية الحروب الليبية "Johannis Seu De Bellis Libycis" أهمية كبرى من الناحيتين التاريخية والإجتماعية خاصة ما يتعلق بالقبائل المورية، وتتألف من ثمانية فصول أو كتب وهي ناقصة النهاية، للزيد أنظر،

-فلقبيوس كريسونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية أو مقاومة قبائل المغرب العربي للإستعمار الروماني،

ترجمة وتحقيق محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية العربية

الليبية، 1988م، ص 15-20.

-Charlet (J.L), " Corippe (Flavius Creconius Corippus) ", in : En. B, n014, 1994, p 1-9.

Moniot (H), " Désange(J), Catalogue des Tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest ²

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

المؤثرات المحفوظة للكتاب اليونان والرومان على سكان بلاد المغرب القديم ضئيلة نسبياً، وغالبا ما تكون سطحية في وضعيّة الإستغلال وقد تمّ فحصها لفترة طويلة، ومع ذلك تستحق النظر إليها مرة أخرى خاصة ما تعلّق حول القبائل التي ذكروها من المحيط الأطلسي إلى النيل.

1- القبائل الصحراوية الطرابلسية:

تضم المناطق الصحراوية الطرابلسية مجموعة من القبائل القائمة على الترحال والبدواة معتمدة في تحركاتها ومعاركها على الجمال خاصة¹، حيث وصفهم غابريال كامبس " Gabriel Camps"² بأنهم ينتقلون بتلك الجمال عبر مسافات طويلة على تخوم الصحراء.

وقد تطوّرت حركة الترحال بعد القرن الرابع ميلادي، مما يدل أن هذه القبائل عرفت إتساعا في مجال تحركاتها المتواصلة دون وجود هجرات سكانية منتظمة، وبالتالي ضمّت القبائل الطرابلسية الرعوية حيزا جغرافيا واسعا، حيث أكد "ابن خلدون"³ أن هذه القبائل إستمرت حتى بداية الفتوحات الإسلامية.

أشارت المصادر التاريخية⁴ إلى أهم هذه القبائل مثل قبيلتي لواتة "Laguatan" والأسترياني "Austuriani" كون أنّها تمثّل مصدر الخطر على الرومان وعلى الوندال، بالإضافة إلى أسماء قبائل أخرى ذكرت في مصادر القرن الخامس والسادس الميلادي مثل الأفوراكسيس "Icesfira" والأستركسيس "Astrics"، الأماكس "Amaclas" والمكليس "Macles"، الأوركلياني "Urecliani" والأناكوتاس "Anacutas"

أ- قبيلة لواتة "Laguatan":

ورد مصطلح لواتة في صيغ عديدة ومختلفة منها ما جاء عند كوريب "Corippe":

du Nile », in : Annales Economie Sociétés, Civilisations, 19^e Année, n^o1, 1964, p 199.

Tauxier (H), « Etude sur les migrations des tribus berbères avant l'islamisme », R. Afr, 1 1
T6, 1862, p 353-363 .

Camps (G), Berbères aux mirages de l'histoire, éd expéride, Toulouse, 1980, p 125. 2

عبد الرحمن ابن خلدون، المرجع السابق، ص 235-236. 3

Corippe, La Johannide, R.Tun, Organe de l'institut de Carthage, Association Tunisienne 4
de Lettres Sciences et Arts, tard, Alix (J),1899, V, chant I .

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

Ilagus, Elilagues, Laguatuantan, Laguatan, Languantan, Laguanta,

Ilasguas, ,Ilaguatten, ,Lencada .

كما تناول هذه القبيلة مؤرخي العرب أمثال "ابن خلدون"¹ الذي وطّنها بأرض طرابلس، وكذلك "حسن الوزان"² الذي حدّد مجالها الجغرافي ما بين واحة أوجيلة "Augila"* والنيل، كما أشار إلى قبيلة لواتة الباحثين المعاصرين أمثال شارل دييل "Charles Diehl"³ الذي يعتقد أنّها شكلت مع قبائل الأفوراكسيس (Ifuraces) والأسترياني (Austuriani) إحدى أهم قبائل الناسمون** وقد حدّد مجال سيطرتها بين أقصى الطرابلسية (Tripoli) ولبدة "Leptis Magna" شرقاً، ذلك أنّ سكان لواتة (Les Levathes) في منطقة الواحات الصحراوية على الجانب الشرقي كانوا ناسميون، ويمتد أقاليمهم إلى واحة أوجيلة وفي المركز الجرامنت وهي من القبائل البارزة التي احتلّت منطقة فزان (Phasania)، وإلى الغرب إستقر السكان الأصليين في غدامس (Cydamus)⁴، أما جوهان ديزانج "Jehan Désange"⁵ فقد اعتبرهم من مصر وبرقة (Cyrénaïque) وبالتالي لم يستبعد أن جزء منهم قد إستقرّوا بالطرابلسية.

ويستخلص من خلال كل من شارل دييل "Charles Diehl" وجوهان ديزانج "Jehan Désange" أنّها قبائل تقطن غالبيتها في المناطق الداخلية ولو كانت صحراوية، وليست

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المرجع السابق، ص 189.

² حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر، محمد حاجي ومحمد الأخضر، ج1، ط 2، الرباط، بيروت، 1983، ص 154.
* أوجيلة: تقع على الطرق التجارية التي تخترق وسط البلاد من الشرق والغرب، كما يتفرع منها طريق إلى واحة الكفرة وفزانيا، تشتهر بكثرة النخيل الذي ينتج أجود أنواع التمور، ويبدو أن قبيلة الناسمون كانوا يأتون إليها لجني التمور من سهول خليج السرت، أنظر: عبد الحفيظ عبد الله أبو لموشة، «خليج السرت في العصر الفينيقي والروماني (السكان والنشاط الإقتصادي)»، مجلة جامعة سرت العلمية، العدد الأول، 2015، ص 139-140.

³ Diehl (Ch), L'Afrique Byzantine, l'histoire de la domination Byzantine en Afrique (533-709), éd, Ernest, Leroux, Paris, 1896, p 301-302 .

** الناسمون: من القبائل الكبرى القاطنة على الضفة الشرقية للسرت. أنظر، مقدم بنت النبي، «هيروdot يتحدث عن الحياة الإجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم»، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015/2015، رقم5، ص 331.

⁴ Diehl (Ch), op.cit, p 302.

⁵ Desanges (J) , Catalogue des Tribus Africaine de l'Antiquité classique A l'Ouest du Nil, n^o4, Dakar, 1962, n^o7, p 101.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

بالضرورة من خارج الحدود الليبية، بل قد يكون بعضها من المزارعين في المناطق السهبية والجبلية والذي من شأنه أن يكرس فكرة إستقرارها في المناطق الداخلية لمقاطعة الطرابلسية (Tripoli)¹، وهو ما تؤكدُه التنقيبات الأثرية التي أجريت بموقع غيريزة "Ghirza" الواقعة بواحة أوجيلة "Augila".

ويبدو أن هذه القبيلة عرفت ثورة مستمرة منذ القرن الثالث إلى أواسط القرن السادس ميلادي²، حيث قاومت ماكسيمليانوس "Maximilianus" الذي فشل في الإنتصار عليها سنة 298 م، كما قامت بتهديد روما بقطع التجارة معها وإمدادها بالقمح³ نتيجة سيطرتها وتحكمها على الطرق التجارية المؤدية نحو الجنوب وقيامها بهجمات على المدن الساحلية.

ب- الأسترياني "Austuriani":

ونجدها عند كوريب "Corippe"⁴ بصيغة أستور "Austur" وقد وصفها على أنها معروفة بشجاعتها في الحرب وأيضا معروفة بشدة حذرها ومتوحشة كانت على حدود ولاية نوميديا الغربية وهي من القبائل النائرة، كما جاء إسم هذه القبائل عند جوهان ديزانج "Dehan Desanges"⁵ بصيغتين هما الأسترياني "Austuriani" والأستور "Austur"، في حين نجد أن شارل دييل "Charles Diehl"⁶ أشار بأنهما جزء من القبائل الناسمونية⁷، أما عن أصل هذه القبائل فهو غير معروف ويعتقد أنهم وفدوا من الصحراء الشرقية بالسرت (Syrte) أو هم قبائل لواتة.

¹ يوسف عيش، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، إشراف، محمد البشير شنييتي، 2007/2006، ص 211.

² فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 49.

³ أحمد محمد أندريشة، التاريخ السياسي للمدن الثلاث، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، 1993، ص 106-105.

⁴ فلقبيوس كريسكونيوس كوريبوس، المصدر السابق، صص 166، 49.

⁵ Desanges (J), op.cit, p 82.

⁶ Diehl (Ch),op.cit, p 301- 302.

⁷ أحمد محمد أندريشة، المرجع السابق، ص 107.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

وتمثل الأوسترياني كونفدراليات قبائل مكونة من الرحل، ظهرت لأول مرة في عهد الإمبراطور جوفيان "Jovien" (363-364م)¹، حيث كان سكانها يقيمون بمنطقة خليج السرت مثل قبيلة هيلاجواس "Hilaguas/Ilaguas"²، وقد إمتلكت أعداد كبيرة من الإبل واستطاعت السيطرة على عدد من الواحات ومناطق المياه ومسالك القوافل التجارية³، كما إمتد مجالها إلى السواحل الجنوبية للسرت الكبرى، وهي المنطقة التي كان يسيطر عليها الناسمون منذ عهد هيرودوت على الأقل إلى غاية 400م⁴.

ويستدل من خلال بعض المصادر أن قبائل الأسترياني قامت بهجمات على المدن الثلاث (لبدة، أويا وصبراتة) سنة 363م* بسبب مقتل أحد رؤسائهم الذي يدعى ستانتشوا "Stacho"، على يد السلطات الرومانية⁵ في عهد الكونت رومانوس "Romanus"، وقد خلّدت نقيشة عثر عليها في لبدة الإنتصارات المتتالية التي حققها الروم عليها ما بين 408-423م⁶، وبالتالي لا نستبعد أن الأسترياني قد تكون ثارت ضد خلفاء الملك جنسريك "Genséric"⁷ وقد تكون أيضا شاركت مع كابوون "Cabaon" في ثورته.

وقد أدرج يافس موديران "Yves Modéran"⁸ توطين قبائل كل من لواتة والأسترياني وفقا للمصادر الكلاسيكية في الجدول التالي:

1 Desanges (J), op.cit, p 82 ; Modéran (Y), op.cit, p 271.

2 عبد الحفيظ عبد الله أبو لموشة، المرجع السابق، ص 150.

3 أحمد محمد أندريشة، المرجع السابق، ص 107.

4 Courtois (Ch) , Les Vandales et l'Afrique, Paris, 1955, p 103.

* قام الأسترياني بالهجوم على منطقة لبدة الكبرى مما أدى بسكانها إل الإستنجاد برومانوس قائد إفريقيا، ولكن إشتراط هذا الأخير تقديم أربعة آلاف جمل وكمية كبيرة من المؤونة، ونظرا لعجزهم عن تلبية الشروط لجأوا إلى الإمبراطور فالنتيان الذي كلف بدوره بلاديوس بإعداد تقرير حول لبدة بعد عرقلة رومانوس مهمة المبعوثين، كما أنه لم يترك بلاديوس بنقل الحقيقة عن لبدة للإمبراطور فالنتيان، مما أدى إلى مهاجمة الأسترياني، للمزيد أنظر، أحمد محمد أندريشة، المرجع السابق، ص 107 - 109.

5 نفسه.

6 Courtois (Ch), op.cit, p 103.

7 فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 50.

8 Modéran (Y), Les Maures et l'Afrique Romaine (IV-VIIe siècle), Ecole française de Rome, 2003, p165.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

الموقع والسياق	التاريخ	المصدر
ماكسميان يواجه لواتة (في الطرابلسية ؟).	297 - 298	Corippe, Johannide, I,480-482 ; V,178-180 ; VII,530-533.
الأسطرياني هم جيران للطرابلسية، كانوا يواجهون لبدّة وأويا ثم يفرون.	363-367	Ammien, Histoires, XXVIII,1-30.
يعيش الأسطرياني بين ليبيا (قورينا) وإفريقيا، كانوا يهاجمون ليبيا ومصر وكذلك إفريقيا.	395-399	Philostorge, Histoire Ecclésiastique, XI,8.
الأسطرياني يهاجمون مدن قورينا ويفرون مع غنائمهم نحو الصحراء.	405-412	Synésios, Lettres 41 et 78, Catastase II.
الأسطرياني أطلقوا العنان لغضبهم في الطرابلسية.	بين 408 و 423	I.R.T, 480.
الأسطرياني في صراع مع البيزنطيين في ليبيا (قورينا).	499	Priscos, (F.H.G, T.IV, P98).
اللواتيين أجبروا سكان لبدّة على إخلاء مدينتهم مؤقتا.	بين 527 و 533	Procope, De Aedificiis, VI, 4,6.
بعد مذبحّة أعيان لواتة والأسطري يقوم هؤلاء بإختراق بيزاسين والبروقنصلية عدة مرات، وفي الأخير يتم طردهم بعد هزيمة مروعة.	543-548	Procope, Guerre Vandale II,21 à II,28. Corippe, Johannide, I à VIII .

الجدول رقم 01: توطين قبائل الأسطرياني ولواتة وفقا للمصادر الكلاسيكية.

ج- الأفوراكسيس "Ifuraces":

ذكرها كوريب "Corippe"¹ عدة مرات، حيث وطنها في الطرابلسية (Tripoli)، وذكر أنّها كثيرا ما كانت تتحالف مع اللواتيين، وقد جعلها كل من كريستيان كورتوا "Christian Courtois"² وجوهان ديزانج "Jehan Desanges"³ من سكان الجبال لكن دون تقديم دليل يوضّح

Corippe, VI, chant II; et VI, chant III; et VII, chant IV.

Courtois (Ch), op.cit, n^o 7, p 348 .

Desanges (J), op.cit, p 99 .

1

2

3

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

ذلك، في حين إعتبرها دييل "Charles Diehl"¹ من أكبر قبائل الولاية الطرابلسية ومن أهم قبائل الناسمون.

د- الأستريكس "Astrices":

حسب كوريب "Corippe"² فقد جاءت هذه القبائل من مناطق بعيدة، حيث أشار دييل "Charles Diehl"³، أنها تقع جنوب مدينة قابس في المناطق الداخلية المقابلة لساحل المزاق "Byzacène"، ويمتد مجال سيطرتها إلى سواحل السرت الصغرى⁴، وقد طابق ديزانج "Désanges(Ch)"⁵ بينها وبين الأستكوريس "Astakoures" التي وردت عند المؤرخ بطلموس "Patolomé"، وقد أشار كوريب "Corippe"⁶ أنّ هذه القبائل كانت كثيرة العدد وشديدة البأس في الحرب ولكنها ظلت تتعم بالسلام لسنوات عديدة، لكن أصابها زعر شديد لما شاهدت القائد البيزنطي يوحنا "John" يدخل أراضيها مما جعلها ترسل قرائها طالبة السلام، وقد تم لهم ذلك بموجب معاهدة وعدوا فيها بإرسال أطفالهم ليكونا عربونا للسلام.

هـ- الأماكس/ الملكيس "Imaclas/ Mecaes":

وقد وطنها كوريب "Corippe"⁷ في منطقة زيرزليس "Zersilis" التي يمكن أن تكون تونس الحالية، وهي منطقة معروفة بحقولها الضيقة ورجالها المعروفين بخشونتهم، في حين إعتبرها شارل دييل "Charles Diehl"⁸ من أكبر القبائل الطرابلسية التي لا يستبعد أنها حاربت مع كابوون "Cabaon" ضد الوندال، وقد طابق كورتوا "Christian Courtois"⁹ بينها وبين قبائل الماخلياس "Machlyes" التي ورد ذكرها عند هيرودوت الذي حدد موطنها بالمناطق المجاورة لبحيرة تريتوس "Tritonis".

Diehl (Ch), op. cit, p 301- 302.

Corippe, VIII, chant VI.

Diehl (Ch) , op. cit, p 374.

Ibid.

Desanges (J), op. cit , p 81.

⁶ فلقبيوس كريسكونيوس كوريبوس، المصدر السابق، ص 142-143.

⁷ نفسه، صص 48،79.

Diehl (Ch), op. cit, p 303.

Courtois (Ch), op. cit ,n⁰4, P 348.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

و- الأوركلياني "Ureceliani":

وطن كوريب "Corippe"¹ هذه القبائل مع كلياني "Celian" والأناكوتاس "Anacutas"، وقد طابق جوهان ديزانج "Jehan Desanges"² بينها وبين كليان واعتبرها من قبائل الطرابلسية (Tripoli) أو قورينائية (Cyrénaïque)*، أما حرفاً "Ur" في بداية إسمها فهو يمثل اللون البني في اللغة العربية³، والراجح أنّ هذه القبائل كانت ضمن حلف الزعيم كابوون "Cabaon".

ي- الأناكوتاس "Anacutas":

يذكر كوريب "Corippe"⁴ أنّها جاءت من مناطق بعيدة ويرى جوهان ديزانج "Jehan Desanges"⁵ أنّها من قبائل الطرابلسية، وبالرغم من قلة المعلومات عن هذه القبائل إلاّ أنّه لا يستبعد أنّها حاربت مع كابوون "Cabaon" قبل أن تشارك في مقاومة البيزنطيين.

ن- قبائل الكوريسنسيس "Curbissensis":

حاول يافس موديران "Yves Modéran"⁶ دراسة هذه القبائل التي تمكن من توطينها بالطرابلسية أو في منطقة المدن الثلاث (Tripolitaine) إلى جانب كل من بيتاني (Beitani) وبغنسيس (Les Beggnenses)، وهذه القبائل تعرف بأنّها من القبائل غير معروفة، وقد وافقه في ذلك ديزانج "Jehan Desanges"⁷ ضمن تعريفه الجديد لهذه القبائل.

Corippe , VI, chant II.

1

Desanges(J), op.cit, n^o 4, p 77.

2

*قورينا(شحات حاليا) : تعود نشأت هذه المدينة عام 631 ق.م، وقد أسسها المهاجرين الإغريق، وقد توالت الأبحاث عليها خاصة من طرف الإيطاليين، وكان لومير أول من لفت الأنظار إلى موقع قورينا عام 1705، أنظر، سعيد علي حامد، دور بعض العلماء الإيطاليين في الإكتشافات الأثرية في ليبيا، المركز الوطني للمحفوظات، 2010م، ص 9-10.

³فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 52 .

Corippe, VI, chant II.

4

Desanges (J), op.cit, n^o 4, p 77.

5

Modéran (Y), " Qui montana Gurubi Colunt, Corippe et le Mythe des Maures du Cap Bon",⁶ in: M. E. F. R , T99,n^o2, 1987, p 986.

Desanges (J) , " Curbissensis ", in: En. B, T XIV, 1999, p 2158.

7

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

ويبدو أنّ قبائل الكورسنسيس توطنت بكوربيس (Curubis) وأوديتها الوعة وتلال ماركور (Marcure) وإفرا (Ifra) ثارت ضد البيزنطيين بقيادة أورتلان "Aurtilien"¹، كما أنّهم قاوموا روما والوندال من قبلهم.

وبلاحظ من خلال النقوش والآثار أنّ القبائل الليبية التي كانت تقيم في المناطق الشبه صحراوية من المدن الثلاث إعتمدت على بناء المراكز الدفاعية .

وكانت السلطة الرومانية تلجأ إلى سياسة التحالف مع رؤساء هذه القبائل الليبية المحليين الذين منحت لهم الإمبراطورية إمتيازات، بالإضافة إلى مسؤوليتهم الدفاعية، فإنّهم مسؤولين على الشؤون الدينية ومكّفين كذلك بالإدارة والعدل في مناطقهم².

2-قبائل إمارة المزاق (Byzacéne):

تشكلت مقاطعة المزاق بناء على إتحاد مجموعة من الشعوب المكونة لها وهي الماكسيس (Mxyes) والغيزنتيس (Ghyzantes)، البيزانتييس (Byzantes) والزويكيس (Zaouékes)، إلى جانب قبيلتي الفراكسيس (Frecxexes) والنفور (Naffur)³ التي تحالفت مع الملك أنطلاس "Antalas" ضد الوندال، وقد شملت هذه المقاطعة شمال وغرب نهر مجردة وسفوح جبال الظهير التونسي، وامتدت إلى الجنوب على بعد حوالي 65 كلم غرب مدينة قفصة، ويتمركز أغلب قبائل هذه المقاطعة في المرتفعات والسهول الممتدة في الشمال إلى جانب المناطق الصحراوية⁴.

تعتبر مقاطعة المزاق من أهم المقاطعات ببلاد المغرب القديم لامتيازها بالثراء الإقتصادي وتنوع مصادر خيراتها ما جعلها ضمن النطاق الإستعماري فضلا عن نشاطها الديني البارز، ولهذا فقد تناولتها العديد من المصادر التاريخية بالدراسة، حيث جاءت أوصاف عديدة لها ورد ذكرها في قصيدة جوهانيد لكوريب "Corippe" إثر حملة جان تروجيلتا "Trogilta" على إفريقيا، حيث قدّم فيها وصفا طبيعيا دقيقا لمقاطعة بيزاكينا، وذلك

Modéran (Y), op. cit, p 984.

² أحمد محمد أندريشة، المرجع السابق، ص ، 233-234.

Erenest (M) , op.cit, p XVIII.

Lasére(J.M), op. cit, p 164.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

في إشارته للغطاء النباتي النادر وتنوع الأشجار بالإضافة لذكره لبعض الأنشطة كأجرة النقل على الطرق والموانئ¹، وذكره لبعض الحيوانات كالإبل خاصة.

أ- الفراكسيس "Fraxes":

تعتبر قبيلة الفراكسيس من أهم قبائل مقاطعة بيزاكينا بزعامة أنطلاس "Antalas"، وتضم شعوب متواضعة وسلمية² وهم من الأوائل المتصددين للوندال من خلال دخولهم في ثورة 484م، وقد وصفهم كوريب "Corippe"³ بالرعاة الذين لا يجيدون إلا رعي القطعان ولكنهم لا يثبتون في الحروب.

اختلف الباحثون المعاصرون في تحديد الإطار الجغرافي لهذه القبائل، حيث نجد شارل دييل "Charles Diehl"⁴ قد أشار إلى أنها تقتصر على السهوب والسهول الساحلية التي تشكل جنوب تونس، إذ ورد إسمها مطابقة لتسمية الفرشيش (Frechiche)، بينما حددها كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁵ مابين تالة وتبسة وقصرين، في حين أشار جوهان ديزانج "Jehan Desenges"⁶ إلى أنّ هذه القبيلة تابعة لموريطانيا القيصرية وقارب بينها وبين الفركنونسيس "Frakinenses" الذين ورد ذكرهم عند أميان مارسلان "Ammien Marcellin"، في حين نجد أن غابريال كومبس "Gabriel Camps"⁷ ويافس موديران "Yves Modéran"⁸ قد أشارا إلى أنّ تواجد قبيلة الفراكسيس يمكن أن تكون إلى الجنوب من مقاطعة المزاق (Byzacéne)، واستدلا على ذلك من خلال ترصد المناطق التي يتواجد بها القائد أنطلاس والتي تتمثل في البروقنصلية وخاصة في المزاق بالقرب من مدينة تبسة (Theveste)، سوسة (Hadrumentum)، لاريبوس (Laribus)، تالة (Thala)، قصرين (Cillium)، الكاف (Sicca) وهنشير.

¹ Lassère (J. M), " La Byzacéne méridionale au milieu de VI^e Siècle p.c, d'Après la Johannide de Corippus", in : Palles, 1984 , p 163.

² Modéran (Y) , " De Julius Honorus à Corippe " , p 276.

³ فلقيبوس كريسكونيوس كوريبوس، المصدر السابق، ص 53.

⁴ Diehl (Ch) , op. cit , p 303.

⁵ Courtois (Ch), op. cit ,n⁰3, p 346.

⁶ Desanges (Ch), op. cit , p 91.

⁷ Camps (G), " Antalas " , En. B, T 5, 1988, p 706- 708.

⁸ Modéran (Y) , Les Maures et l'Afrique Romaine, p 321.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

وهذا ما يجعلنا نعتقد أن إمارة أنطلاس تمتد جنوب مقاطعة المزاق، بينما تسعى إلى بسط نفوذها على المناطق الشمالية¹، وكانت هذه القبيلة تمارس بعض النفوذ على قبيلة النفور "Naffur"²، وتجمعها أحيانا علاقات سلمية³ في إطار كنفدرالية قبائل ترأسها الفراكسيس بقيادة أنطلاس.

ب- النفور "Naffur":

إعتبرها كوريب "Corippe"⁴ قريبة من قبائل الفراكسيس "Frexes"، ووطنها شارل دييل "Charles Diehl"⁵ جنوب شرق بيزاكينا "Byzacéne"، ويبدو أن كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁶ هو الذي تطرق إلى القبائل التي تحالفت مع أنطلاس "Antalas" من داخل وخارج بيزاكينا، وأن القبائل الطرابلسية وعلى رأسها لواتة وهوارة (الأسترياني)، إمتد نفوذهم إلى الحدود الجنوبية للسواحل التونسية في الوقت الذي إستقر فيه الوندال على الجهة الشرقية من الجريد.

3- قبائل موريطانيا الطنجية والقيصرية:

عرفت مقاطعة موريطانيا عدة تقسيمات إدارية وسياسية خلال الفترة الرومانية بالمنطقة، فبعد إغتيال بظلموس سنة 40م والقضاء على ثورة القبائل المورية بقيادة إيدمون سنة 42م ألحق كلوديوس موريطانيا بالملكات الرومانية مقسما إياها إلى مقاطعتين⁷: الطنجية والقيصرية.

كانت حدود موريطانيا الطنجية (Mauretania Tingitana) الجنوبية خلال العهد الإمبراطوري الأعلى (42-284م) تمتد من جنوب منطقة شلة "Sala" على الضفة اليسرى من واد بورقراق (Bouregreg)، ثم تتجه هذه الحدود شمال شرق نحو منطقة سهل الغرب

¹ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 220.

² Diehl (Ch), op. cit, p 304.

³ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 62.

⁴ Corippe, IX, chant VIII .

⁵ Diehl (Ch) , op. cit, p 304

⁶ Courtois (Ch), op. cit , pp 344- 349 .

⁷ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم، ص195.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

إبتداء من مركز سيدي علي بن أحمد (تاموسيدا) مرورا بسيدي علي بوجنون (بينازا) إلى غاية سيدي سليمان (Gilda) ومنها تأخذ الإتجاه الجنوبي الشرقي نحو منطقة ويلي (Volubilis) بنواحي منطقة مكناس¹، وفي عهد ديوقلسيان (285-305م) ألحقت موريطانيا الطنجية بإسبانيا لوكيل إفريقيا "Vicaire d'Afrique"² الذي أصبح الرئيس الأعلى لكل رؤساء المقاطعات بإستثناء القنصل المخول وكان مقره قرطاجنة.

في حين موريطانيا القيصرية (Mauretania Césarienne) تمتد من الواد الكبير إلى واد الملوية على شريط ساحلي محصور بين البحر والأطراف الشمالية للهضاب العليا، وقد وضعت تحت حكم وكيل الإمبراطور "Procurator"³ الذي يجمع السلطة المدنية والعسكرية.

ويبدو أن الحدود الرسمية للموريطانيتين (الطنجية والقيصرية) لم يتم الفصل فيها، فمن الواضح أن تكون من الملوية التي تفصل الشعوب والممالك القديمة، فنجد طريقة تعيين الحدود من الواد الكبير (Ampsaga)⁴ ويمكن أن تتفصل الحدود عن مسار الملوية.

أثار موضوع القبائل المورية بمقاطعة موريطانيا الطنجية والقيصرية عدة دراسات كانت محل الجدل نظرا لندرة المادة الأثرية وعدم دقة المصادر الكتابية فيها⁵، ونلتمس بهذه المقاطعة العديد من القبائل التي لها الدور الفعال منذ فترة الإحتلال الروماني والتي إستمرّ صداها إلى مقاومة الوندال ومن أهمها قبائل البقواط (Baquates)، البوار (Bavares) وقبائل الحلف الخماسي (Quiquegentanai).

¹ نصيرة ساحير، "منطقة التمركز الروماني في مقاطعة موريطانيا الطنجية خلال العهد الإمبراطوري المتأخر (284-429م)"، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مركز كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 318.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 197.

³ نفسه، ص 195-196.

⁴ Rebuffat(R), " Les Tribus en Maurétanie Tingitane " , in: Ant. Afr, n°37, 2001, p 27 .

⁵ Hamdoune (Ch) , " Ptolémée et la localisation des Tribus de Tangitane " , in : M.E.F.R, T105,n°1, 1993, p 241.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

أ- قبائل البقواط "Baquates":

أوردت بعض المصادر أن هذه القبائل كثيرة العدد بموريطانيا الطنجية، وقد دونت هذه القبائل في التاريخ الروماني في أكثر من خمسة عشرة (15) نقشا لاتينيا*، تضمنت علاقاتهم بالسلطة الرومانية وتحركاتهم الإقليمية والأحداث التي كانوا طرفا فيها.

ونجد روفات "R. Rebuffat"¹ قد وطن البقواط على الحدود الجنوبية لأراضي الماكننيس "Macennites" إلى الشرق من الملوية وتمكنوا من التوسع شرقا إلى ما وراء نهر الملوية بعد تحالفهم مع قبائل البوار حسب ما يشير إليه نقش من تنس²، وقد اختلف المؤرخون في علاقة البقواط بقبائل برغواطة التي اشتهرت في المغرب الإسلامي بالأطلس الأوسط والتي كانت تمثل الأوتولوز (Autololes)³.

ب- قبائل البوار (Bavares):

اشتهرت قبائل البوار بقوتها وكثرة عددها وتحركاتها المستمرة التي تعيق الرومان في مقاطعة موريطانيا القيصرية، وكثيرا ما إنطوت تحت زعامة أمراء وملوك تعاونوا على ضرب تحصينات الجيش الروماني، وقد ورد ذكرهم في مواقع عديدة شملت المقاطعة الطنجية والقيصرية والمقاطعة النوميديية مثل نقوش لامبيز (Lambaesis) التي أشارت إلى وجود أربعة ملوك للبربر⁴، وهو ماجعل تحديد مناطق البوار محل إختلاف بين المؤرخين، ما يدل على كثرة عددهم وتنقلاتهم، حيث يشير رونييه كانيا "René Cagnat"⁵ إلى أنّ الموطن الأصلي للوار يتمثل في منطقة جبال الباور بشمالي سطيف (Sitifis) نظرا لتلائم اسم هذه المنطقة

* للمزيد عن هذه القبائل أنظر:

CIL, VIII, 9663; CRAI (1931), 295; M.E.F.R (1956), p110; CIL, VI (1800), déssau, IL, 855; M.E.F.R (1956), p117; CIL, VIII, 2182. d'après :

محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 200.

Rebuffat (Ch), op.cit, p 30.

² محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 201.

³ Dussaud (R), "Carcopino (J) - La Fin du Maroc romain", in: Syria, T 22, 1941, p 89.

⁴ محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ص 341-342.

⁵ Cagnat (R), op.cit, p 62- 63.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

مع إسم البوار، كما أنّ غابريال كامبس "Gabriel Camps"¹ أقر بأن هذه القبيلة تنحصر ما بين غرب موريطانيا القيصرية إلى غاية جبال جرجرة.

ويبدو أنّ قبائل البوار (Bavares) تتمركز ما بين البابور والواد الكبير، ولعلّ إسم باربار جنوبي خنشلة (Mascula) يحمل ذكراهم، وكان هؤلاء الباربار ينقسمون إلى شرقيين في جهة الباربور وغربيين في جبال طرارة وتسالة في جهات تلمسان،² ولكن بعد إكتشاف نقيشة وليلي التي تمثل إتفاقية بين السلطات الرومانية وزعيم قبائل المور "Maures" والبقواط "Baquates"³ إتسعت نظرة المؤرخين لموطن البوار فوصلت إلى ما وراء حدود المقاطعة القيصرية.

وبالتالي يمكن أن نحصر موطن البوار مثلما أشار إلى ذلك محمد البشير شنيّتي⁴، من التل الوهراني إلى جبال البابور، وبهذا فهم جبليون مزارعون ومربوا المواشي ويمكن أن يكونوا بدوا منتقلين عبر السهوب من نهر الملوية إلى جنوب سطيف (Sitifis).

كانت لهذه القبائل عدة تحالفات مع قبائل أخرى من بلاد المغرب القديم، وفقا لما تبرزه وثيقتي ثنية مسكن ولامبيز التي تؤكد على وجود ملوك بوار وتحالفات قبلية⁵، مما يدل على تواصل كيانات سياسية مستقلة عن الإدارة الرومانية احتفظت بزعامتها وقاومت من أجل حفظ كيائها واسترجاع ما أغتصب منها.

ج- القبائل الخمس (Quiqegentanai):

عبارة عن كونفدرالية قبائل متمركز في المنطقة الجبلية ما بين دلس وبيجاية، وتتكون من خمسة قبائل متحالفة فيما بينها:

- ماسينيسنس (Masinissens)، وهي قبيلة مسينا أو إيمسيس المتمركزون في الضفة اليمنى لوادي الساحل.

¹ Camps (G), "les Bavares Peuples de la Mauritanie Césarienne", B.S.G.O, n^o 3971.

² محمد الصغير غانم، المرجع السابق، رقم 3، ص 399.

³ محمد البشير شنيّتي، المرجع السابق، ص 344.

⁴ محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص 202.

⁵ محمد البشير شنيّتي، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ص 349.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

-تيندن(Tyndenses)، وكان سكانها يتمركزون في إقليم قبيلة بني وفليس وآيت عامر (فناية الحالية).

-إيسفلن(Isaflenses)، وهم فليسة اليوم¹، وهي المنطقة التي لجأ إليها فيرموس مع شقيقه مازوكا على إثر ثورته ضد الرومان(372-375م)، تقع في السهول الجنوبية من جبال جرجرة².

- الجبالة (Jubaleni)، وهم زاوة الحالية³، ومواطن هذه القبائل الجبلية غير بعيدة عن أوزيا، وبالتالي فهي تتمركز في المنطقة الممتدة من باب الحديد ومضايق الأخضرية⁴.

-بيسالن (Iesalenses)، يتمركزون غربي زاوة⁵، وهي قبيلة أولاد عيسى في منطقة التيطري⁶، وتوطن مثل قبيلة إيزافلانس بمنطقة أوزيا.

تشكل قبائل الحلف الخماسي إلى جانب قبائل البوار قوة ضاربة في المنطقة، وقد استندت قيادتها إلى رئيس قبيلة إسمه فراكسن"Fraxen"⁷ الذي إكتسح المقاطعة النوميديّة خلال ثورة قبائل الحلف الخماسي.

ويبدو أن قبائل الحلف الخماسي لم تعرف لدى المؤرخ بلين"Pline" وبطليموس"Patolomé"، ذلك لأنها ذكرت لأول مرة في حوالي 253-256 م على النقوش،

¹ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 400.

² محمد الهادي حارش، « ثورة فرموس »، رقم 40، ص 17.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 400.

⁴ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، رقم 43، ص 18.

⁵ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 400.

⁶ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، رقم 45، ص 18.

⁷ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 401.

4- قبائل الأوراسيين:

أ- القبائل الجيتولية:

يتضح أنّ تحديد الإطار الجغرافي لهذه القبائل الجيتولية كان محل إختلاف، وهذا راجع إلى كثرة تحركاتهم وبتقلاتهم ويمكن أن يكون لكثرة عددهم أيضا، فقد وصف بلين "Pline"¹ سكان هذه القبائل على أنهم قوم متنقلون ينتظرون الفرص لاجتياح أراضي جيرانهم، وهم من موريطانيا الطنجية، كما أشار سالوست "Sallust"² أنّ موطنهم بشمال الأثيوبيين، وهذا ما يدل أنّ القبائل الجيتولية تنتشر بشكل واسع في جنوب بلاد المغرب القديم من إقليم فزان شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وتوغّلت أراضيها إلى حدود الأثيوبيين جنوبا، إلا أنّ الحدود الشمالية لهذه القبائل يصعب تحديدها بدقة رغم محاولة بعض المؤرخين المحدثين أمثال ستيفان قزال "Stéphane Gsell"³ وغابريال كامبس "Gabriel Camps"⁴ اللذان وضعوا تلك الحدود في موريطانيا الطنجية عند ضواحي واد بورقراق ومدينة شلة (Sala)، كما بلغت مناطق تواجدها في نوميديا والبروقنصلية إلى جنوب قسنطينة (Cirta) عند مدينة ماداروش "Madauros" والتخوم الشرقية للأوراس وما بين سهل مجردة وجبال تبسة (Theveste)، ما يدل على أنّ أراضيها تتداخل مع أراضي القبائل الموزولامية في الجنوب النوميدي ومع أراضي الغرامنت في جنوب البروقنصلية.

ولهذا فإنّ قبائل الجيتول تمثل إقليما إنتقاليا ما بين الصحراء الكبرى وتربط التل الساحلي مما يشكّل إقليما رعويا مع إمكانية الزراعة المحدودة في بعض مناطقها⁵، وبالتالي أعتبرت هذه القبائل قابلة للتحويل من طابع الرعي والترحال والبدواة إلى طابع إمتهان الزراعة⁶ ما يعني الإستقرار.

¹ Pline L'ancien, Histoire Naturelle, trd, Desakgbs(J), éd, Belles Lettres, Paris, 1980, V, 17-18.

² Sallust, op.cit, XVIII.

³ Gsell (S), op.cit, T. VIII, Librairie Hachette, Paris, 1928, p 109.

⁴ Camps (G), Berbères aux marges de l'histoire, pp 153- 156.

⁵ محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص 208.

⁶ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 400.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

ويمثل الجيتوليون فئة سكانية مندمجة مع الشمال نسبيا من الناحية السياسية أما من الناحية الإدارية فهم موريون في الغرب الجنوبي ونوميديون في السهوب والمرتفعات الجنوبية الجزائرية والتونسية الحاليتين، وكان الجيتوليين مصدر قلق للسلطة الرومانية، وخاصة ضد مؤسساتها الزراعية، وقد بذل الرومان جهودا كبيرة من أجل الحد من تحركاتهم الجماعية وعملوا على الإستفادة من رجالهم نظرا لتمتعهم بالروح العسكرية وذلك بعد إدماجهم في فرق الجيش المساعدة¹، وقد وصف كوريب "Corippe"² الجيتولي على أنه حيوان وله جسد هائل وثقيل ذلك أنه يقاوم بشراسة في الحروب.

ب- قبائل المزالمة :

وردت تسمية المزالمة في صيغ عديدة مثل موزولامي وميزولاني، ولهذا تطرق المؤرخ ديزانج لهذه القبائل بالتحليل واقترح إدراجها بالعربية بتسمية المزالمة مادام أنها وردت في النقوش الجنائزية باللغة اللاتينية موزولامي Musulami / Musulani³، وتعتبر هذه القبيلة من أشد القبائل التي قاومت الإحتلال الروماني ببلاد المغرب القديم، حيث كانت سندا للمك سيفاكس "Syphax" وبعده يوغرطة "Jugurtha" ثم قائدها تاكفاريناس "Tacfarinas".

كانت قبائل المزالمة منقسمة إلى شمالية وجنوبية، ومن أهم مواطنها قسطل (كيسة حاليا بتبسة) التي تعتبر منطقة جبلية حولت الأراضي المحيطة بها إلى لاتيفونديا خلال العهد الإمبراطوري الأول، وكانت هذه القبائل خلال القرن الأول ميلادي تحاصر إمارة سيرتا من الناحية الجنوبية ضاربة في العمق النوميدي إلى جنوبي الأوراس، ممتدة شرقا إلى واد

¹ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 208 - 209.

² فلقبوس كريسكونيوس كوريبوس، المصدر السابق، ص 123.

³ مها عيساوي، المرجع السابق، رقم 2، ص 432.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

المثول* (الملاق) ومادور¹ التي تمثل إحدى عواصم قبائل الموزلامي ونقطة الإتصال ما بين الجيتوليين والنوميديين² أي من البدو والمستقرين.

إعتمدت قبائل الموزولامي في معيشتهم على الرعي ومع القرن الثالث الميلادي تحوّل الكثير منهم إلى فلاحين موسميّين، يشكلون فرق عمل متنقلة ببلاد المغرب القديم بحثا عن العمل في حقول الزيتون والقمح، كما أنّهم رابطوا في التخوم الصحراوية³ إلى أن إستطاعوا أن يشكلوا قوة لا يستهان بها خلال القرن الرابع الميلادي.



الخريطة رقم 05: القبائل المورية حسب بروكوب خلال العهد الوندالي

* واد المثول: من أهم الأودية في الشرق الجزائري، يقطع مدينة العوينات شمال تبسة، وهو بجانب كل من واد مجردة (Bagrades) وواد الكبير (Ampsaga) وواد الشافية، من الوديان الكبرى في إقليم نوميديا، أنظر، مها عيساوي، المرجع السابق، رقم 3، ص 432.

¹ نفسه، ص 432.

² محمد البشير شنيّتي، المرجع السابق، ص 210.

³ محمد البشير شنيّتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص 403.

5- القبائل المجهولة:

إلى جانب هذه القبائل المذكورة نجد أيضا قبائل أخرى يجهل موطنها، إلا أن المؤرخ كريستيان كورتوا "Christian Courtois"¹ يشير إلى أنها تركزت شمال شرق إفريقيا دون تقديم توضيحات حول مقصوده من ذلك، والملاحظ مما أوردته نقيشة إلفنتريا موزيفيل "Mouzaiville Elephantaria" التي أرخت سنة 495م، أن هذه القبائل ثارت ضد الوندال على شكل تحالف كونفدرالي قبلي، وقد إنطلقت ثورتهم من ولاية بيزاكينا "Byzacéne"، وامتدت هذه الثورة إلى جنوب مدينة تيبازة (Tafza) بثرموسو (Thanaramusu) بموريطانيا القيصرية².

ومن خلال ما تطرّقنا إليه، تكونت لدينا فكرة حول حدود القبائل حسب ما أشار إليه المؤرخ روبفات "Rebuffat"³، ذلك أنها على المحيط الأطلسي ليس بعيدا عن البيوليانى (Volubilliani) والبقواط (Baquates) على الحدود الجنوبية لأراضي الماكنتس (Macennites) إلى الشرق من الملوية ومن ثم إلى قمم الجبال.

ونجد أن المؤرخ يافس موديران "Yves Modéran"⁴ قسم القبائل المورية إلى قسمين أساسيين خلال القرن السادس الميلادي، فقد أطلق مصطلح قبائل الخارج نظرا لوجودها خارج الخريطة الرومانية، ومصطلح قبائل الداخل على تلك العناصر التي تمت مطابقة مواقعها مع الخريطة الرومانية⁵، والتي إستفادت من تدهور الإدارة المركزية.

والفرضية التي تتبادر إلى الذهن بخصوص مور الداخل والخارج ببلاد المغرب القديم هي حركات الهجرة التي من شأنها أن تجدد مستوطنة بربرية بهذه المنطقة خلال القرن الخامس الميلادي وبداية القرن السادس الميلادي⁶، وذلك سواء من الجهة الشرقية أو

1 Courtois (Ch), op. cit, p 343.

2 فاطمة منفاشي، المرجع السابق، ص 76-78.

3 Rebuffat (R), op. cit, p 30.

4 Modéran (Y), Les Maures et l'Afrique Romaine, p 206-207.

5 يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 257-258.

6 Modéran (Y), "De Julius Honorius", p 269.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

الجنوبية، وقد تمثلت هذه القبائل أساسا في القبائل الطرابلسية وقبائل خليج السرت¹ التي إرتبطت بها صورة الهجرة المشرقية نحو المغرب.

وهذا ما يؤكد أن السكان الأصليين للمقاطعة الطرابلسية قد خلفهم سكان جدد يتميزون بأنهم من الرحل أصحاب الجمال منذ نهاية القرن الثالث الميلادي، خاصة في مقاطعة قورينا "Cyrénaique"، حيث نجدهم في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وصلوا إلى الجهة الغربية ووصلوا إلى مقاطعة المزاق، ولم يتوغلوا في أقصى المناطق الغربية إلا في عهد الفتوحات الإسلامية .

ويتضح أن يافس موديران "Yves Modéran"² أقر بالتطور الملحوظ الذي عرفته ظاهرة الترحال والرعي بعد القرن الرابع الميلادي، إلى جانب فرضية تجديد أهالي بلاد المغرب القديم عن طريق التدفق إلى سهوب المزاق (Byzacéne) ومن ثم إلى الأوراس في نهاية الفترة الوندالية، ومن الوافدين الجدد من الصحراء الشرقية التي عرفت عند فليكس غوتيه "Emile Félix Gautier" كبريات البدو الرحل، وهؤلاء قد هاجروا نحو الغرب، فاعتبرهم غابريال كامبس "Camps(G)" من البربر الجدد "Néoberbères"، وغالبا ما هددوا قرطاج وحضرموت، وأيضا لواتة "Laguatan" والأسترياني "Austuriani"³.

يلاحظ أن التركيبة البشرية لبلاد المغرب القديم عموما، في القرن الخامس الميلادي، تغيرت عما كانت عليه خلال العهد الروماني، حيث ظهرت قبائل لم يكن يتردد ذكرها سابقا، وأغلب هذه القبائل تجمعت واتحدت في شكل كنفدراليات سياسية وسيطرت إقليميا في مناطق إنتشارها، وهي التي ساعدت ودعمت الوندال حين دخولهم للمنطقة، وهي أيضا التي عجّلت بسقوط والقضاء على الإحتلال الروماني وأضعفت قوته، وستلعب لاحقا دورا كبيرا خلال القرن السادس الميلادي وستعمل على مقاومة ليس الإحتلال الوندالي فحسب في عهد خلفاء جنسريك وإنما حتى البيزنطي في القرن السادس الميلادي.

¹ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 258.

Modéran (Y) , Les Maures et l' Afrique , p 131.

Modéran (Y), " De Julius Honorius à Corippe ", p 270 - 271.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

ثالثا - الممالك المورية:

يبدو أن الكيان الموري وجد منذ القرن الرابع ق.م ببلاد المغرب القديم وذلك إستنادا لما أورده جوستتيان "Justin" الذي تطرق إلى إستجداد حنون القرطاجي بملك موري رغبة منه في الإستحواذ على السلطة بقرطاجة سنة 340 ق.م¹، بالإضافة إلى الأبحاث الأثرية من جنوة "Tumulus" بمدينة سيدي سليمان المؤرخة بنهاية القرن الرابع ق.م و بداية القرن الثالث ق.م التي تناولت مخلفات تخص شخص ذو نفوذ أقيم في منطقة السلطة الحاكمة، وهذا مايدل على وجود إمارة بمنطقة الغرب تابعة للملوك الموريين منذ القرن الرابع ق.م²، إلى جانب النقيشة التي عثر عليها في منطقة ويلي (Volubilis) تعود للقرن الثاني ق.م و بداية القرن الأول ق.م، التي أشارت إلى الشوفيط³ ما يعني وجود دولة منظمة قادرة على الإشراف بأمورها والاستفادة من التأثيرات والروافد الحضارية الخارجية.

ولكن يمكن أن نفسر من خلال إشارة جوستتيان "Justin" الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، أن اسم المور خلال هذا القرن يشمل كل السكان المحليين بالمغرب القديم وأنّ الملك حنون توجه إلى قائد قبلي أو زعيم محلي قوي، كما أننا لا يمكننا الإعتماد على المادة الأثرية، ذلك أنه لم يتم العثور في منطقة جنوة (Tumulus) بسيدي سليمان على أي شيء ملموس يعزز القول أنّ صاحبها كان ملكا أو أميرا وأنّ له علاقة بالمملكة المورية، وكذلك بالنسبة لعبارة التوقيت الواردة في نقيشة ويلي (Volubilis)، ذلك أنها عبارة عن مدينة صغيرة

¹ محمد الهادي حارش، «الجزور التاريخية لمملكة نوميديا»، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، العدد 10، ص 284.

² Decret (F) ; Fantar(M) , op.cit, p 72.

* يعتبر الشفطان من بين المؤسسات السياسية القرطاجية قبل الحروب البونيقية، وتمثل السلطة العليا في قرطاجة التي كانت في يد الشفطين اللذين يمثلان القنصلين في روما، وكانوا يمارسون وظيفتهم لمدة سنة واحدة، ولكن يلاحظ أن الأشفاط في المدن النوميديية كانوا ثلاثة وليس اثنين، كما هو الحال في قرطاجة والمدن الفينيقية، وهو حال أكثر النج فيها نقش معبد حاتحور الذي أكدته قبر كنتوس فيروس روقاتوس التي تعطي له لقب مثلث "Triunvir" إلى جانب قصة، دوقة، قائمة وربما موضع في جنوب قائمة حتى في العهد الإمبراطوري مما يدل على إستمرار هذا النظام، أنظر، محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص 73، 108.

³ عبد العزيز أكرير، المرجع السابق، ص 40.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

منظمة فقط وهذا النموذج يتواجد في عدة مناطق من بلاد المغرب القديم مثل وادي منريل بنواحي تطوان¹.

إلا أن هذا لا ينف وجود المور كقوة قبلية دخلت في علاقات مع بعض الدول المتوسطية منذ القرن الخامس ق.م على الأقل، ذلك أن ديودور الصقلي "Diodore de Sicile"² يشير إلى تجنيد قرطاجة لمحاربين موريين ضمن القوات العسكرية القرطاجية سنة 406 ق.م بصقيلية خلال حربها ضدّ بعض المدن الإغريقية بهذه الجزيرة ما يؤكد كيان سياسي واجتماعي يتمثل في القبيلة المورية، ولا نستبعد أن تكون هذه القبيلة هي نفسها القبيلة التي تزعمها باغا "Baga" سنة 206 ق.م، والذي كان مجال مملكته مطابقا لموريطانيا الغربية أي نهري الملوية والمحيط الأطلسي أو بين أعمدة هرقل وماسيسوليا³.

ويشير ستيفان قزال "Stéphane Gsell"⁴ إلى أن إسم المور يمتدّ إلى أبعد من إسم موريطانيا التي ظلت محصورة ضمن حدود المقاطعات الرومانية، وما يؤكد ذلك هو وصف الفرسان النوميديين بالموريين أثناء حملة يوليوس قيصر، ومنذ القرن الثالث الميلادي وخاصة في عهد الإمبراطورية المتأخرة، وخلال الفترة الوندالية و البيزنطية أصبح إسم المور متداولاً بين سكان بلاد المغرب القديم من المحيط الأطلسي إلى قورينا (Cyrénaïque).

وترتب عن سقوط الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم سنة 429م إستقلال العديد من المقاطعات الواقعة في الغرب من النفوذ الأجنبي، مما ساعد على تشكيل ممالك مستقلة منذ القرن الخامس الميلادي⁵ والتي تمكنت بفضل قوتها من فرض سيطرتها، فقد شهدت هذه الفترة بروز رؤساء البربر والتي كانت تسمى فترة ملوك المور⁶، حيث نجد بموريطانيا أسماء لأمرأ مثل ماصونا "Masuna" وماستيناس "Mastinas"، إلى جانب الملك

¹ عبد العزيز أكرير، المرجع السابق، ص 43.

Diodore, XIII, 80, 3, d'Après :

² عبد العزيز أكرير، المرجع السابق، ص 43.

³ نفسه، ص 43-45.

Gsell (S), op.cit, T 5, p 94-95.

⁵ رابح لحسن، الملوك النوميديين والمور، دراسة أثرية وتاريخية، مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميديّة - المورية المشيدة منذ

القرن 4 ق.م إلى غاية عشية الفتح الإسلامي في القرن 7م، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 51.

⁶ Camps (G), " Rex Gentium ", p 183.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

مستياس "Masties" وأورتياس "Ortaias" بالممالك الشرقية الأوراسية، إلا أنه تجدر الإشارة إلى وجوب الحذر في التعامل مع الدراسات التي تطرقت لها حول تقديمها لافتراضات على أساس نقوش نادرة وخاصة ما تعلق بالمصادر الأدبية مثل بروكوب "Procopé" وكوريب "Corippe" وحتى مع الدراسات الحديثة أمثال كورتوا "Christian Courtois".

1- الممالك الشرقية:

أ- مملكة الأوراس (؟ - 548 م) :

تعتبر المملكة الأوراسية مثالا للممالك التي تكونت خلال الفترة الوندالية واستطاعت أن تحافظ على إستقلالها إلى مجيء البيزنطيين¹، وقد حدثنا بروكوب "Procopé" حول جغرافية المنطقة بقوله: « تقع الجبال الأوراسية في نوميديا على بعد تسعة أيام من قرطاجنة، وهي الأوسع والأكثر علوا - حسب معرفتنا-، ولا بد من ثلاثة أيام من أجل الالتفاف حولها، وللتوغل داخلها لا بد من تجاوز الأودية والخنادق، فنلاحظ بعد ذلك سهول ذات تربة خصبة ومراعي واسعة وحدائق من أشجار مثمرة تخترقها ينابيع متدفقة »، ويضيف بروكوب: « يمتلك المور شمال وشمال شرقي الجبال الأوراسية أراضي خصبة، وخلف هذه الجبال غربا يوجد مور آخرون يقودهم ملكهم أورثياس "Orthaias" الذي تحالف مع القائد البيزنطي سلمون والرومان، وخلف إقليم مملكة هذا الزعيم توجد صحراء خالية من السكان، وخلف تلك الصحراء يعيش سكان ليسوا سمرا كالمور ولكنهم ذو بشرة بيضاء وشعر أشقر»².

وبهذا الوصف لبروكوب يتضح أن مملكة الأوراسيين تتميز بثلاث مواصفات أساسية متكاملة فهي مناهضة لمن يحاول دخولها لأول مرة، ونعيم لمن يعيش فيها أو يعبرها مسالما كما أنها ضد العدو الذي يهاجمها، وتوفر لسكانها مناطق ومواقع دفاعية متعددة، وبالتالي فهي منطقة ذات طابع جبلي مما يجعلها محل الجدل حول مدى إندماجها للخريطة

Courtois (Ch), op.cit, p 341-342 .

Janon (M), « L'Aurès au VI siècle, note sur le récit de Procope », in : Ant.Afr, n°15, 1980, p 346-347.

1

2

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

الرومانية¹ وهو ما إستقطب إهتمام الباحثين لها نظرا لتزامن العديد من القرائن التاريخية حولها.

كما أنّ تحديد الإطار الجغرافي للمملكة الأوراسية خلال العهد الوندالي كان محل خلاف بين الباحثين والمؤرخين، ذلك أن كريستيان كورتوا "Christian Courtois"² الذي إعتد على بروكوب "Procopé" أشار إلى أنّها لا تتجاوز السلسلة الجبلية الأوراسية واعتبرها ببير موريزوا "Pierre Morizot"³ بأنها تتحصر في جبال الأوراس جنوب شرق خنشلة، ولكن الراجح هو ما أكد عليه كل من يافس موديران "Yves Modéran"⁴ وفليكس غوتيه "Fléx Gautier"⁵، ذلك أنّ هذه المملكة تشمل كامل السلسلة الجبلية الممتدة من الحضنة غربا إلى مرتفعات النمامشة شرقا إلى جانب استيلاؤها على تيمقاد (Thamugadi) وباغاي (Bagia) في العهد الوندالي، ما يبين لنا نزول سكان الأوراس إلى السهول وسيطرتهم على المناطق الخصبة والغنية غرب الأوراس المجاورة لمملكة الحضنة (Hodna)⁶.

ومن أهم المخلفات الأثرية التي تم العثور عليها حول مملكة الأوراسيين نقيشة أريس "Arris"، المحفورة من طرف فارتيا "Vartaia" وإخوته للثناء على الملك ماستياس "Masties"⁷، حيث وفرت نموذجا أميريا متميّزا تجسّد في الملك ماستياس الذي يجمع بين الموروث الموري القبلي ونوع من تقمّص الهيكل التنظيمي الروماني⁸ نظرا لوجود مصطلحات ترتبط أكثر بهرم السلطة الرومانية إلى التأكيد على الخلفية المسيحية، وما يدل على أنّ هذه المملكة كانت قائمة ولها كيائها السياسي والاقتصادي ولم تكن خاضعة لروما

¹ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 228.

² Courtois (Ch), op.cit, p 341.

³ Morizot (P), " Pour une nouvelle lecture de L'elogium de Mastiés ", in : Ant. Afr, n^o 25, 1989, p 279.

⁴ Modéran (Y) , Les Maures et l'Afrique, p 323.

⁵ Gautier (E.F), Le Passé de l'Afrique, Les Siècles Obscures, Paris, 2^{em} éd ,1952, p 256.

⁶ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص 247.

⁷ Carcopino (J) , Leschi (L), "Inscription d'Arris (Aurés) en l'honneur de Masties",in : C.R.A.I, 88^{em} Année , n^o1, 1944, p 13.

⁸ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 228.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

فيما مضى طلب الحاكم الإفريقي بونيفاص ضرورة تأمين منطقة الحضنة وحمايتها من الوندال.

وكانت لأراضي ماستياس "Masties" الممتدة من حدود الأوراس إلى الشلف أن جعل كل من الملك ماصونا "Masuna" القادم من الغرب وفارتيا "Vartaia" من الشرق إلى محاولة تغطية هذا الفراغ، وأمام منافسة ماستيناس "Mastinas" أقام فارتيا تلك الذكرى مطالباً بحق أو جزء من خلافة الحضنة¹.

وتجدر الإشارة إلى أنّ نقيشة أريس قد أوردت عدداً من الأمرء يتضح أنهم كانوا في تنافس أو نزاع فيما بينهم، حيث أن مملكة إيوداس "Iudas" يمكن معالجتها كوحدة على أساس وحدة سياسية وطبيعية لها جذورها بمنطقة الأوراس والمناطق المحيطة بها، كما امتداد لمملكة ماستياس "Masties" وربما أوسع منها بحكم الأطراف المتصارعة الذين لا يمكن فهم صراعهم إلا كحلفاء لمملكة الأوراس أو ورثتها، وربما وجدوا في إيوداس الوريث الذي لم يعترف بمكانتهم في هذا التحالف مما جعلهم يستغلون أي فرصة للثورة عليه، وقد استغلت الإدارة البيزنطية توظيف هذه الأحقاد والصراعات بين الإخوة وتشجيع هذه العداوات الإقليمية بين ورثة ماستياس²، مما يساعدنا في فهم الغياب السريع لشخصية فارتيا عن الأحداث خاصة بعد إلحاق الهزيمة بالأمير إيوداس.

ب- مملكة الحضنة "Hodna" (؟ - 539 م) :

يظهر أن المعلومات الخاصة بهذه المملكة غامضة، حيث أنها لم يتطرق إليها المؤرخين بالدراسة المعمقة بل عبارة عن إشارات إليها فقط، حيث نجد أنّ المؤرخ كريستيان كورتوا "Christian Courtois"³ قد أدرج مملكة الحضنة بزعامة أورتياس "Ortaias"، وتبرز الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الحضنة في تعيين الرومان لشخصية محلية قوية تمثلت في ماستياس "Masties" الذي أوكلت له مهمة مراقبة اللمس والمحافظة على مصالح الرومان في

¹ سعاد سليمان، قراءة في تاريخ الحضنة القديم، دراسات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، مجلد 33، العدد 2، جويلية 2019، ص 44.

² يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 234.

³ Courtois (Ch), op.cit, p 333-334.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

هذا الإقليم، وذلك من أجل التحكم في الطرق المؤدية للسهول العليا الشرقية بموريطانيا السطيفية ونوميديا، وقد امتدت بذلك مملكة الحضنة من واد الشلف غربا إلى جبال الأوراس شرقا، تحدها سهول سطيف شمالا إلى الأطراف الشمالية للصحراء¹.

وعن الإطار الزمني لهذه المملكة فلم يحدد بالضبط، نظرا لعدم وجود معلومات كافية حول هذه المملكة قبل 535-539م، ولكن ما أكدّه بروكوب² "Procopé" هو أنها وجدت قبل 535م، وما يدل على ذلك هو أنّ أورتياس قدم الدعم لجيوش سلمون "Solomon" البيزنطي في سنة 535 م ضد إبوداس "Iaudas" الزعيم الموري لمملكة الأوراسيين "Aurés" التي ورثها عن ماستياس "Masties"، وهذا نظرا للطرد الذي تعرّض له أورتياس "Ortias" من أجزاء الأوراس التي احتلتها قبيلته منذ العصور القديمة³.

كان تحالف ماستيناس "Mastinas" مع إبوداس "Iaudas" للقضاء على أورتياس "Ortaias"⁴ من أجل إحتلاله لنوميديا وتوسيع مملكته إلى غرب الأوراس عازما بذلك طرد أورتياس من منطقة الحضنة ورعيته من الإقليم الذي يقيمون فيه منذ زمن بعيد ليصبح بذلك حاكما على الحضنة وموريطانيا السطيفية، إلا أن الملك أورتياس ثار ضدهم خلال الفترة الأخيرة من حكم الوندال سنة 533م بغية التخلص منهم قبل أن يستولوا على أراضيهِ وإمارته الممتدة شمال الأوراس في حين كانت إمارة إبوداس بالجزء الغربي منه⁵، ما يدل على أنّ هذا الأخير عاصر الإحتلال الوندالي وربما قاومه كغيره من ملوك المور، فقد أشار جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"⁶ إلى أنّ أورتياس يدمج مع فارتيا "Vartaia" في نقش أريس الذي أقيم بأمر منه ما بين 516م و535م، للتّناء على ماستياس "Masties"،

¹ العقون أم الخير، «الموقع الإستراتيجي لـ"منطقة الحضنة" في التاريخ القديم»، مجلة دراسات إنسانية، جامعة وهران، عدد خاص، جوان 2012، ص 180-181.

² Procope, Histoire de la Guerre des Vandales, trd, Dureau De La Malle, éd, Librairie de Didot Frères, Paris, 1852, II, XIII, 2-3.

³ Carcopino (J), "Un empereur maur inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès", in : R. E. A, T46, n°1-2, 1944, p 111.

⁴ Procope, op.cit, II, XIII, 2.

⁵ سعاد سليمان، المرجع السابق، ص 44.

⁶ Carcopino (J), op.cit, p 111-112.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

ويظهر أنه منذ وفاة هذا الأخير ضم أورتيايس "Ortaias" مملكته فأصبحت بذلك تمتد من الأوراس الغربي شرقا إلى أعالي واد الشلف¹.

إختفت هذه المملكة في عهد ملكها أورتيايس ملك قبائل موزيني (Musini) سنة 540م تحت ضربات البيزنطيين الذين حرصوا على حفاظ منطقة الحضنة رغم تفريطهم في باقي المناطق الجنوبية².

2- ممالك ولاية الطرابلسية والمزاق:

أ- مملكة كابوان "Cabaon" بالطرابلسية:

تكونت مقاطعة الطرابلسية من قبائل لواتة التي تزعمها كابوون "Cabaon" والتي شكلت خطرا دائما على الوندال³، إلا أن هذه الشخصية لم تنطرق إليها المصادر ما عدا إشارة بروكوب "Procopé"⁴، الذي كتب إسم هذه الشخصية على شكل "Ka Ba W V" وأنه حكم مور الطرابلسية التي واجهت الوندال وهزمتهم بفضل إستراتيجية حربية محكمة إستعملت فيها الجمال كسلاح ردعي فكّك الهجوم الوندالي خلال عهد الملك ترازموند سنة 523م، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا.

ب- مملكة أنطلاس "Antalas" بالمزاق:

كانت مملكة أنطلاس عبارة عن إمارة صغيرة في بداية القرن الخامس الميلادي، إلا أنها مع نهاية الفترة الوندالية أصبحت مهابة بفضل ما إتخذه أنطلاس من إجراءات جعلت العديد من القبائل تلتف حولها، وهذا ما جعلها من أخطر الممالك ببلاد المغرب القديم⁵ خاصة في الجنوب الغربي لمقاطعة المزاق (Byzacéne)⁶.

1 Courtois(Ch), op.cit, p 337.

2 العقون أم الخير، المرجع السابق، ص 181.

3 سليم دريسي، البيزنطيون في شمال إفريقيا، الإحتلال والعمارة الدفاعية، أطروحة الدكتوراه في الآثار القديمة، إشراف محمد البشير شنتيني، جامعة الجزائر، 2007 / 2008، ص 54.

4 procope,op.cit, I, VIII,3.

5 Courtois (Ch), op.cit , p 346- 347.

6 Mdéran (Y), " De Julius Honorius à Corippe ", p 259.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

تتمحور معلوماتنا حول شخصية أنطلاس "Antalas" على الشاعر كوريب "Corippe"¹ الذي وصفه بأمير الفراكة "Frexes" وهو ابن الملك قنوفان "Guenfan" الذي يعتبر السبب في جميع المآسي التي حلت بمقاطعات شمال إفريقيا²، ذلك أنه لم يكن يتمتع بالقوة لقيادة قبائل الفراكسيس، ولا يستبعد أن تكون هذه القبائل قد خضعت للسلطة الوندالية³، وربما قامت بعلاقات الملك الوندالي جنسريك والأهالي.

وحول ولادة أنطلاس "Antalas" فقد أشار كل من كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁴ وغابريال كامبس "Gabriel Camps"⁵ أنها كانت ما بين 493 و500م، وقد حضي باحتفال خاص، ذلك أن والده قنوفان "Guenfan" توجه إلى معبد الإله أمون وحمل إليه هدايا وقرابين ليتبرك بهذا الابن ومن أجل معرفة مستقبله أيضا، وهو أمر لا يستفيد منه⁶ إلا من كان في مرتبة ولاية العهد.

وقد نقل لنا كوريب "Corippe"⁷ تفاصيل نقل كاهنة أمون حول مستقبل أنطلاس: « لقد شاعت الأقدار وشاء قنيفان أن يهزم الوندال وأن يخرب شمال إفريقيا ويعتق المور من عبوديتهم، فحينما يكبر أنطلاس فإنّ الشؤم سيحلان بالمنطقة، وسينتشر الرعب في كل الأرجاء، إني أرى الدم الوندالي يسير كالوديان من أعالي الجبال، هاهي المدن الإفريقية تقع فريسة لهيب النيران، وهاهو العدو ينهب الشعوب المنهوكّة، لماذا أيتها الآلهة خطّطت لكل هذه الإضطرابات والمصائب المروعة، لماذا ضاعفت من قوة المور فقد سقط كل شيء فريسة للفوضى » .

وما نلاحظه من خلال تنبأ الكاهنة هو أن مستقبل أنطلاس يكون حافل بالانتصارات إلا أنه في نفس الوقت سوف يتميز عهده بانتشار الفوضى والاضطرابات وكذلك السلب والنهب، ولكن لا نستبعد أن يكون كوريب "Corippe" يريد تعميم صورة المنطقة مع ولادة

Corippe, VI, chant III .

Modéran (Y), "Corippe et l'occupation Byzantin ", op.cit, p 197.

Diehl (Ch) , L'Afrique byzantine, op.cit, p 312.

Courtois(Ch), op.cit, p 306.

Camps(G), " Antalas ", op.cit, p 706.

⁶ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 219.

Corippe, VI, chant II .

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

أنطلاس وتألّق نجمه، ذلك أن كريستيان كورتوا "Christian Courtois"¹ أشار إلى أن إفريقيا ظلت تتمتع بمظاهر الإزدهار والرفاهية إلى غاية الثلاثون من عمره.

ويبدو أن أنطلاس منذ أن كان في عمره 17 سنة بدأ بقيامه بمجموعة من الغارات سمحت له أن يكون على رأس مجموعة من القبائل، وفي سنة 529 م أخذت تحركاته منحرجا جديدا، وذلك بتحويلها إلى هجمات واسعة نحو المدن والحقول ضد الجيش الوندالي في معارك مفتوحة بعدما كانت عبارة عن هجمات خاطفة².

3- الممالك الغربية (موريطانيا الطنجية والقيصرية) :

أدى تفهقر السيطرة الرومانية ببلاد المغرب القديم إلى بروز زعامات مشكلة إمارات حقيقية أصبحت تعتبر نفسها مسؤولة عن الموريين وكذلك حتى على مجتمع المدن بما فيهم الأهالي والرومان، ومن الممالك الغربية نجد المملكة الوهرانية بألتافا "Altava" ومملكة لجدار أو الونشريس بموريطانيا الطنجية والقيصرية، وهي الممالك التي أقرت بها النقيشة الحجرية التي عثر عليها في ألتافا والتي تعود إلى سنة 508م، إضافة لبعض المنجزات العمرانية المتمثلة في أضرحة لجدار وعدد من التحصينات المورية، إلى جانب ما أشار إليه بروكوب "Procope".

أ - مملكة ألتافا (بداية القرن 5م - 535م) :

لقد تم تحديد الإطار الجغرافي للمملكة الوهرانية التي تنسب للملك ماصونا "Masuna" في موريطانيا القيصرية جنوب الأطلس التلي³، ذلك أنّ الملك ماصونا حكم الأراضي التي تمد

¹ Courtois (Ch), op.cit, p 155-269.

² يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 219.

* ألتافا : مدينة حيوية، مؤرخة 480-508م، ويمكن أن نفترض أنّ ألتافا "Altava" سقطت بعد مقاومة معينة تحت سيطرت ماصونا "Masuna"، وقد وضعت مؤقتا تحت سيطرت الملازم الموري إيدير "Lider"، وماغين "Masgivin"، الذي عين محافظا ووكيلا على التوالي في مدينة سفار "Sefar" وكيسترا سيفريانا "Castra Severina" المجاورتين، وربما كان بناء الكاستروم "Castrum" رغبة في إقامة حامية مورية، ثم وجدت ألتافا في حالة مشتركة، وحصل المدعي العام على الحق في إستكمال التفاني من خلال التذكير بدور ناحيته في الإنتهاء من الكاستروم، وذلك في سنة 508م، أنظر:

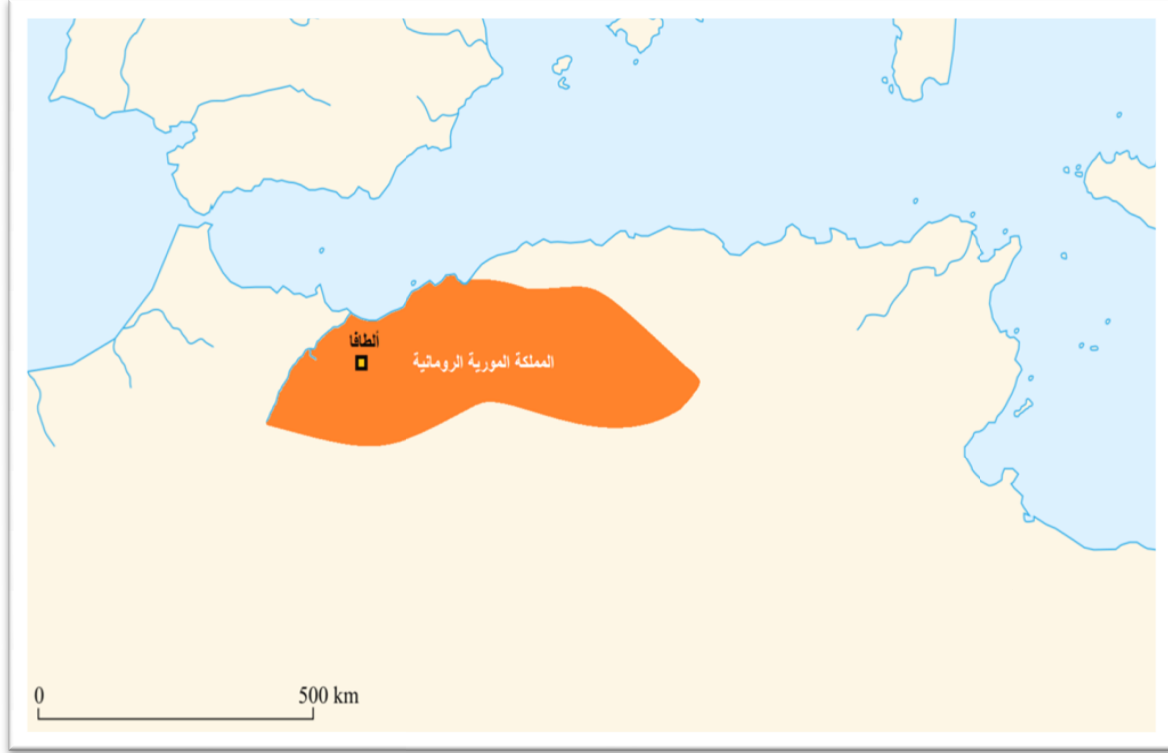
Camps (G), " Rex Gentnium ", p 197.

Ibid, p 189.

3

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

من الساحل المتوسطي شمالا إلى الهضاب العليا جنوبا، ومن حدود موريطانيا القيصرية شرقا إلى وهران غربا، إلا أنها لم تصل إلى ولبلي¹، كما إمتدت سلطتها إلى ما وراء خط اللمس بالرغم من أنه كان يستقر داخل ممتلكات الإمبراطورية الرومانية².



خريطة رقم 06: موقع مملكة ألتافا،

ولقد تم العثور على عدة آثار مادية في المنطقة أكدت على وجود هذه المملكة خلال الفترة الوندالية والتي من أهمها النقيشة الحجرية التي عثر عليها بألتافا بأولاد ميمون (Lamoriciere) المؤرخة سنة 508م والتي تم إكتشافها في 1968م³، وكتبها كل من ماسغفين "Masgivin" وإيدير "Lider" على التوالي محافظ مدينة سفر (Sefer)* ووكيل النيابة من كاسترا سفريانا (Costra Severian)^{1*}، وهي محفورة على كتلة من الحجر الجيري طوله 1,23

1 Courtois (Ch), op.cit, p 334.

2 Février (P.A), « Masuna et Masties », in: Ant. Afr, n^o24, 1988, p 138.

3 رابح لحسن، المرجع السابق، ص 52.

* سفر "Sefer": تمثل عين تموشنت الحالية حسب ما أشار إليه ديبل، واعتبرها كومبس تييداي، فاسم سفر هو محلي ذلك أن كلمة أسفار تعني في اللغة المحلية الدواء، أنظر:

Diehl (Ch), op.cit, p 43; Camps (G), op.cit, p 196.

* كاسترا سفريانا "Costra Severian": تمثل الإسم الثاني لكبوت، تتعلق بقلاع بنيت في عهد السيفريين التي تعرف بشنزي، حدد موقعها شرق تلمسان على بعد 70 كلم من هذه المدينة، أنظر: Camps (G), op.cit, p 196.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

متر وارتفاعها 0,43 متر، محفوظة بمتحف وهران²، وكانت هذه النقيشة تمثل خلاص وسلامة الملك ماصونا "Masuna"³، وعلى الأرجح يكون هذا النقش المحفور تكريما للملك ماصونا⁴، ذلك أن الباحث بول ألبيرت فيفري "Paul Albert février"⁵ يعتبر أن هذا النقش قد تم إنجاز هذا النقش بأمر من الملك ماصونا وسجل فيه أسماء الموظفين الذين أشرفوا على إنجازهم، إلى جانب ذكره لمجموعة من المدن مثل سفر (Sefer) وسفريانا (Severiana).

ب- مملكة لجدار (الونشريس):

يعود موقع لجدار إلى سلالة مورية بمنطقة الونشريس التي قامت على أنقاض اللمس الموريطاني، وبسطت سيطرتها على معظم أراضي القيصرية ما عدا شرشال (Caesarea)⁶ وإرتكزت في إقليم السرسو الملائم وهي تحاذي بذلك مملكة ماصونا "Masuna"، وخلدت ذكراها في أضرحة لجدار*، التي وجد فيها الأثريون صعوبة تحديد أسماء ملوكها، كما تعاملت المصادر والدراسات الحديثة بحذر مع ملوكها، حيث نجد أن بروكوب "Procope"⁷ قد

1 Loc.cit, p 194.

2 Fevrier (P.A) , op.cit , p 134-138 .

3 Camps (G) , op.cit , p 195.

4 Carcopino (J), op.cit, p 110.

5 Fevrier (P.A), op.cit, p 133.

6 Procope, op.cit, II , XX , 4.

** تتكون أضرحة لجدار التي من 13 ضريح مقسمة إلى مجموعتين أساسيتين، الأولى من ثلاثة أضرحة (A, B, C) متواجدة بجبل الأخضر، والثانية تتألف من عشرة أضرحة (D, E, F, G, H, I, j, K, L, M)، موزعة حول جبل عروي وهي عبارة عن أهرامات قائمة على قاعدة مربعة أكبرها ضريح كسكاس ذو قاعدة مربعة ضلعها حوالي 45 متر ويصل إرتفاعه إلى 48 متر، يتكون من باحة "Area" ذات أشكال وأبعاد مختلفة تبعا لطبيعة الموقع والمساحة المتاحة للمبنى، يحيط بها صور قليل الإرتفاع، أما هيكل الضريح فهو يتكون من جزئين هما: الجزء السفلي الذي هو عبارة عن قاعدة مربعة الأضلاع، ترتفع جدرانه إلى مستوى يفوق قامة الإنسان، وجزء علوي على شكل هرم مدرج، في حين نجد أن المدخل يكون دائما من الجهة الشرقية للهرم ويتم الوصول إليه بواسطة جسر مغلق يتجه إلى الأسفل عن طريق سلم حجري يوصل إلى الأروقة الداخلية المؤدية إلى غرف الدفن، للمزيد أنظر، خالد قلاواز ولخضر سليم قيوب، « دراسة أثرية للأضرحة المورية في شمال إفريقيا، أضرحة جبل لخضر بالجدار، تيارت » ، مجلة تاريخ العلوم، العدد 7، مارس، 2017، ص 241-251. محمد البشير الشنيتي، موريطانيا القيصرية، ص 729-731؛ يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 239.

7 Procope, op.cit, II , XIII, 2.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

ذكر ملكها بصيغتين مختلفتين، وتطرق إلى شخصية ماستيناس "Mastinas" الذي يعتبره حليفاً لأمير الأوراس إيوداس "Iaudas" ضد أمير الحضنة أورتياس "Ortaias"، وفي فقرة أخرى وصف أن ماستيغاس "Mastigas"¹ يبسط نفوذه على كامل موريطانيا القيصرية ما عدا شرشال "Caesarea" سنة 535م.

ويتضح أنّ بعض الدراسات الحديثة أخذت حذو بروكوب حول الملك ماستيناس "Mastinas" حسب ما أشار إليه جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"²، ولا يظهر في أي جزء في العملة بين 535م و539م، ونجد أيضاً شخصية ماستيغاس "Mastigas" الذي تركه سلمون "Solomon" بعد إنتصاره عام 539م في غرب موريطانيا القيصرية، ما يعني أنّه يجب التعامل مع هذين الإسمين على أنّهما أميرين مختلفين فهذا ما أكد عليه بيير موريزو "Pierre Morizot"³ أيضاً، لكن كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁴ إقترح نظرة مغايرة تعتمد على مطابقة الإسمين واعتبارهما لنفس الأمير ذلك أن الفرق بينهما لم يكن سوى حرف N و G.

يبدو أن الإطار الزمني لمملكة ماستيناس بالجدار "Mastinas" لم يشهد لها حادث قبل 535 م⁵، غير أنه يفهم من كاركوبينو "Jérôme Carcopino"⁶ أنها توجد قبل هذا التاريخ، وذلك من خلال إشارته إلى أن فارتيا "Vartia" الذي يدمجه مع أورتياس "Ortaias" قد نجح من تخليص نفسه من ماستيناس "Mastinas" قبل نزول البيزنطيين ببلاد المغرب القديم، حيث أنّ الملك أورتياس ثار ضد ماستيناس وحليفه إيوداس "Iaudas" خلال الفترة الأخيرة من حكم الوندال سنة 533م بغية التخلص منهم قبل أن يستولوا على أراضي وإمارته الممتدة شمال الأوراس في حين كانت إمارة إيوداس بالجزء الغربي منه⁷.

Ibid, II , XX , 4.

Carcopino (J) op.cit, p 114.

Morizot (P), op.cit , p 282.

Courtois (Ch), oip.cit , pp 335, 336.

⁵ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 247.

Carcopino (P), op.cit, p 114.

⁷ سعاد سليمان، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

وتجدر الإشارة إلى وجود ممالك أخرى إلى جانب هذه الممالك التي ذكرناه، إلا أننا لا نعرف عنها غير إسمها مثل مملكة كابسور "Capsur" أو كابسوس "Capsus" التي تتضح من خلال إشارة فكتور دي فيتا "Victor de Vita"¹ إلى أحد القساوسة مارتينيانوس "Martinianus" الذي تم نفيه رفقة إخوته الثلاث في عهد الملك الوندالي جنسريك "Genséric"، مما يوحي على أنها موجودة منذ سنة 477م²، والتي يبدو أنّ نفوذها كان يمتد حتى المناطق الصحراوية، حيث إقترح كورتوا "Christian Courtois"³ أنّها تمتد إلى المناطق الجنوبية الغربية لمقاطعة بيزاسين كما أن سكانها ظلوا وثنيين، ويرجع الفضل لهذا القس في نشر المسيحية بين أوساطهم.

بالإضافة وجود ملك الأكتوماني "Ucutamani" الذي أورده غابريال كومبس "Gabriel Camps"⁴ من خلال إعماده على النص الكتابي والذي نقش في كهف على ممر الفدوليس "F'doulés" على الطريق الرابط بين قسنطينة (Cirta) وجيجل (Igilis)، حيث أشار أن الباحث جاسكوا "Gscou(J)" حاول قراءته، وعلى الرغم من نقائصه فقد إستطاع على الأقل تفسير مجموعة من الكلمات التي يكون لها معنى، والتي منها: « كان ملك الأكتوماني يقيم على جبل موكس "Mux" أو إيموكس "Imux"، يحتوي قبره على جثث من أعيان وشعبه و"كبار السن"، الذين لقوا حتفهم بسبب المجاعة والتضحية بحياتهم بسبب صراعاتهم، كما دفن أيضا طفل صغير، ثم سيكون هناك إشارة إلى إختفاء آخر وانتصار، وسيكرس السطر الأخير إلى وفاة الملك «، ويضيف غابريال كومبس "Gabriel Camps" أنه لم يتم التعرف على إسم الأمير الذي توفي وعمره أكثر من 70 سنة سوى أنه ملك لقبيلة مورية قوية، ويؤكد على الطابع المسيحي للنقش واحتوائه على الثنائية الدينية والسياسية، حيث لم يستبعد أن يكون كبار السن من كهنة المنطقة الذين عانوا من الإضطهاد الوندالي.

Victor de Vita, I, 35.

1

² محمد الهادي حارش ، ص 248.

Courtois (Ch), op.cit, p 340.

3

Camps (G),op.cit, p 199-200.

4

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس



خريطة رقم 07: الممالك المورية

وعموما يتضح أنه غالبا ما يكون هناك إختلاف بين الباحثين حول ملوك وزعماء المور، ويعود هذا تارة إلى تشابه الأسماء بينهم وتارة أخرى إلى حدود سيطرت هؤلاء الملوك، مما دفع يافس موديران "Yves Modéran" إلى المقارنة ما بين بعض الباحثين مع إعطاء مقترحه الجديد لمخطط ملوك المور وحدود سيطرتهم، وفقا للجدول الآتي:

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

نوميديا الأوراس الغربية الشرقية النماشنة		السطيفية الحضنة	القيصرية	المقاطعة المؤلف
؟	يوداس ↓ ماستيناس فارتيا (أرتياس)	ماستيناس	ماسونا / ماسوناس ↓ ماستيغاس	كاركينوا Carcopino
ماسوناس	يوداس	ماستيناس ↓ فارتيا / أرتياس	ماسونا ↓ ماستيغاس (= ماستيناس)	كورتوا Courtois
	يوداس	ماستيغاس / ماستيناس ↓ فارتيا / أرتياس	ماسونا (= ماسوناس) ↓ ماستيناس؟	موريزوا Morizot
؟	ماستيناس ↓ يوداس	أرتياس	ماسونا ↓ ماستيناس (= ماستيغاس)	مقترح لمخطط جديد

الجدول رقم 02: فرضيات توطين زعماء المور في نوميديا وموريطانيا خلال القرن السادس الميلادي.

Modéran(Y), Les Maures et l'Afrique Romaine, p 379.

ويضاف إلى هذه التركيبة البشرية المحلية المتكونة من قبائل متفرقة أو إمارات وممالك مورية توافد العديد من الأجناس البشرية التي قطنت بلاد المغرب القديم منذ زمن كالفينيقيين، اليهود، الإغريق والرومان، أو تلك العناصر الوافدة من أجل الخدمة العسكرية كالسوريين وغيرهم ممن أقاموا بالمنطقة وتزوجوا وتفاعلوا عبر الزمن وبقوا بالمنطقة.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

رابعاً-الأجناس الأخرى الموجودة ببلاد المغرب القديم:

أ-الأجناس الشرقية:

حاول توكسيي "H.Tauxier"¹ في دراسته تتبع مراحل وخلفيات هذه الهجرات الشرقية منذ التاريخ القديم إلى غاية الفتوحات الإسلامية، وقد توصل من خلالها إلى وجود هجرة مستمرة دائمة للقبائل الشرقية لبلاد المغرب القديم، معتمداً في ذلك على نصوص كوريب في إشارته للقبائل الصحراوية التي كانت تستعمل الجمال في تحركاتها وحروبها، ووافقه في ذلك غابريال كومبس "Gabriel Camps"²، ذلك أنّ هذه القبائل كانت تتقدم تدريجياً عبر العصور من مقاطعة قورينا، إلا أنّ كريستيان كورتوا "Christian Courtois"³ أشار إلى بروز هؤلاء الرحل أصحاب الجمال كان أواخر القرن الثالث الميلادي في مقاطعة قورينا "Cyrénaique"، ووصلوا إلى مقاطعة المزاق خلال النصف الأول من القرن السادس الميلادي وخلال عهد الفتوحات الإسلامية توغلوا في أقصى المناطق الغربية، مما يدل على أنّ تحركاتهم كانت تتميز بالبطء.

ويشير محمد البشير شنيّتي⁴ إلى أنّ البلاد المصرية مثلت المعبر الرئيسي للهجرات الشرقية نحو بلاد المغرب القديم، وقد كانت منطقة فزان "Phasania" أفضل معبر للقبائل النازحة من الشرق إلى الغرب أو العكس، فهي ملتقى للطرق والقوافل العابرة للصحراء، ما يعني إقامة بروز علاقات وتفاعل أيضاً مع المصريين، فرغم إفتقارنا للمصادر التي تتحدث عن وجود هجرات مصرية لبلاد المغرب القديم، إلاّ أنّه يمكن إعتبار تغيير مجرى نهر النيل من مجراه الطبيعي في صحراء لوبيا إلى مجراه الحالي من طرف الملك مينا في حدود 5000 سنة ق.م أدى بالسكان الليبيين إلى الهجرة نحو الغرب، مما تسبب في حروب مع قبائل الجيتول ودفعوهم بذلك باتجاه الجنوب خلف جبال الأطلس⁵، وقد قويت صلة مصر

Tauxier (H), op.cit, pp 353-363.

1

Camps (G), Berbères, p 125.

2

Courtois (Ch), op.cit, p 104.

3

⁴ محمد البشير شنيّتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 145.

⁵ علي كسار غدير الغزالي، « الجذور والأصول التاريخية لسكان منطقة بلاد المغرب القديم، وموقفهم من السيطرة البيزنطية قبيل الفتح العربي الإسلامي لها »، جامعة كربلاء، ص 340.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

بشرقي إفريقيا خلال عهد الفراعنة الذين كانوا محتاجين إلى إستغلال إمكانيات المنطقة الإقتصادية.

ويبدو أنّ هناك إتصالات بين المصريين القدماء والأهالي المتواجدين فيها منذ عدة قرون من ما قبل الميلاد، وكان لابد لهذا الإتصال أن يتأثر ويؤثر¹، حيث نقل الليبيون إلى مصر القديمة مختلف المعبودات التي كيفوها مع المعبودات المصرية مثل الإله أمون والإلهة تانيت، وبالمقابل إنتقلت تأثيرات مصرية لمنطقة بلاد المغرب القديم²، وبالتالي يمكن أن يمتد هذا التأثير إلى شعوب أخرى، فقد إتصل الأهالي بواسطة مصر القديمة بشعوب المشرق كالكنعانيين والعبرانيين ومن بعدهم العرب المسلمين³، مما أدى إلى هجر معاكسة من المشرق إلى الغرب.

أ- الفينيقيون *

بدأت الهجرات الفينيقية القادمة من بلاد الشام لبلاد المغرب القديم في حدود 1500 ق.م، حيث قاموا ببناء عدد من المراسي والمرافئ والمدن على طول السواحل⁴، ولقد ميّز في ذلك محمد الهادي حارش⁵ مرحلتين للتوسع الفينيقي مرحلة الإرتياد والاستكشاف (أواخر القرن 12 ق.م-القرن 8 ق.م)، التي تم فيها تأسيس عدة مستوطنات مؤقتة مثل ليكسوس بالمغرب سنة 1110 ق.م وأوتيكا سنة 1101 ق.م، وكانت إقامتهم سلمية إعتمدت على التبادل التجاري بالمقايضة، ومرحلة الإستيطان والاستغلال التي تحولت فيها الوكالات التجارية المؤقتة إلى مستوطنات دائمة إختارها المهاجرون كوطن جديد لهم، مما شجع على

¹ بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها، أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 110.

² محمد البشير شنيبي، المرجع السابق، ص 155-156.

³ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 110.

* يبدو أن الكنعانيين قد خلفهم الفينيقيون، وقد أقاموا حضارتهم في فلسطين ولبنان وجزء من سوريا، وكانوا يعرفون بهذا الإسم منذ منتصف الألف الثانية ق.م، وخلافا لهؤلاء فإنه لا نجد ذكرا للفينيقيين قبل الربع الأخير من الألف الثانية ق.م، لهذا يمكننا أن نجعل لهذه الفترة بداية لتاريخ هذا الفرع من الشعب الكنعاني. أنظر، محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 37.

⁴ علي كسار غدير الغزالي، المرجع السابق، ص 341.

⁵ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 43.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

تدفق الموجات البشرية الأخرى للمنطقة¹، وقد ربط بروكوب هؤلاء الوافدون الجدد بمن سبقهم، بقوله²: «...، ثم إلتحق بعد ذلك بزمن طويل أولئك القادمون مع ديدون من فينيقا، وجاءوا لملاقة سكان إفريقيا الذين تجمع بينهم رابطة الدم، وبموافقتهم أسسوا قرطاجة».

وبتأسيس هؤلاء الوافدون الجدد لقرطاجة سنة 814 ق.م أصبحوا يعرفون بالقرطاجيين الذين ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية القادمة من صور بقيادة الأميرة عليسة (ديدون) أخت ملك صور بقماليون، وقد انضم إليهم الفينيقيون المتواجدون بصقلية وإسبانيا وكذلك من بلاد المغرب القديم حتى كونت إمبراطورية مع المستعمرات التابعة لها³، واستطاعت بحكم موقعها أن تتزعم المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسط منذ القرن الخامس ق.م⁴.

كانت لسياسة المسالمة التي إنتهجها الفينيقيون والقرطاجيون في وسط الأهالي أن أدت إلى الإمتزاج الواضح والذي تجسّد خاصة في الإتحاد الأتروسكي القرطاجي على إثر التعاون بينهما في المعارك التي خاضوها ضد الإغريق مثل معركة الأليا سنة 535م، وقد مس هذا الامتزاج مختلف الجوانب الإجتماعية والاقتصادية وكذلك الدينية والثقافية.

قامت العلاقات الأولى بين قرطاجة والأهالي على أساس التبادل التجاري التي كشفت بين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد، وكذلك الأمر بالنسبة للمدن الداخلية بين القرن الثالث والأول قبل الميلاد، أين نجد حضارة فينيقو-ليبية لأنها إختلطت بما عرفته من سكان المنطقة من عادات وأساليب العيش المختلفة⁵، حيث عثر على كل من قرطاج وأوتيكا (Utica) على نوعين من القبور تعود بقاياها الفخارية إلى القرن السابع ق.م، والملاحظ على هذا الفخار أنه سيطرت عليه اللمسات المحلية ما يدل على تأثير الفينيقيين بالوسط المحلي

¹ علي كسار غدير الغزالي، المرجع السابق، ص 341.

² بوشارب سلوى، المرجع السابق، ص 467.

³ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين، ج1، دار الرشد الحديثة، 2000، ص 31.

⁴ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 69.

⁵ بنت النبي مقدم، «المظاهر الاجتماعية للأسرة ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي»، مجلة الدراسات التاريخية، العدد1، ص 31.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

وبداية استغنائهم الصناعي عن الوطن الأم¹، كما تجسدت علاقتها الاجتماعية في وجود زيجات بين الطرفين²، حيث أقرن ذلك بطلب الملك هيرياص يد الأميرة عليسة للزواج، كما أن الملك ماسينيسا زوج إحدى بناته لأحد أمراء الطبقة الأرستقراطية القرطاجية³.

برزت التأثيرات الفكرية والحضارية البونية في المملكة النوميديّة وبدرجة أقل في المملكة المورية في المدن التي ضمتها إليها⁴، فقد أشار تيت ليف "Tite Live"⁵ إلى أن سرتا كانت متأثرة بالحضارة البونية إلى حد بعيد، ذلك أن العديد من الأمراء عاشوا في البلاط القرطاجي وأخذوا من ثقافة وحضارة قرطاجية⁶ التي تعتبر الحضارة الوحيدة التي أثرت في المنطقة بلغتها الرسمية وهيئاتها الإدارية، ولهذا فقد حاولت الدراسات الأجنبية ذات النزعة الإستعمارية ربط دخول الأهالي الفترة التاريخية بمجيء الفينيقيين للمنطقة والقول أنهم يجهلون الحضارة وأرجعوا الفضل للفينيقيين في معرفتهم الكتابة⁷.

وفي الجانب الديني، فيبدو أنه من الصعب أن نتعرف على مدى التأثير الديني في السكان الأصليين لبلاد المغرب القديم، ومن الآلهة البونية التي كانت موضع تقديس لدى الأهالي نجد خاصة ما تعلق بالآله بعل "Baal" الذي إمتزج مع الإله أمون "Amoun" المحلي، إلى جانب الإلهة تانيت "Tanete"⁸ التي يعتقد شارل أندري جوليان⁹ أن لفظها محلي، ذلك أنه عثر في معبد صياغة (قرب خليج الحمامات) على آلهة لها رأس لبؤة جالسة على أسد، مما يعني أن المعبودات المحلية إكتسحت المعتقدات القرطاجية، فقد إستبدلت عشتار بربة

¹ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 71،78.

² Gsell (G), H.A.A.N, T 4, La Civilisation Carthaginoise, éd, Librairie Hachette, Paris, 1920, P 465.

³ Basset (H), " Les influences Punique chez les Berbères ", R. Afr, T 62, 1921, p 345.

⁴ غابريال كومبس، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 329.

⁵ Tite Live, XXIX, 4,5.

⁶ Basset (H), op.cit, p 345.

⁷ محمد الهادي حارش، « اللغة والكتابة اللببية »، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 12، الجزائر، 2009، ص 252-253.

⁸ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 36.

⁹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 102.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

محلية إسمها تانيت وقد تمتعت بنفوذ واسع وكان القرطاجيون يقدمون لها أبنائهم تقربا إليها¹، غير أن هذه الآلهة البونية انتشرت في المدن وبشكل أقل في الأرياف أين استمرت عبادة الآلهة المورية "Dii Mauri" لدرجة أن جعلت القديس أوغسطين يحرم الذهاب إلى المغارات للتعبد².

ورغم وجود علاقات التفاعل بين القرطاجيين وسكان الأهالي إلا أن هذا لا ينف وجود توتر بين الطرفين وقد برز جليا من خلال ثورة الجنود المرتزقة التي تطورت من مجرد انتفاضة للمرتزقة المطالبين بأجورهم إلى ثورة ذات طابع وطني تحرري³، وكذلك من خلال توطيد الملك ماسينيسا علاقاته مع الرومان إثر تحالفه مع القائد سكيبيو "Scipion" على حساب قرطاجة⁴.

ب- اليهود:

يعتبر التواجد اليهودي ببلاد المغرب القديم محل خلاف وجدال بين المؤرخين، خاصة وأن النقوش التي تم إكتشافها في المنطقة لم تقدم لنا تاريخ محدد لهؤلاء الوافدين، ما يجعلنا نقر على أن هذه الهجرات حدثت عبر فترات زمنية مختلفة، ويمكن أن تكون بداية هجراتهم في الألف الثانية ق.م مع التجار الذين كانوا يزاولون التجارة مع الساميين على السواحل الإفريقية والمستعمرات الفينيقية وقد إستقروا خاصة على الساحل الشمالي للمنطقة⁵، كما يمكن أن ترتبط فترة التواجد اليهودي بفترة السبي البابلي لليهود بفلسطين في حدود 580 ق.م وقد إعتبرت هذه الهجرة من أكبر الهجرات اليهودية للمنطقة على إثر دخول الملك البابلي نبوخذ نصر لبيت المقدس وطرد اليهود منها فسارعت جماعات منهم للاستقرار ببلاد

¹ أحمد مسعودي ، « التأثيرات الثقافية والإجتماعية لسكان الوافدين على بلاد المغرب القديم »، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد 1، ص 182-183.

² غابريال كوميس، المرجع السابق، ص 329.

³ Polybe, op.cit, I, 2,70.

⁴ محمد الهادي حارش، التطور السياسي والإقتصادي في نوميديا منذ إعتلاء ماسينيسا العرش إلى غاية وفاة يوبا الأول، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 16.

⁵ محمد داده، « ملامح من أوضاع اليهود في شمال إفريقيا خلال الإحتلال الروماني والوندالي والبيزنطي »، مجلة أبحاث في التاريخ والتراث، العدد 1، 1996، ص 263-264.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

المغرب القديم¹، كما أن بطلموس الأول قام بأسر عدد كبير منهم أثناء غزواته على فلسطين سنة 312 ق.م وأوفدهم إلى منطقة برقة (Cyrénaïque) أين عاشوا كمجندين أو كمرتزقة ليكونوا تحت سيطرته، وبعدها إنتهت بهم مجموعة أخرى في حدود سنة 70م حينما طردهم الرومان من بيت المقدس أيضا بعد إحتلالهم لفلسطين واستقروا في ساحل برقة هروبا من الإضطهاد الديني والسياسي²، ولكنهم أثاروا الفتن والاضطرابات فيها*، ما دفع الرومان إلى قتل الكثير منهم في حين إتجه الآخرون إلى درعة والمناطق المجاورة لها، واتجه آخرون إلى سجلماسة³.

يتضح أنه خلال الفترة الرومانية ببلاد المغرب القديم تزايد التوافد اليهودي إليها بكثرة، حيث شكلوا قوة إقتصادية حقيقية وأصبح لديهم خلال القرن الثاني الميلادي جماعات عديدة في المدن الساحلية وقد وصل نفوذهم حسب ما أشار إليه فرانسوا دوكريه "François Decret"⁴ إلى المناطق الداخلية على الهضاب العليا حتى حدود الصحراء مع إختلاف كثافة تواجدهم من منطقة إلى أخرى، إلا أن تواجدهم في المنطقة حسب ما أشارت إليه مقدم بنت النبي⁵ لم يتعد المناطق الساحلية، وكانت في كل من البروقنصلية والطنجية قد إجتذبتهم أكثر من نوميديا والقيصرية.

¹ علي كسار غديري الغزالي، المرجع السابق، ص 354-355.

² يوسف بن غوريون، تاريخ يوسفوس، تر، زكريا بن سعيد، ط1، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، 2016، ص 253. * قام اليهود بثورة ضد الرومان على إثر إشتراك يهود قورينا في الدفاع عن أورشليم ضد روما في سنة 70م، وبعدها فر زعماء اليهود من الشرق ليستقروا في قورينا، إلا أن الرومان قبضوا عليهم وأعدموهم تنفيذا للإحكام الصادرة ضدهم في أورشليم، فأثار ذلك نفوس المستوطنين اليهود وأعلنوا ندمهم وتعاون معهم يهود برقة فعمت الفوضى والشغب، فاعتصم اليهود بالصحراء، ما دفع الرومان بتوجيه حملة عسكرية يقودها كاتولوس "Cattulus" الذي قضى عليهم في الوقت الذي كان فيه الرومان ينتقمون من أثرياء اليهود الذين لم يغادروا برقة، وقد ذكر يوسفوس أن حاكم قورينا ذبح حوالي 3000 من أثرياء اليهود، أنظر، عبد المنعم المحجوب، معجم تانيت (معجم في الحضارة الليبية - الفينيقية في شمال إفريقيا والحوض المتوسط)، ص 86-87.

³ Gautier (E.F), op.cit, p 169.

⁴ Decret (F), op.cit, p 23-24.

⁵ بنت النبي مقدم، الأسرة في بلاد المغرب القديم، خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى 27ق.م-484م، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إشراف بلقاسم رحمان، 2012م/2013، ص 237.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

كانت الطائفة اليهودية تعيش بسلام داخل أرجاء الإمبراطورية الرومانية من خلال سن الأباطرة الرومان لعدة قوانين تحمي حقوقهم الدينية¹ وممارسة طقوسهم، وذلك بموجب مرسوم الإمبراطور كلوديان "Claudianus" (370-404م) الذي منح لهم الحق في التمتع بعبادتهم² باستثناء ما يتعلق بعبادة الإمبراطور، حيث يتوجب عليهم استخدام نفس عبارات الوثنيين وحذف الصفات الربانية المنسوبة للأباطرة المعبودين في أيام الإحتفالات به ولا يتوجب عليهم الذهاب للمعابد، ولكن ليتضرعوا في هياكلهم للرب لفائدة الإمبراطور³، كما أنها كانت توفر لهذه الطائفة إمتياز ضريبي⁴، ليس هذا فحسب، بل هناك من منحت لهم صفة المواطنة، فقد عثر على نقيشة بمدينة عين غريميد (Grimidi) من خلال الإهداء يتضح أنها امرأة يهودية تحصلت عل قانون المواطنة، غير أن وضع اليهود تغير بعد إنتشار المسيحية ببلاد المغرب القديم⁵، وما زاد من معاناتهم تتصير السلطة كون أن الأباطرة المسيحيون كانوا ينحازون إلى أبناء عقيدتهم الذين يصرون على الحد من نفوذهم بالمنطقة.

إحتوت بلاد المغرب القديم إلى جانب هذه الطوائف اليهودية على العديد من معابدها التي إنتشرت في المنطقة خلال الفترة الرومانية⁶، إلا أن المصادر الأثرية المتعلقة بها شحيحة، فنجد معبد حمام ليف ويسمى أيضا ناروا "Naro" بالقرب من جبل بوقرنين بتونس وقد تم العثور عليه سنة 1883م، وهو على شكل مستطيل طوله 10 أمتار وعرضه 6 أمتار⁷، ويحتمل أن يعود آثاره إلى القرن الثالث الميلادي⁸، وتضمن العديد من الإهداءات التي كانت تتطلب مالا، مما يدل على نمط حياة الهادين التي تميزت بالرخاء إما كانوا تجارا

¹ فوزية كرتي، الدين والمجتمع بالشمال الإفريقي (180-430م)، نموذج المسيحية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، إشراف حليلة بن غازي، الرباط، 1998-1999م، ص 59.

² Joséphe (F), Antiquité Judaique, trd, Matheu (G) et Herremann (L), T 4, éd, Leroux Ernest, Paris, 1926, XIV, 5.

³ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 238-239.

⁴ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص 171.

⁵ محمد داده، المرجع السابق، ص 60.

⁶ Leclercq(H), op.cit, p 37.

⁷ Le Bohec (Y), " Inscripton Juives et Judaisates de l'Afrique Romaine », Ant. Afr, T17, 1981, p 174.

⁸ Decret (F), op.cit, p 23.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

أو حرفيين¹، مثل ساباتييكوس "Sabbaticus" الذي عثر له على نقش بمدينة حضرموت ويدل على أنه أشتهر بصناعة المصابيح، وقد وصلت منتوجاته إلى حدود منطقة الجم (Thysdrus)².

بالإضافة إلى معابد أخرى عرفت من خلال النصوص والنقوش في كل من سطيف (Sitifis)، تيبازة (Tafza) وشرشال (Caesare)³، وكذلك المعبد الذي شيد في قاعة متصلة ببازليك في لبدية⁴، كما وجدت آثار أخرى بوليلي (Volubilis) نقيشة عبرية ترجع للقرن الأول الميلادي ذكرت فيها أحد الحخامات اليهود⁵، وقد مثلت معابد مدينة قرطاجة وبعض المدن الساحلية أولى الكنائس المسيحية التي جسدت التعايش بين الديانتين⁶، بالإضافة إلى معبد بوروم قرب المور الذي حوله البيزنطيون إلى كنيسة⁷.

وإلى جانب هذه المعابد نجد المقابر التي تحتوي على نقوش مكتوبة باللاتينية وعليها آثار لكلمات عبرية مثل مقبرة جمارت التي تضم على حوالي 200 قبر بشمال مدينة قرطاج⁸، وكذلك المقبرة اليهودية القديمة في جبل الخاوي التي تبرز لنا إحتضان معابد اليهود للمسيحية، حيث عثر فيها على قبريات وبعض الأجزاء من نقوش تشير إلى قبور مسيحية، مما يدل على الوفاق الذي ساد الطائفتين⁹، وقد إحتوت هذه المقبرة على 100 سرداب محفور بالجبل تمثل القبور ونقش بها رمز الشمعدان ذو السبع رؤوس¹⁰.

ويبدو أنّ الديانة اليهودية قد وجدت في العديد من مناطق بلاد المغرب القديم، وذلك من خلال شواهد القبور التي تم العثور عليها منها شاهد قبر لليهودي جوداس "Judas"

Jister (J), Les Juifs dans l'Empire Romain, Paris, 1975, p 459. 1

Le Bohec (Y), op.cit, p173. 2

Jister (J), op.cit, p 459. 3

Decret (F), op.cit, P 23. 4

Dominique (A), Histoire du Christianisme en Afrique, Les Sept Premiers Siècles, éd 5

Kanatada, Paris, 1996, p 59.

Decret (F), op.cit, p 23. 6

7 بوركيبوس القيصري، كتاب العمائر، تر، زكريا بن سعيد، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، 2016، ص 263.

Monceaux (P), " Les Colonies Juives dans l'Afrique Romain ", C.T, T18, 1970, pp170, 172. 8

Leclercq (H), op.cit, pp 39-40. 9

Monceaux (P), op.cit, p 162. 10

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

بهنشير حرات الذي يعتقد أنه يعود للقرن الرابع الميلادي وكذلك في منطقة تاورة (Thagura)¹، كما عثر على شاهدين قبريين في سطيف "Sitifis"²، ما يدل أن اليهود قاموا بنشر ديانتهم بطريقة سلمية³ على عكس زعمه بعدم قيامهم بذلك، حيث أشارت قطعة وجدت بمنطقة لامبيز (Lambaesis) تذكر أن أحد الوثنيين تهوّد⁴، إلا أن اليهود لم ينجحوا في إبعاد بعض الوثنيين الذين تأثروا بهم عن آلهتهم نهائياً، وبالتالي يظهر أن الوثني الذي يعتقد اليهودية يعتبر نصف معتق "metuens"، ذلك أنه لا يذهب للهيكل والمعبد في آن واحد، وإنما هؤلاء المنتهدين ظلوا محافظين على أسمائهم الوثنية مثل أوريليوس فلكيانوس "P.Aurelius Felicianus" من هنشير جوانة، فقد كان أكثر المتأثرين باليهود من المسيحيين، حيث أخذوا عنهم عادة تقديس بعض الأيام لممارسة شعائرهم الدينية كيوم السبت الذي كان نفسه لدى المسيحيين إلى أن غيروه ليوم الأحد⁵.

وتشير بنت النبي مقدم⁶ إلى أنّ تأثير اليهود على أفراد الأسرة ببلاد المغرب القديم، كان في ممارسة السحر وكيفية استغلال التمام واستخدام إلههم يهوه في تلبية حاجيات الراغبين في الحصول على أشياء معينة وذكره أغلبية الأسماء والمصطلحات السحرية المستغلة مثل إياوو "Iao"، سباووت "Sabaoth"، أبرا "Abra"، أبرازا "Abrasa"، وأبرازاكس "Abrasax" الذي لا يستبعد أنه مشتقة من اسم إبراهيم "Abraham" وغيرها من الكلمات التي كتبت بالألواح السحرية "Defixionum tabellae" التي عثر على أغلبها بسوسة وقرطاج، فنجد مثلاً الساحر دوناتوس "Donatus" الذي عثر على اسمه بلوح سحري بمقبرة جنوب الجم الذي تكفل بتحقيق أمنية زونه بيكتور "Bictor" وجعل الآلهة والأرواح تساعد في الإستجابة لصلواته بإشعال نيران حبه في قلب باتيلاريا مينور "Patelaria Menor".

Le Bohec (Y), op.cit, p 117.

Monceaux (P), op.cit, p 165.

³ يوسف بن غوريون، المرجع السابق، ص 253.

Le Bohec (Y), op.cit, p 190.

⁵ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 239.

⁶ نفسه، ص 240.

2- الأجناس الشمالية:

أ- الإغريق :

بعد إنفتاح بلاد المغرب القديم على العالم المتوسطي أثناء التواجد الفينيقي أصبح الإتصال أكثر سهولة خاصة بعد الإنتشار الإغريقي عبر الحوض الغربي للمتوسط واستقرار جاليات إغريقية في كل من برقة، صقيلة وسردينيا قام البحارة الإغريق باكتشاف قرطاجة والاستيطان فيها¹، إلا أن تاريخ هذا الإستيطان كان محل جدال وخلاف بين المؤرخين كما أنّ عبورهم لمنطقة بلاد المغرب القديم فقد ترواح بين الأسطورة والواقع التاريخي.

والمتفق عليه أنه لم يكن لهذا الإستيطان وجود قبل القرن السابع ق.م، أين كانت البوادر الأولى للإتصال الإغريقي بسكان بلاد المغرب القديم، وذلك بإقامتهم للعديد من المستعمرات في المنطقة المعروفة في القديم بإسم بلاد القوريني "Cyrénaique" في مقاطعة خليج السرت، وهذا ما أشار إليه شارل أندري جوليان²: « لم يستقر الدوريطانيون على نجد بلاد القوريني إلا في حوال 631 ق.م، وكانت لهم مع الليبيين معارك عنيفة متكررة،...، ولئن هم أسسوا مدينة برقة في أواخر القرن السادس ق.م، فقد إصطدموا بقرطاج عندما كرروا محاولاتهم التوسعية، ولم يسمح البونيقيون كذلك باستقرار داريوس أصيل سرتا، وفرضوا في أواخر القرن السادس ق.م بعد ذلك على اليونان أن لا يتجاوزو معابد الفيلان حتى لا يتوغلوا في سرتا الكبرى (Mouktor) ». «

ويتضح أن الإغريق الثيريين* شكلوا ببلاد المغرب القديم مجتمع برقة قورينا، بعدما توجهوا بزوارقهم نحو جنوب حوض المتوسط، وعلى ما يبدو أن هذا الإتجاه لم يكن بمحض

¹ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 161.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 61.

* ثيرا "Thera": هي جزيرة تعرف بكاليستا "Callista" (سانتورين "Santorini" حاليا)، وهي إحدى الجزر الواقعة في بحر إيجا، وقد عثر فيها على مخلفات أثرية تعود للألف الثالثة ق.م، كما إستقر فيها العنصر الدوري منذ أوائل الألف الأولى ق.م وأثروا بإنتاجها الفني وخاصة الفخار، ويعتقد أنّ الفينيقيين أول من عمرها، ثم بنى الأكونيون فيها معبدا لأبولو قبل أن يهاجر أهلها إلى قورينا، للمزيد أنظر،

-علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، تامغناست للنشر، رقم 1، ص 20.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

الصدفة بل كان إستجابة بما أملت عليه كاهنة أبللو*، حسب ما أورده هيرودوت بقوله¹: « يا باطوس...!...، لقدد جئت تستنبئ عن صوتك...، فلتعلم أنّ الرب الطاهر يبعث بك إلى ليبيا أرض الأغنام كي تؤسس فيها مدينة »، لكن الباحث روبرت ليمان² لخص أسباب هذه الهجرة في القحط وتدهور المحصول والضغط السكاني لها خلال لقرن السابع ق.م، وبذلك فقد أرسلوا أبنائهم بصفة مستعمرين وليس تجار، فليس لهم ما يتاجرون به، كما أشار إلى أنّ عبورهم للمنطقة قد واجهته صعوبات إلى درجة أنّهم حاولوا العودة إلى وطنهم إلا أنّ أهاليهم رفضوا وقاموا برميهم بالسهام.

وتجدر الإشارة إلى أنهم في طريقهم لبلاد المغرب القديم بقيادة أريسطوطيليس الذي كان على حملة تتكون من سفينتين ذات خمسين مجدافا لكل منها، وقد رسوا في بداية الأمر بجزيرة بلاتيا"Platée" في حوالي 637 ق.م أين إستقروا مدة عامين، ونظرا لعدم تحقيق طموحاتهم فيها ذلك أنها غير كافية لسد حاجياتهم، فقد إنتقلوا نحو أزيريس "Aziris" (جزيرة على درنة) على اليابسة واستقروا فيها إلى غاية 631 ق.م³، وبعدها توجهوا بقيادة

–بيير ديفانييه وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، تر، أحمد عبد الباسط، مراجعة فايز يوسف، ج2، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص366-377.

* أبللو: يعتبر من الآلهة الإغريقية، ويعرف أيضا بتسمية فوييوس الذي هو ابن الإله زيوس والإلهة ليتو، وشقيق توأم الآلهة أرتيميس، وهو رب الشمس، التنبؤ، الشعر، الشفاء، ورب الطهارة ومؤسس المدن والمستعمرات، وهو إله الشباب، وتعتبر دلفي إحدى مراكز عبادته الرئيسية، أنظر، بيير ديفانييه، المرجع السابق، ص 23.

¹ Hérodote, IV, 145-185.

² روبرت ليمان، التجربة الإغريقية بين حركة الإستعمار والصراع الإجتماعي (880 - 400ق.م)، تر، منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، رقم 3، ص 46.

** بلاتيا"Platée": هي جزيرة على شمال خليج البمبة، وتسمى جزيرة البمبة الواقعة بين درنة ورأس التبن، وكانت على إتصال بالشاطئ الليبي، أنظر، الشريف علي أحمد، « المستوطنات اليونانية الباكراة في إقليم كيريني »، المجلة الليبية العالمية، العدد 15، بنغازي، 2017، ص2.

³ نفسه، ص2-3.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

باتوس "Batus"* نحو بلاد المغرب القديم وذلك بعد أن حدث إتفاق مع بعض الليبيين مثل قبيلة الجلجاميين، على التخوم الشرقية القورينائية، الذين يعود لهم الفضل في إهدائهم لمنبع أبولو (عين شحات) الذي كان الأهالي يقدسونه في المكان الذي تم فيه تأسيس مدينة قورينا¹، إلا أنّ هذه القبيلة الليبية القديمة تفتنت لنوايا هؤلاء في الإستلاء على كل الأراضي الخصبة، مما جعلهم يقومون بنقلهم من أراضي إيراسا** ليلا² حتى لا يطمع فيها الإغريق.

شهدت قورينا بعدها توافد العديد من الإغريقيين من مختلف جزرها خاصة أنّ أهل قورينا كانوا يمنحون الأرض لمن يرغب في الإستيطان بها، وما يؤكد على ذلك دعوة معبد دلفي التي ألحت إلى ضرورة التسرع في التوجه للمنطقة وأنّ من تأخر في الوصول فسوف يجد أرضها موزعة على أصحابها³، وهي أراضي تتمتع بالخصوبة وانتشار الفاكهة وتربية الخيول⁴.

إمتازت علاقة الإغريقيين مع سكان بلاد المغرب القديم بالسلم والوفاق واستمرت إلى غاية منتصف القرن السادس ق.م أين إنتهجوا سياسة إستيطانية في أراضي القبائل عنوة، مما أدى إلى حروب بينهما⁵، مستغلين بذلك فرصة التوتر السائد بين نوميديا وقرطاجة في توطيد علاقاتهم مع النوميديين الذين تحالفوا معهم من أجل القضاء على الهيمنة التجارية

*باتوس "Batus": شخصية إمتزجت بعالم الأساطير في كتب اليونان، مؤسس الأسرة الباطية المؤلفة من ثمانية ملوك والتي حكمت قورينا لمدة 135 سنة، أنظر، مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، مؤسسة تواليات الثقافية، رقم 3، ص 57.

¹ محمد البشير شنياتي، المرجع السابق، ص 161-162.

**إيراسا: تقع في الطريق الرابط بين قورينا ودرنة، ولا تبعد على قوريني إلا بحوالي 70 كلم على الجهة الشرقية منها، أنظر، الشريف علي أحمد، المرجع السابق، ص 4.

² غوليام ناردوتشي، إستيطان برقة قديما وحديثا، تر، إبراهيم أحمد المهداوي، ط1، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ص 23.

³ هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر، عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي، 2001، ص 355.

⁴ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 64.

⁵ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، صص 58، 56.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

لقرطاجة¹ التي عملت جاهدة لمنع الإتصالات بين الإغريق والأهالي² وسعيها للإستحواذ على التجارة في المنطقة.

كانت لهزيمة قرطاجة في حربها ضد الرومان فاتحة عهد جديدة بالنسبة للعناصر الإغريقية ومملكة نوميديا إثر منح روما لهذه الأخيرة الحق في التعامل المباشر مع العالم الخارجي وربط علاقات تجارية ودبلوماسية مع الدول المجاورة ومنها الإغريق³، مما مكن للتجار الإغريق الإندفاع نحو الموانئ والمدن التجارية النوميديّة.

ويبدو أن الإغريقين إمتزجوا مع سكان بلاد المغرب القديم من خلال المصاهرة، حيث سعوا إلى التزوج بالجميلات من نساءهم⁴، وقد كانت للمرأة القورينائية دورا بارزا في المجتمع على غرار المرأة الإسبرطية⁵، كما أنهم نقلوا آلهتهم معهم وتسربت تلك المعبودات في المنطقة مع الإتصال اليوناني بالأهالي، فنجد الإله البحري تريتون الذي مجده البحارة⁶، وبوسيدون "Pousidon" الذي هو إله البحر وله السلطة على العواصف والرياح والزلازل، مما يمكنه من إرسال الخراب أو السلامة للملاحين وكان يعبد بصفة خاصة حول بحيرة تريتون "Tritonis"، إلا أن هيرودوت إعتبر أن هذا الإله محلي عظمه الأهالي وعرفه الإغريق عن طريقهم في إطار عملية التأثير والتأثر، إلى جانب أثينا "Athéne" التي تمثل ربة الحكمة والحرب والذكاء والفكر والفنون والعلوم والصناعة وراعية مدينة أثينا، كما يعتقد أنها إلهة حربية ليبية عذراء تسمى أيضا بالاس "Pallas"⁷، إضافة إلى كل من ديميترا "Déméter" وكوري "Coré" التي إرتبطتا بالزراعة ومحصول القمح، وقد أدخلهما القرطاجيون إلى مدينتهم

¹ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 161-162.

² بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 116.

³ محمد البشير شنيتي، أضواء، المرجع السابق، ص 162.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 61.

⁵ سيد أحمد علي الناصري، الإغريق، تاريخهم وحضارتهم، من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص 155.

⁶ Hacouard (G), Guide mythologique de la Grèce et de Rome référence, éd, Hachette, Paris, 1984, p 252.

⁷ Gsell (G), op.cit, T 4, n^o4, p 262.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

خوفا من غضب الآلهة عليهم، وأخذت عبادتهما في الإنتشار بين الطبقة النبيلة القرطاجية وخصتا بالتبجيل كما أقيمت لهما عدة معابد في مختلف أرجاء المملكة النوميديّة¹.

وبالمقابل نجد تأثيرات الأهالي الواضحة في المجتمع الإغريقي الذي تأثر بدوره ببعض العادات المحلية نتيجة الإختلاط الوثيق بهم وتبنوا تقاليدهم الجنائزية وعقائدهم²، حيث ذكر هيرودوت تبني الإغريق لبعض التقاليد الحضارية الليبية وتشبهوا بهم في الملابس خاصة الجلباب الليبي المشهور الذي يصنع من جلد الماعز، بل وقد ألبسوا هذه التفصلة لآلهتهم بأثينا مضيفين عنهم أهدابا على شكل ثعابين وكان الثوب يحمل إسم ليبي لدى الإغريق، كما ذكر أيضا أنّ بعض الأناشيد التي كانت تردد في المناسبات الدينية إنتقلت إليها من ليبيا³.

ويتضح أنّ الأمراء النوميديين كانوا يرسلون بعثات طلابية إلى العواصم اليونانية لنيل المعرفة على أيدي أدباء وفنانين إغريق، فقد كان بلاط الملك ماسينيسا حافلا بهؤلاء الموسيقيين والفنانين والأدباء، ما يدل على معرفة الملك للغة الإغريقية وإعجابه بالفكر اليوناني، ولدينا في كتب همبصال باللغة الإغريقية ما يشير إلى هذا التفاعل⁴.

ب- الرومان:

يبدو أن قدوم الرومان لبلاد المغرب القديم قد تم بسبب القرطاجيين سنة 203 ق.م وهي السنة التي وطأت فيها أقدام القائد الروماني سكيبيو "Scipion" أرض المنطقة، فتعرفوا بذلك على ثرواتها الطبيعية وبدأت فضولهم باحتلالها⁵، وكان ذلك على إثر الحرب البونية الثانية التي بموجبها فرضت روما شروط قاسية على قرطاجة⁶، مما فتح المجال للملك ماسينيسا "Massinissa" لتحقيق طموحاته التوسعية على حسابها، وبهذا رفعت قرطاجة شكوى

¹ Carcopino (J), Aspects mystique de la Rome païenne, Paris, 1942, p 13.

² مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 56.

³ محمد البشير شنيني، المرجع السابق، ص 156.

⁴ نفسه، ص 162-163.

⁵ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 117.

⁶ Gsell (S), H.A.A.N, T3, Histoire militaire de Carthage, éd, Librairie Hachette, Paris, 1918, P 329- 330.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

لمجلس الشيوخ الروماني الذي لم يتحرك لوضع حد لماسينييسا، مما دفع بالقرطاجيين لمواجهة بقيادة صدر بعل، وهنا تدخلت روما بحجة إختراق معاهدة زاما لسنة 201 ق.م¹، ولما أدركت مخاوفها لتوسعات الملك أعلنت الحرب البونية الثالثة التي قضت بموجبها على قرطاجة سنة 146 ق.م، فكانت بداية إحتلالها للمنطقة.

تميز الإحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم منذ البداية بالتدرج والبطئ، وبنفس هذا التدرج إتسمت به الإدارة الرومانية وأجهزتها في إطار تحويل الأنظمة الإدارية لبلاد المغرب القديم إلى أنظمة رومانية خالصة، والواضح أن السياسة الإدارية الرومانية تميزت بالمرونة التي هي ضرورة تطلبتها التطورات السياسية، الإدارية والعسكرية في كل مناطق الإمبراطورية، وهي أهداف تتمحور حول تكثيف الجهود لتثبيت السيطرة الرومانية² وبالتالي تمهيد سكان المنطقة لتقبل الحضارة اللاتينية بمختلف مظاهرها ما يعني قبول الأهالي لسياسة الرومنة.

تجلت رغبة بعض الأهالي المدنيين والريفيين خاصة طبقة الأغنياء منهم بالإندماج مع الرومان، إلا أنها إصطدمت بالركود القانوني والاجتماعي ولم تلبى رغبتها سوى في عهد متأخر جاءت بموجب قرار 212م الذي منح فيه الإمبراطور كركلا "Caracalla" (211-217م) حق المواطنة لكل من يسكن الإمبراطورية، وذلك بعد أن حتمتها تغيرات الأوضاع³، حيث أعتبرت المواطنة أفضل وسيلة لتجسيد أهداف روما وتثبيت سلطتها عن طريق إستقطاب العناصر المحلية ودمجهم في المجتمع الروماني وبالتالي حصولهم على العديد من الحقوق كإتخاذهم للإسم الثلاثي* المنصوص عليه في قانون الحالة المدنية للإندماج نهائيا

¹ De la malle (D), et Yanoski (D.J), Carthage (Afrique Ancienne), T2, éd, Fermain Didot Frères, Paris, p 100- 101.

² بلباسم رحمانى، « روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب أنموذجا) » ، مجلة البحوث والدراسات، العدد9، 2010، ص 30.

³ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، 1996، ص 78.

* تعتبر مدونة النقوش اللاتينية في جزئها الثامن مصدرا أساسيا لدراسة أسماء الأعلام خاصة أن النقوش الجنائزية تشكل أغلبيتها، رغم أشكال النقص التي تلازمه، للمزيد أنظر،

Dondin (P.M), « Recherche sur un aspect de la Romanisation de l'Afrique du Nord, l'expansion de la Citoyenneté Romaine jusqu'à Hadrien », in: An. Afr, n^o17, p 95-98.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

مع الشعب الروماني، مما مكن للحاصلين عليها حملهم لأسماء وألقاب العائلات الرومانية الأرستقراطية التي إتخذوا مشاهيرها حماة لهم¹، وبهذا يصعب تمييز الروماني بالأصل عن الروماني بحق المدنية ونادرا ما نجد من إحتفظ بلقبه الأصلي.

بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن نجد تمييزا واضحا بين المستوطنين الرومان وسكان بلاد المغرب القديم، فكثيرا ما يشار إلى أن النازحين من إيطاليا كانوا بأعداد قليلة وأقل منهم المواطنين الرومان، ذلك أن الأهالي شكلوا الأغلبية الساحقة من سكان المدن وأعضاء الجيش²، كما أن دور هؤلاء الأهالي المتميز في السياسة والإدارة والثقافة يعتبر كدليل على تقدم حركة الإدماج الثقافي الروماني اللاتيني.

ويتضح أن المدن الإستيطانية الرومانية لعبت دورا أساسيا في نشر الثقافة اللاتينية التي كانت موجهة للرومان وللذين نالوا صفة المواطنة³، وذلك من خلال إنشاء مختلف المرافق لازدياد تأثير الحضارة الرومانية في هذه المجتمعات الحضرية التي اندمجت في الحضارة اللاتينية، ولعل من أهم هذه المنشآت المعمارية نجد المسارح التي قدمت على خشبتها عدة أعمال أدبية تمثيلا وغناء بشكل حر ومختلف الإحتفالات سواء بالشخصيات النافذة السياسية والدينية أو بالمناسبات الدينية مما ساهم في تثقيف الشعب⁴ إلى جانب المدرجات والحمامات.

ولكن يلاحظ أن هذه المدن المحاطة بالأسوار والتي كان الأهالي خارجها لا يستفيدون من هذه الخدمات التي تقدمها المدينة الرومانية لمواطنيها الرومان في الغالب⁵، كما أن

¹ شافية شارن وآخرون، الإحتلال الإستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 104.

² عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 76.

³ عبد الحميد عمران، «نومديا أثناء الإحتلال الروماني»، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، 2014، ص 25.

⁴ بلقاسم رحمان، «أثر الإستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 2، جوان 2009، ص 5-6.

⁵ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 25.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

هناك تفاوت في الحقوق بين أصناف المدن وطبقات كل مدينة وكان لتفوق كبار الملاك أن قاموا بإفراغ الإصلاح من كل مضمون¹، ما أدى إلى إنحطاط منزلة الأهالي في المدن.

وحول التأثير اللغوي اللاتيني في بلاد المغرب القديم، تجدر الإشارة إلى أن أمراء وملوك المنطقة قد تعرفوا على هذه اللغة من خلال العلاقات التي ربطتهم بروما، سواء كان ذلك في فترات السلم أو الحرب، ومنها علاقات الملك ماسينيسا الوطيدة مع الرومان والتي استمرت طيلة عهد ابنه مسيبسا "Micipsa"، وهي العلاقة التي جعلت حفيده يوغرطة "Jugurtha" يقف إلى جانب الرومان في معركة نومنتيا، كما أن أدربعل "Adherbal" ألقى خطابا في مجلس الشيوخ أورده سالوست "Sallust"، ورافع يوبا الأول "Juba I" في مجلس الشيوخ، فلم تشر المصادر إلى وجود مترجمين لهم، بالإضافة إلى أن المدن النوميدية شهدت تجار رومان ضمن فرق الجند المأجور².

كما سعت الإدارة الرومانية إلى نشر اللغة بين الأهالي في إطار سياسة الرومنة الشاملة³، فقد كانت لغتها اللغة الرسمية في المحاكم والمجالس البلدية⁴، وبدأ انتشار هذه اللغة بعد أن فرضت الإمبراطورية منذ القرن الثاني الميلادي تعميمها على الأهالي وأقرتها كلغة رسمية ومنعت الكتابة بدونها⁵.

ولهذا فقد سارعت البلديات الرومانية إلى فتح المدارس التي كان يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة والحساب على يد معلم أولي "Litteratos primos" في القرية، ثم دراسة الآداب على نحو يشرح لهم قواعد النحو ومبادئ الموسيقى والعروض المختلفة، وعندما يبلغ التلميذ سن السابعة عشرة يترك النحو جانبا ويقصد أساتذة المدن الكبرى ثم قرطا، تبسة (Theveste) ومداروش (Madauros) التي واصل فيها القديس أوغسطين "Saint Augustin" دراسته التي

¹ عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 78.

² بلقاسم رحمانى، المرجع السابق، ص 6-7.

³ محمد العربي عقون، « من أعلام المغرب القديم، القديس أوغسطين »، مجلة الحوار الفكري، العدد3، 2002، ص 119.

⁴ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم، ص 220.

⁵ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 23.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

بدأها بسوق أهراس (Thagoste)، كما كانت سوسة وطرابلس محط أنظار الطلبة، لكن تبقى قرطاجة العاصمة الفكرية¹، وكانت لهذه المدارس أن برزت مجموعة من الكتاب لبلاد المغرب القديم الذين ذاع صيتهم في الآداب اللاتيني والإغريقي مثل أبوليوس "Apulée"، ترتليان "Tertullianus" وغيرهم.

ويتضح أن انتشار اللغة اللاتينية ببلاد المغرب القديم كان بفضل إلزامية استعمالها في النظم الإدارية والاقتصادية وخاصة القانونية التي أقرت جملة من الشروط للحصول على المواطنة والمتمثلة في توفر الفرد على الثقافة الرومانية ومفتاحها اللغة اللاتينية²، ولكن رغم إضطرار الكثير من الأهالي إلى تعلم هذه اللغة التي كانت إلى جانب اللغة الليبية* فقد ظلت هذه الأخيرة لغة التخاطب بين الأهالي في المدن، أما في الأرياف فلا شك أن الأهالي ظلوا يجهلون لغة المحتل، وهو ما مكن من صياغة اللغة الليبية³ إلى جانب اللغة البونيقية التي استمرت أيضا تكتب إلى جانب اللاتينية إلى وقت متأخر من حكم الرومان⁴.

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 220-221.

² بلقاسم رحمان، المرجع السابق، ص 7.

* كانت أغلب الكتابات الليبية عبارة عن نقوش أثرية أو جنازية كتبت على الأضرحة وشواهد القبور والصخور، وقد تضاربت الآراء حول أصلها، ذلك أنها تعرضت لعدة محاولات لاشتقاقها من الهيروغليفية المصرية، الإغريقية والفينيقية، إلا أن لا شئ يجرم ذلك، فهي كتابة مستقلة بذاتها، و يلاحظ أنه اختلف المؤرخون والباحثون في تاريخ ظهورها، فنجد في البداية صاحب مصنف النقوش الليبية شابو "Chabot(J.B)" الذي أقر بوجود كتابة ليبية وحيدة مؤرخة في نقش ثقة بتونس يعود إلى 139ق.م، وهو عبارة عن نصب تذكاري شيده الملك مكييسا تخليدا لذكرى أبيه ماسينيسا، ولكن تم اكتشاف نقوش أخرى تعود إلى أبعد من تاريخ هذا النقش، ذلك أن قزال "Gsell (S)" يعيدها إلى القرن 16 و 15 ق.م، وهو ما يعارضه كومبس "Camps(G)" ذلك أن الرسم الصخري ب أعزيب أن أكيس "Azzib Nekkis" المكتشف سنة 1959م بالأطلس الأعلى بالمغرب الأقصى لفت إنتباهه إلى أقدم تاريخ للكتابة الليبية الذي يمكن أن يعود للقرن 17 ق.م، وعلى العموم فإن هذه الكتابة على الرغم من سياسة الطمس التي مارستها الأجناس الوافدة لبلاد المغرب القديم، فقد تمسك الأهالي بها خاصة سكان الأرياف الذين تركوا لنا العديد من آثارها على شواهد القبور والمواقع الجنازية أشهرها نقش كرفلة بالأخضرية ونقش إبيزار ببوزقان الذي أكتشف سنة 1859م، فلم يشكل ذلك عائقا على تطورها عبر الزمن، فقد سميت بالكتابة الليبية القديمة وبعدها الليبية البربرية ثم التيفيناغ وهي التسمية المتداولة إلى الآن، للمزيد أنظر،

-Chabot (J.B), Recueil d'inscription libyque, éd, Imprimerie nationale, Paris, 1940.

-Camps(G), " Ecritures-Ecriture Libyque ", En. B, T 17, Paris, 1996.

-Février (J.G), Histoire de l'écriture, éd, Payot, Paris, 1959.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 220.

⁴ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 61.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

أما ما يتعلق بالتأثيرات الدينية الرومانية، فإن الفكر الديني ببلاد المغرب القديم تميز بظاهرة الإمتزاج بين عدد من المؤثرات الفينيقية، الإغريقية والمصرية-كما رأينا سابقا-، إلا أن هذا لم يمنع من وجود طقوس آلهة محلية تعبد كالإلهة تانيت "Tanite" والإله بعل حمون "Baal Hamoun"¹، فقد تعامل هذا المجتمع المغاربي مع ديانات الشعوب الوافدة بإحترام وأخذت مكانا إلى جانب المعبودات المحلية التي لم تفرض عليها القوة، ولكن على العكس مع المعبودات الرومانية التي ارتبطت بسياسة الهيمنة إتجاه الأهالي²، إلا أن هذا لم يمنع المترومنين الإلتحام بالمعتقدات الرومانية.

ويبدو أن المعمرين الرومان من التجار الإداريون والعسكريون بدورهم قد نقلوا إلى بلاد المغرب القديم العديد من معتقداتهم وآلهتهم، مما أدى للتفاعل الديني بعد إحتكاكهم مع الأهالي ومن هذه الآلهة نجد آلهة الثالوث جونو "Juno"، جوبيتر "Jupiter" ومينيرفا "Minerva" وغيرها من الآلهة التي إندمجت مع آلهة الليبو-بونوية وتأثرت بالطابع المحلي³، كما أن الرومان قاموا باستنساخ الآلهة البونية في آلهة رومانية، ذلك أنهم إعتبروا آلهة الأجانب تمثل آلهتهم⁴، فنجد أن الإله ساتورن "Saturne" * يمثل بعل حمون "Baal Hamoun"، أما الإلهة العذراء كايليستيس "Caelestis" ** فإنها تمثل تانيت "Tanit"⁵، وكانت هذه الآلهة من بين الآلهة الكبرى في المنطقة أثناء الإحتلال الروماني⁶، كما أخذ المعبود أسكولاب الروماني

¹ Leglay (M), Les religions Orientale dans l'Afrique Ancienne, Alger, 1956, p 7.

² محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثنى في شمال إفريقيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 130.

³ Decret (F) ; Fantar (M.H), op.cit, p 274.

⁴ جيفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الغفار مكاي، العدد 137، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، 1993، ص 79.

* يعتقد أن الإله ساتورن "Saturne" معبود الصباح والمساء، البداية والنهاية، الميلاد والموت، فهو يسيطر على الكواكب المحددة للأيام والشهور وتعاقب الفصول، للمزيد أنظر،

Tautain (J), Les Cultes Païens dans l'Empire Romain, Paris, 1911, p 21.

** يبدو أن كايليستيس "Caelestis" عبت منذ تأسيس قرطاج، ثم أرفق إسمها بأسماء إغريقية ولاتينية، ولا تقل أهميتها عن الإلهة ساتورن كمعبودة قمرية، للمزيد، أنظر، محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 113.

⁵ Albertini (E), op.cit, p 90.

⁶ Gsell (S), op.cit, T4, p 497.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

إسم أشمون، فقد وجدت نقيشة تشير إلى عبادته في موقع "Thurburbo Magus"¹، كما نعث على بعض المشاهد للآلهة الرومانية من خلال اللوحات الفسيفسائية مثل الإله باخوس "Bacchus"، أبولو "Apollo"، نبتونس "Neptunus" في لبدّة وفي غرب الجزائر الذي عثرت فيه على بعض المصابيح التي تزينت بها الآلهة الرومانية مثل مينرفا وإله التجارة ماركيوس "Mercurius" وحامي الطرقات فرتونة "Fortuna".

يتضح أن هذه الآلهة إستمر الإعتقاد بها طيلة العهد الروماني في حواضر المدن خاصة، والجدير بالملاحظة أنّه لم يتم رومنة الآلهة المحلية وإنما ما حدث هو أفرقة المعبودات الرومانية "L'Africanisation des Divinités Romaines"²، وذلك من أجل أن تكون للمعبودات الرومانية دور ومعنى جديد يتماشى مع أصالة وخصوصية ديانة الأهالي وما يرتبط بذلك من أشكال العبادة أو الكهنة وصولاً إلى العمارة الدينية، وهذا ما يمكن إعتباره نوع من الصمود أو المقاومة الدينية³، ويبرز هذا جلياً لما تم إخضاع الأهالي الآلهة الرومانية لتأثيرات محلية.

وبالتالي، وإن تمكنت السيطرة الرومانية من رومنة الأهالي إدارياً إلا أنها لم تتمكن من ذلك دينياً، حيث أنها لم تستطيع منع النوميديون والمور والجيتوليين من عبادة آلهتهم المحلية⁴، بل إنهم إبتدعوا آلهة محلية أخرى حظيت بعبادة واسعة خلال العهد الإمبراطوري الثاني ونجد ذكرهم في نقش باجة باللاتينية مثل الإله ماكورتا، إيونا، ماكورجوم، ماتيلام، بوشور، فيتيرينام، فارسيم⁵.

وبهذا فقد إستمرت سيطرة الآلهة المحلية خلال القرن الخامس الميلادي في القرى والأرياف حسب ما دلت عليه نقيشة ماجيفا بالقرب من ثيفيست حول الإله سوقن على الرغم

¹ Picard (Ch), Les religions de l'Afrique Antique, éd, Plom, Paris, 1954, p 125.

² Leglay (M), op.cit, p 8.

³ عبد الرحمن خليفة، «جوانب من المقاومة الثقافية ضد الرومنة في الجزائر القديمة»، مجلة تنمية الموارد البشرية، المجلد 4، العدد 2، ص 17-18.

⁴ Camps (G), « Les Numides et la Civilisation Punique », Ant .Afr, 1979, p 43.

⁵ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 113.

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

من إنتشار الديانة المسيحية ببلاد المغرب القديم¹، وكذلك فرض السلطة الرومانية عبادة الإمبراطور التي إختصت لها أجهزة رسمية تتألف من مجلس الكهان الأعلى في عاصمة المقاطعة يرأسه كاهن كبير يسمى ساكورديروس الذي يكون مسؤولاً أمام الإمبراطور على حسن سير هذه العبادة² والسهر على شعائرها خدمة لأغراض الإمبراطور السياسية من ورائها³، حيث كانت تقام إحتفالات تحضرها جماهير غفيرة من أجل إشباع شهواتهم في الأكل والشرب من أجل التأثير على نفسيتهم واعتبار أن الإمبراطور عطوف وجدير بالتقدير⁴، إلا أن هذه العبادة كانت محصورة في الغالب بالمدن وخاصة بين المعمرين من الرومان والموظفين وكذلك أتباعهم من الأهالي.

يتضح أن الإستيطان الروماني عمل على تغيير الخريطة البشرية لبلاد المغرب القديم، وذلك بتوافد عناصر بشرية جديدة استوطنت خاصة المناطق الإقتصادية مما أدى إلى تراجع السكان المحليين خلف خطوط اللمس من أجل السيطرة على الأراضي التي منحت للعناصر الوافدة⁵، وقد تزايد هذا التوافد مع حصول سكان الولايات الرومانية على حق المواطنة بموجب القانون الذي صدره الإمبراطور كركلا "Caracalla" سنة 212م، مما سمح بجميع سكان الإمبراطورية الإلتحاق والتطوع في الفرق الرومانية، وبالتالي أصبحت الوحدات العسكرية الرومانية تتشكل من مختلف الأجناس ضمن الفرق المساعدة، فوجد فرق للجنود من إيطاليا ومن أقاليم مروننة في إسبانيا وبلاد الغال "Gaul"، وكذلك من سوريا ودلماتيا وداسيا⁶، وقد كان لهذا الإمتزاج بين العناصر البشرية أن أدخلت تأثيرات مست مختلفة الجوانب الإجتماعية والدينية ببلاد المغرب القديم.

كان هذا التوافد مستمرا منذ أواخر القرن الأول الميلادي وبداية القرن الثاني الميلادي أين عرفت فيه بلاد المغرب القديم استصلاح الأراضي وتوسيع الخريطة الزراعية وخاصة

1 Gsell (S), A.A.A, Alger, 1997, p 12.

2 محمد البشير شنييتي، التغيرات الإقتصادية والاجتماعية، ص 263.

3 شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 253-254.

4 محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 263-264.

5 Camps (F.H), L'Olivier et L'huile dans l'Afrique Romaine, Alger, 1953, p 168.

6 Benseddik (N), Les Troupes auxiliaires de L'armée romaine en Mauritanie sous le Haut empire, Alger, 1978, p .

الفصل الأول: التركيبة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس

أثناء القرن الرابع الميلادي الذي أعيد فيه تنظيم إقتصاد الإمبراطورية ناهيك عن مواجهتها لثورات القبائل خلال القرون الأربعة الأولى.

وفي ختام هذا الفصل نلاحظ أنّ التركيبة البشرية خلال القرن الخامس الميلادي ببلاد المغرب القديم قد تطورت، وتصدر مصطلح المور جميع صفحات المصادر التي تناولت الفترة الوندالية، كما أن العديد من القبائل التي كانت تذكر خلال العهد الروماني لم يعد لها وجود أو بالأحرى غاب ذكرها في المصادر، وظهرت قبائل وكنفدراليات لم تكن تذكر أثناء العهد الروماني وعلى سبيل المثال لا الحصر لواتة، ناهيك عن الإمارات المورية التي بدأ تكوينها وظهورها في نهاية القرن الرابع الميلادي.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

أولاً-ظروف ودوافع الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم:

1- التعريف بالوندال

2-ظروف ودوافع الإحتلال الوندالي

أ-على المستوى الخارجي

ب-على المستوى الداخلي

ثانياً-التنظيم العسكري للوندال ودخول جنسريك المنطقة

1-تعداد الجيش

2-القوات البرية

3-القوات البحرية

ثالثاً-مراحل الإحتلال الوندالي

1-مرحلة الزحف حتى سنة 430م

2-مرحلة المعاهدات إلى حدود 477م

رابعاً-موقف الإمبراطورية الرومانية الغربية والبيزنطية الشرقية من الإحتلال

الوندالي

1-موقف الإمبراطورية الرومانية الغربية

2-موقف الإمبراطورية البيزنطية الشرقية

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

يبدو أن مشروع إنتقال الوندال منذ القرن الثاني الميلادي من أواسط أوروبا إلى بلاد الغال ومنها إلى إسبانيا ليستقروا في شمال إفريقيا، لم يكن لينجح لو لم تتوفر مجموعة من العوامل المساعدة خاصة ما تعلق بالتنظيم العسكري الوندالي الذي قابله تدهور الأوضاع الإقتصادية، السياسية والدينية ببلاد المغرب القديم التي دفعت بالكونت بونيفاص "Boniface"* (421-432م) إلى دعوة الوندال للتحالف معه ضد السلطة الرومانية مقابل التنازل لهم عن موريطانيا الطنجية والقيصرية وحتى السطيفية.

وهذا ما دفعنا للتساؤل عن الهدف الحقيقي من الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم، فهل كان هدفهم الإستيلاء على روما، وإن كانت كذلك ما الغرض من إتجاههم نحو بلاد المغرب القديم؟ وهل إستيلاء الوندال على بعض من أجزاء المنطقة كان لأهداف أخرى أكثر من إحتلالها للمنطقة؟ ثم ما موقف الإمبراطورية الشرقية والغربية من هذا الإحتلال الوندالي بالمنطقة؟.

أولاً-ظروف ودوافع الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم:

1-التعرف بالوندال:

إرتبط مصطلح الوندال "Vandale" والوندالية "Le Vandalisme" بالتخريب والعدوانية واللصوصية ويتضح ذلك من خلال التعريفات التي أشار إليها فليكس غوتيه "Emile Félix Gautier"¹ وكلود بورجوا "Claude Bourgeois"² الذي إعتد على القاموس الأدبي "Le Dictionnaire de la Cadmié"، ومعجم الأكاديمية الفرنسية "Le Dictionnaire de Lettre Française"^{**}، إلا أن كريستيان كورتوا "Christian Courtois"¹ الذي إعتد على علم المواقع

* الكونت بونيفاص "Boniface": كان له مهنة طويلة في الشؤون العسكرية، فقد كان ضابط حدود في توبنة (Tubuna)، ونجده في سنة 429م يتبع الجنرال كوستيموس "Costimus" إلى إسبانيا لقتال الوندال، ولكّنه إنسحب إلى بورتو (Porto)، ومن هناك إلى إفريقيا التي أصبح كونت عليها خلال عهد هونوريوس "Honorius"، أنظر،

Bièchy (A), op.cit, P252.

Gautier(E.F), Genséric, rois des vandales, Paris, 1935, p 7.

Bourgeois (C), "Les Vandales, le vandalisme et L'Afrique", in : Ant. Afr, n^o16,1980, p 21.

** جاء تعريف الوندال والوندالية حسب القاموس الأدبي "Le Dictionnaire de Lettre" كالاتي:

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

"La Toponymie"، فقد ذكر أن إسم الوندال مشتق من إسم لقرية سويدية في أوبلاند تسمى فاندال (Vendel)، وهي موطن الوندال الأصلي، وقد ذكرهم بلين (23-79م) باسم "Vindili" كما ذكرهم الإغريق باسم "Boudili" أو "Boudel"².

ويبدو أن الوندال ينحدرون من الشعوب الجرمانية التي حددها صاحب كتاب جرمانيا "Germania" المؤرخ تاكيتوس "Tacitus"³ والذي أشار بأن مواطنها تمتد إلي الشمال بالمحيط ويفصلها عن بلاد الغال نهر الراين والدانوب، وعن سرماتيا (Sarimatia) وداكيا (Dacia) سلسلة جبال الكريان، مما يوحي أنها بلاد ذات مسالك وعرة ومناخ بالغ القسوة.

والراجح أنه ليس من السهل تحديد الموطن الأصلي للوندال، وهو ما دفع كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁴ للإشارة إلي أربع روايات*** تبين أن الوندال ينحدرون من

الوندال "Vandale": كل من يعارض العلوم والحضارة كالبرابرة ويدمر آثار الفنون.

الوندالية "Vandalisme": أي عملية مدمرة تقضي على ما أمر بإحترام ذكرياته أو جماله.

أما التعريف الذي تطرق إليه معجم الأكاديمية الفرنسية "Le Dictionnaire de la Cadmié Française"، حول الوندال والوندالية فكان كالآتي:

الوندال "Vandale": من يدمر نصبا أو يفسد عملا فنيا.

الوندالية "Vandalisme": سلوك، حالة ذهنية لأنك الذين يدمرون الآثار.

Courtois(Ch), op.cit, p 15-16 .

* يحمل مفهوم الواقعية أو علم الواقعية أو علم الأعلام الجغرافيا أو الطوبونيميا أو الأماكن دلالت عديدة تهتم في غايتها بالبحث في أسماء الأماكن ومحاولة تفسير ظهورها وإضمحلها داخل مجالها الجغرافي والتاريخي وتطور دلالاتها، ويلمس ما يطرأ عليها من تغيير ومحو وتشويه بفعل الطبيعة أو بفعل الإنسان، أنظر، سليمة يحيوي، «الدراسة الواقعية في تحديد الهوية التاريخية الجغرافية للمدن الجزائرية-تلمسان أنموذجا-»، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد5.

² محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 132.

** كورنيليوس تاكتوس: ولد سنة 55م، وتلقى تعليمة كابن لأحد الفرسان الرومان، وقد ترقى في سلك الوظائف، وعين

قنصلا عام 97م، ثم حاكما لولاية أسيا (112-113م)، وتوفي سنة 118م. أنظر، حسين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1983م، رقم 8، ص 14.

³ Tacitus, Germany, trad., Mattingly (H), the pegui classic, 1954, P105, d' Après :

إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 105.

⁴ Courtois(Ch), op.cit, p 17-18 .

*** تشير كل رواية إلي:

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

السلالات النوردية الشمالية¹، إلا أن هذه الروايات لا يمكن الإعتماد عليها نظرا لتناولها لفترة متأخرة من تاريخ الوندال مما لايسمح لنا أن نثبت الأصل الإسكندنافي للوندال.

كما يحدد موقعهم حسب ما أشارت إليه الدلائل الأدبية ما بين نهري الأودر "L'Oder"* والفيستول "Vistule"*** بأوروبا²، حيث كانت الشعوب الجرمانية في أوائل عصر البرنز (1800ق.م) تحتل فقط الجزء الساحلي من البلطيق، وانتشرت فيما بعد على ضفاف الدانوب والراين حتي وصلت إلي بلاد الكلت³، أما في العصر البرونزي الثاني (1350-1200ق.م) نجد هذه الشعوب في أواسط أوروبا وخاصة في الألب والأودر والفيستول، حيث تم العثور في هذه المناطق على حضارة تعود إلي عصر الحديد لا يمكن أن تكون لا جرمانية ولا كلتية، فهي حضارة وندالية محضة، ذلك أنّ الوندال سبقوا إلي هذه المنطقة قبائل الجرمان الشرقية ومن بعدهم جاء اللومبارد والقوط⁴.

يمثل الوندال الشعوب الجرمانية الشرقية*** التي غادرت ساحل البحر البلطي (المناطق البلطيقية) في وقت سابق واتخذوا من الجزء الأوسط والشرقي من بروسيا "Prussia"

-رواية القوط: أنّ الوندال سكنوا الراين

-رواية اللومبارد: تحدد اسكندنافيا كموطن أصلي للوندال و في منطقة ألبا السفلي.

-رواية الأنجلو-سكسونية : تحدد الوندال شمال جونا لاند.

-الرواية الإسكندنافية.

للمزيد أنظر، محمد الهادي حارش، المرجع السابق، رقم 1 ص 233.

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 233.

* نهر الأودر "Oder"، نهر في أوروبا الوسطى يصب في البلطيق، ويقطع كل من تشيكوسلوفاكيا، بولونيا وألمانيا.

** نهر الفيستول "Vistule"، يعتبر النهر الرئيسي في بولونيا الحالية ويصب في بحر البلطيق.

² محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصور القديمة، ط4، دار الكتب العربية، لبنان، 1969م، ص 115.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 234.

⁴ Courtois(Ch), op.cit, p 19-20.

*** يمكن أن نقسم الشعوب الجرمانية حسب وضعها الجغرافي إلي مجموعتين:

أ-مجموعة الشعوب الجرمانية الشمالية والشرقية، ونجد أن شعوب جرمان الشمال فضلوا البقاء في شبه جزيرة إسكندنافيا وما يجاورها، وتفرعت عنهم الأمم السويدية والدانية الحالية، أما الشعوب الشرقية تمتد بين الألب والفيستول وسواحل البحر الأسود.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

موطنا لهم إلا أن إقامتهم لم تدم طويلا، وذلك على إثر قيام الحرب بينهم وبين قبائل الأنجوباردي (Lamgobardi) ، مما إضطر بالوندال إلي النزوح جنوبا للمنطقة الواقعة بين سيليزيا وبوهيميا¹.



الخريطة رقم 08: تواجد الشعوب الجرمانية،

ب-مجموعة الشعوب الغربية، امتدت من الألب والراين، تتكون من عدة قبائل لعبت دورا حاسما في أحداث أوروبا خلال الفترة القديمة والعصور الوسطى ومنها، الكمبري، التيتون، التيروسكي، الماركوني، الكوادي والشاتي. أنظر، محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 85-86.

¹ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 132.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

وينتمي الوندال إلي قسمين رئيسيين يعرفان باسم الهاسدينج "Hasding"¹ التي إشتقت تسميتها من إسم بيت الملك، وكذلك السيلينج "Silings" التي يظهر أن إسمها ليست إلا صبغة صقيلية للإسم القديم سيلينجيا²، وقد تشتتوا خلال القرن الثاني الميلادي³ بعد الإضطرابات والفوضى التي أثارها قبائل الماركوني "Marconais" في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي (حوالي 167م)، حيث إتجهت قبائل الوندال الهاسدينج نحو الجنوب إلي هنغاريا في حين ظلت قبائل السيلينج في سيليزيا، أما الوندال فقد إستقروا على ضفاف نهري الدانوب والراين الذي عبروه بعد أن إنظمت إليهم مختلف القبائل الجرمانية الأخرى ليصلوا إلى إسبانيا سنة 409م⁴ ومن ثم إلى بلاد المغرب القديم.

2-ظروف ودوافع الإحتلال الوندالي:

هناك عدة عوامل وظروف دفعت بالوندال للتوجه نحو بلاد المغرب القديم، سواء على المستوى الخارجي المتعلق بالأوضاع الأوروبية السائدة خلال تلك الفترة والتي لها إنعكاسات مباشرة على المنطقة، أو على المستوى الداخلي لبلاد المغرب القديم التي هيأت الأرضية للاستقرار الوندالي خاصة بعد دعوة الكونت بونيفاص "Boniface" لهم.

أ-على المستوى الخارجي:

شكل الوندال خطورة على الإمبراطورية الرومانية نظرا لتوغلهم في مختلف أرجائها بحثا عن أفضل مكان يستقرون فيه، وكان ذلك على إثر الهجرات الجرمانية التي تدافعت من الثغرات التي إنفتحت لها ما أدى إلى إكتساح أوروبا الغربية خاصة، وقد تزامن ذلك مع الأزمات السياسية التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية خاصة بعد إنقسامها إلى إمبراطورية شرقية بيزنطية وغربية عاصمتها روما، مما سهّل من مهمة التنقل الوندالي.

Courtois (Ch), op.cit, p21-31.

¹ للمزيد عن الهاسدينج، أنظر،

Ibid , p 31-36.

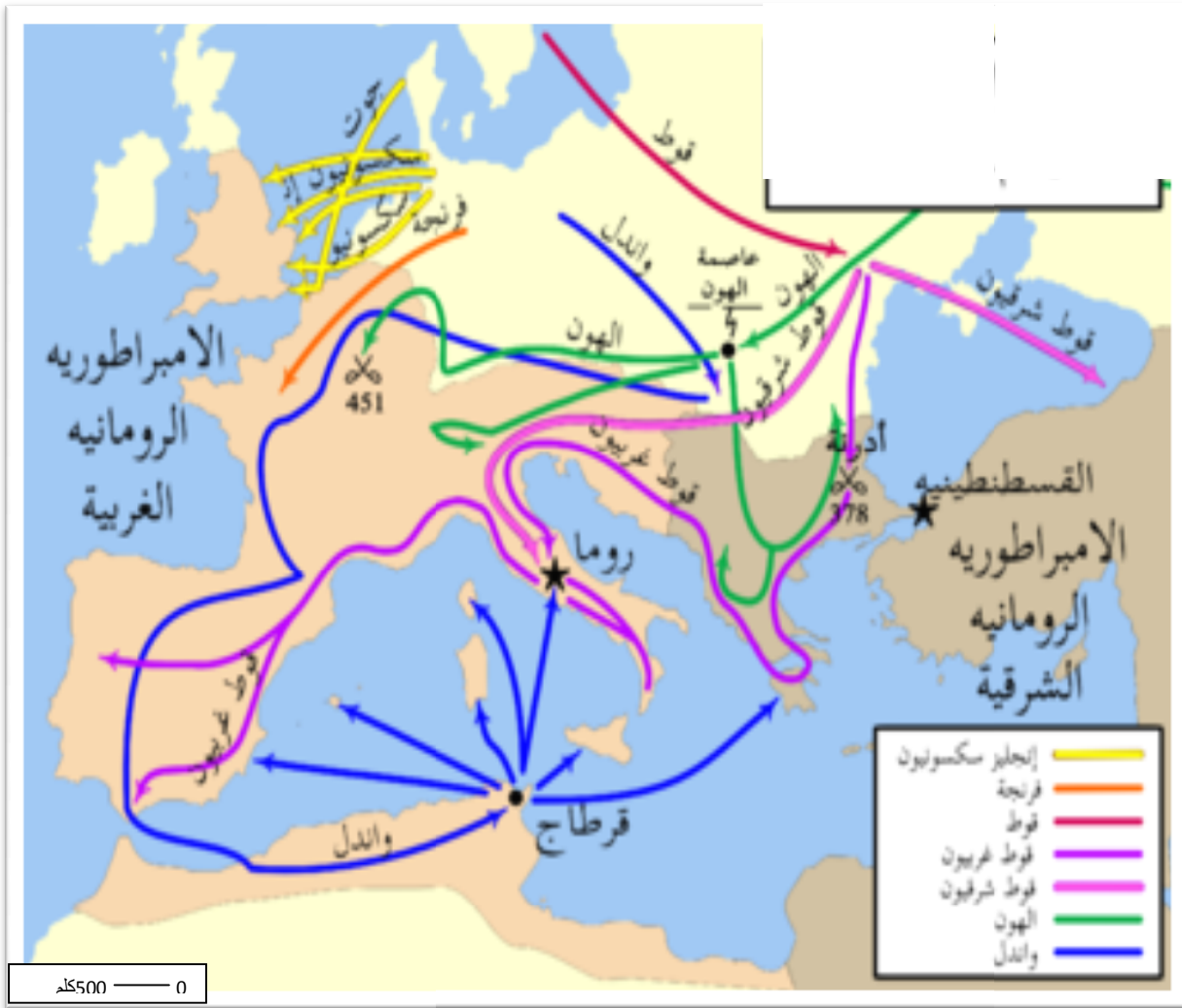
² للمزيد عن السيلينج، أنظر،

³ فايز نجيب إسكندر، الحياة الإقتصادية في الشمال الإفريقي في عهد الوندال (429-534م)، إقتصاد إفريقيا في عهد الوندال، دراسات في التاريخ الإقتصادي، القاهرة، 2003، ص 15-16.

⁴ Yanoski(J), Histoire de la domination des Vandales en Afrique, èd, Fermi Didot , Paris, p 4.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

برزت الهجرات الجرمانية للإمبراطورية الرومانية من الجهة الشمالية على ثلاث موجات كبيرة خلال السنوات 166م و167م و180م، حيث تمثلت في غزوات ماركون (Marcomans)، كاديس (Quades) وسارماتيان (Sarmates)، وخلال القرن الثالث الميلادي هاجمت قبائل مختلفة من الجرمان حدود الراين والدانوب¹، وفي الربع الأخير من القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي أدت هذه الغزوات الكبيرة إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية من الغرب كما ساهمت في إضعاف الجزء الشرقي للإمبراطورية.



الخريطة رقم 09: غزو الشعوب الجرمانية للإمبراطورية الرومانية.

Jezy (K), " Les invasions des Barbares sur L'Empire romain dans La perspective de l'Europe¹ centrale et orientale ", in : Cahiers du Centre Gustave Goltz, n^o6, 1995, p 81.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

ويعتبر صاحب "التاريخ الأدبي للغزوات الجرمانية الكبرى"¹، من أهم المصادر* التي تناولت غزوات القوط الغربيين والوندال التي شكلت مصدر الخوف للرومان وسياستها الدفاعية، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن أسباب هذه الغزوات والهجرات الجرمانية وعن خط سيرها، وكذلك عن مدى تأثيرها على الإمبراطورية الرومانية.

تمحورت أسباب الغزوات الجرمانية للإمبراطورية الرومانية في إنشاء هذه الأخيرة للخط الدفاعي الذي يعرف باللمس "Limes" كون أنه يفصل بينها وبين العالم الجرمني على طول الأنهار الكبرى بأوروبا خاصة الراين والدانوب، فلم تكن هذه الحدود المحصنة لها أهداف دفاعية فقط ضد الهجمات الجرمانية المحتملة وإنما لتخويف وترهيب العدو أيضا، إلى جانب مختلف التناقضات الموجودة بين العالم الروماني والجرمني، وخاصة ما تعلق باستخدام الرومان لوسائل الدعاية باستمرار لإبراز إنتصاراتهم على الجرمان، وذلك في المعالم التذكارية لإحياء ذكرى هذه الإنتصارات سواء بروما أو في مناطق أخرى من العالم الروماني، ومن هذه المعالم والنقوش نجد الأعمدة الأثرية مثل عمود تراجان "Trajanus" وعمود الإمبراطور أورليان "Lucius DOMitius Aurelianus"، كما نجد هذه التمثيلات على العملات النقدية حيث تم تمثيل الجرمان في الكثير من الأحيان سجناء مقيدين

¹ Courcelle (P), Histoire littéraire des grandes invasions Germaniques.

* تجدر الإشارة إلى أنّ هذا المصدر قام بسرد قصة الغزوات الجرمانية بالإعتماد على النصوص الأدبية التي هي ليست دائما موضوعية، وإنما تتبع مواطن من بلاد الغال، إيطاليا أو من إفريقيا، مسيحي أو وثني، غني أو فقير، وبالتالي فالمحتوى فقط هو الذي يتوافق جزئيا مع التاريخ الأدبي للغزوات الجرمانية العظيمة، فليس من الممكن أن يكون السؤال حول غزوات الفرنجة، الألمان (Alamans) واللومبارد (Burgondes) والإنجلز (Angles) والساكسون (Saxons)، ولهذا فقد قسم هذا المصدر إلى ثلاثة أجزاء، وهي:

الجزء الأول حول الغزو "L'invasion": حيث تطرق فيه إلى سقوط روما وكذلك غزو الوندال سنة 407م لوضع حد للثقافة العمياء للرومان، وينتهي هذا الجزء بفصل عن شمال إفريقيا في العهد الوندالي.

الجزء الثاني حول الإحتلال "L'occupation": تناول فيه إستقرار القوط الغربيين من طرف الإمبراطور وإعلان رجال الدين الولاء للقادمين الجدد، ونكسات الهون الذين عبروا الراين، وعن قوة الوندال الراسخة في إفريقيا، وكذلك إنتهاء القتال بين أوداكر وثيودريك.

الجزء الثالث الذي كان حول التحرير "La Libération": فقد كان موضوعه الإستيلاء البيزنطي والإستبعاد للبرابرة وضعف الإمبراطورية الوندالية، للمزيد أنظر،

Homert (P), " Pierre Courcelle , Histoire des grands invasions Germanique ", In : Ant. Clas, T18, 1949, p 459-462.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الأيادي خلف ظهورهم ويجلس على الركبتين أمام نصب التذكاري¹، مما لا يعكس على محاربة الجرمان وإنما الهدف منها الرغبة القوية في إبراز أهمية الإنتصارات الرومانية.

يبدو أنّ حركات الهجرات الجرمانية كانت متداخلة ونفّدت عبر مراحل من طرف مجموعات بشرية تكون من عدد متغيّر من الأفراد وبنية عرقية معقدة نسبياً، ومنذ القرن الأول ق.م إلى بداية القرن الأول الميلادي، نلاحظ الهبوط التدريجي لمناطق شاسعة من أوروبا الوسطى على الأقل مع انحطاط الحضارة الكلتية "Celtique"².

توسعت الهجرات الجرمان بداية من القرن الثاني الميلادي إلى الجنوب والجنوب الشرقي مرورا من خط الكاربات (Carpathes)، ما جعلها قريبة جدا من حدود الإمبراطورية الرومانية ووسط الألب (Elbe)، وعرفت خلال النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي تغيرات مهمة ترتبط في الأساس بحروب الماركومان "Marcomanes" وهجرات القوط (Goths) والجبيداس (Gépides) الذين يحدد موقعهم على الأقاليم المقابلة لحضارة وليبارك "Wielbark" التي احتلت بوميرانيا (Poméranie) الشرقية والأراضي المحيطة بها ووصلت إلى الشاطئ الجنوبي لبحر البلطيق عبر عبورها على ثلاثة قوارب ومع زيادة عدد السكان بسرعة واصلت مسيرتها نحو سهول البحر الأسود³.

وفي القرن الثالث الميلادي بدأت مرحلة جديدة لتحرك جماعات الوندال نتيجة الأزمات الداخلية والخارجية للإمبراطورية الرومانية، حيث ظهرت موجات زاحفة من القبائل الجرمانية تضغط على الحدود⁴، ويبدو أنّ الوندال الذين كانوا في الجزء الجنوبي من بحر البلطيق بين جبال الفيستول والألب غزوا بانونيا سنة 170م، إلا أنهم طردوا من طرف الإمبراطور أورليان "Lucius Domitius Aurelianus"⁵ الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بهم سنة 281م، مما اضطر بالوندال إلى بعث سفارة من أجل الصلح، فتم الإتفاق بشرط أن يحتفظ الإمبراطور

Jezzy (K), op.cit, p 82-83.

Loc.Cit.

Ibid, pp 87-89.

⁴ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص133.

⁵ Bièchy (A), Saint Augustin ou l'Afrique aux Cinquième Siècle, èd, Longe barbou Frères, 1852, p 260.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الروماني بأبناء ملوك الوندال وكبار نبلائهم كرهائن وأن يمدوا الجيوش الرومانية بألفي فارس كمعاهدين وفي نفس الوقت يكفل الإمبراطور بمدعمهم المؤون حتى وصولهم إلى الدانوب¹.

وبعد سنوات قليلة قام حلف من الشعوب الجرمانية المتكون من الأليمانى والوندال والبرجنديين بعبور جهة الراين والتوغل في إقليم الغال (Gaul)، إلا أن الإمبراطور بروس تصدى لهم واستطاع سحق العديد من الوندال سنة 288م وأخذ الكثير منهم كأسرى والذين إنضموا بدورهم إلى الفرق العسكرية التي بعثت إلى بريطانيا².

دفعت ضربات القوط سنة 290م بالوندال إلى الإستقرار بين نهري نيس (Theiss) وماروش (Marosk) في إقليم ترانسلفانيا الذي ينحصر بين نهري الراين والدانوب³ في منطقة هنغاريا، ولما نفذت موارد أرضها اضطر الكثير من الوندال سنة 400م إلى مغادرتها بقيادة ملكهم جوديجيل "Godigisel" في الوقت الذي إنحازوا فيه إلى الآلان*، غير أن الوندال والآلان إندفعوا غربا تحت ضغط الهون، وبعد اجتيازهم للدانوب الأعلى تمكنوا من الإستيلاء على منطقتي راتيتيا ونوريكيوم سنة 401م، ونظرا لعدم إتخاذ الإمبراطورية موقفا حاسما إتجاههم فقد لجأ القائد ستيليكون "Stilicon" إلى مهادنتهم وفي المقابل وافقوا على مده بالمرتزقة.

وفي سنة 406م، قامت جماعات من القوط الشرقيين وأحلافهم الوندال بالغزو على إيطاليا ما أدى لتخريبها وتدميرها، إلا أن ستيليكون إستطاع أن يلحق بهم الهزيمة بالقرب من فلورنسا⁴، وبعد هذه الهزيمة إتحدت بالوندال شعوب أخرى، فإلى جانب قبائل الأسدينج

¹ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 133.

² نفسه.

³ Courtois (Ch), op.cit, p 20.

*الآلان (Alains): شعب من أصل سرماتي أقام إمبراطورية إمتدت ما بين جبال القوقاز وجبال الأورال ونهر الدون، وذلك قبل إنهيارها سنة 370م على يد الهون، وبعدها ساح الآلان في وسط أوروبا مع الهون أو مع الجرمان واستقرت بعد ذلك فروعهم في بانونيا غرب هنغاريا بجوار الوندال الهاسدينغ، أنظر، محمد اللبار، «الوندال بين التاريخ والوندالية»، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد3، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المغرب، 2002، رقم1، ص171.

⁴ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 133-134.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش الرومانية منشغلة في صد الغزوات الأخرى بإيطاليا، مما مكن الوندال الإقامة بصفة آمنة في بلاد الغال¹ لمدة ثلاث سنوات أي إلى غاية شهر أكتوبر 409م² أين دخلوا لإسبانيا واستقروا في المقاطعة التي لا تزال تحمل اسم الاندلس، والشيء الغريب أنّ هذا الشعب الذي يوصف بالمدمر أصبح فجأة مزارع سلمي³، وقد تناول هذه الغزوات الجرمانية هيداس "Hydace"* الذي يعتبر المصدر الرئيسي لتاريخ إسبانيا في القرن الأخير من الإمبراطورية الرومانية، ويتضح أنّ وندال الهاسدينج والسوفي إستقروا في الجزء الشمالي الغربي من إسبانيا بجليقية (Gallaecia) ، والآلان في لوزيتانيا (Lusitane) بالقرب من البرتغال، في حين إستقر وندال السيلينج بالجنوب الشرقي من إسبانيا في بايتيكا (Baetica)⁴ التي أصبحت تعرف منذ ذلك الوقت بالاندلس "Andalusia".

Loyen (A), "Résistants et collaborateurs en Gaule à l'époque des grandes invasions", in :¹
Bulletin de L'Association Guillaume Budé, Lettre d'Humanité, n⁰22, Décembre 1963, p438.
Bourgeois (C), op.cit, p 219.²
Biéchy (A), op. cit, p 260-261.³
*هيداس "Hydace": أسقف غاليسيا "Galice"، التي يمكن أن تكون تشافيس "Chaves" بشمال البرتغال اليوم، وكان يتعامل مع الدبلوماسية والحرب، لكنّه اضطر أيضا للقتال ضد "Oriscillianistes" والمانويين "Manichéens" والأريوسيين "Ariens"، ويبدو أنّ هيداس أراد أن يكون خليفة يوسابيوس قيسارية "Eusèbe Césarée" وكذلك جيروم "Jerom"، فقد قدم لنا في سنة 469م وقائع يوسيبانوس "La Chronique D'Eusèbe" المترجمة من طرف جيروم، وتاريخ هيداس معروف لنا من خمسة مخطوطات، تتمثل في: (Berolineus Philipps, 1829) من فرنسا التي تعتبر أكثر وثوقا على الرغم من كونها لاذعة مثل البقية ولكن أقلها، إلى جانب (The Parisinus) ولكن هذه النسخة تقدّم لنا مجموعة واحدة فقط من المقتطفات، في حين أنّ النسخ الثلاث الأخرى، إثنان من مدريد وأخرى من مونتبيليه "Montpellier" وهي عبارة عن خلاصات، وأفضل طبعة لهذه المخطوطات الخمس كانت من طرف Mommsen(Th), Chronica minora, M.G.a.a, Volume XI, Berlin, 1894. وهذا حسيما أشار إليه "Verheijen (L)", وقد تم جمع عمل هيداس في مخطوط واحد وهو (Le Cod.Berlin, Philippe, 1829, Du IX siècle) والذي له ميزتين، ذلك أنّ هيداس لم يرغب في كتابة عمل جديد، فهو إضافة فقط للعمل القديم، كما أنّه لا نجد عنوانا خاصا للصفحات التي كتبها هيداس مما يدل على أنّ تفكيره في هذا الكتاب قد بدأ من طرف "Eusèbe" واستمر مع جيروم "Jérôme"، للمزيد أنظر:

-Verheijen (L), Trannoy (A), « Hydace Chronique, Tom I: Introduction, Texte Critique, traduction, T II, Commentaire et Index.

-Nautin (P), "L'introduction d'Hydace à sa continuation de la chronique d'Eusèbe et Jérôme", in : R. H, n⁰14-15, 1984,1985, p 143-153.

⁴ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 135.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

وتجدر الإشارة إلى أن الوندال اضطروا إلى التصالح مع الإمبراطورية الرومانية في جزئها الغربي نظرا لنقص العتاد والمؤن، فأصبحوا بذلك حلفاء تعاهديين "Foederati" سنة 411م مما مكنهم من حق الإستيطان¹، إلا أن الإمبراطور هونوريوس "Honorius" حرص على عدم التخلي نهائيا عن إسبانيا، حيث كان ينتظر الفرصة المواتية لطرد تلك القبائل والتخلص منها، وقد تمكن من ذلك بعد تحالف الإمبراطورية مع ملك القوط الغربيين واليا "Wallia" سنة 416م² إثر تعرض هذه القبائل لضربات قاسية؛ حيث أبيت قبيلة السيلينج في حين اضطروا أفراد قبيلة الآلان إلى الإندماج مع الوندال الأسدينج بجليقية (Gallaecia)³، ما دفع ملك وندال الأسدينج أن يطلق على نفسه ملك الوندال والآلان معا⁴ أما الوندال فقد تجنبوا الكارثة وذلك بهروبهم نحو جنوب إسبانيا⁵.

وأمام تزايد نفوذ القوط الغربيين بإسبانيا عمدت الإمبراطورية على إبعادهم سنة 418م، حيث منحت لهم إقليم أكويتين للإستقرار به، كما تحالفت مع قبائل السوفي وقدمت لها المساعدة من أجل القضاء على الوندال والآلان بجليقية، وبالفعل فقد إنهزموا سنة 419م وأرغموا على الإنسحاب نحو بايتيكا جنوب إسبانيا⁶.

ويتضح أنه لم يمر وقت طويل حتى إسترجع الوندال قوتهم، فهاجموا قبائل السوفي التي تحالفت مع الرومان⁷ كما تمكنوا من الإستيلاء على قرطاجنة (Carthagène) وإشبيليا (Hipalis) من أيدي الرومان سنة 425م بقيادة جنديريك "Gunderic"⁸، وبهذا وضع الوندال أيديهم على طول السواحل وبسطوا نفوذهم على البحر المتوسط بفضل الأسطول الإسباني وسرعان ما إحتلوا جزر البليار، وبعدها أخذت سفنهم تنهب سواحل موريطانيا الطنجية إبتداء

¹ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 474.

² محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 135.

³ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 18.

⁴ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 136.

⁵ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 18.

⁶ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 136.

⁷ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 475.

⁸ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 322.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

من سنة 425م، وبالتالي من الطبيعي أن تتجه أنظار الوندال نحو بلاد المغرب القديم بحكم سيادتهم على معظم الأراضي الإسبانية، وبوفاة الملك الوندالي جندريك "Gunderic" كان على أخيه جنسريك "Genséric" أن يواصل المشروع الوندالي المتمثل في تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة وندالية¹ وذلك عن طريق السيطرة على الشمال الإفريقي.

ومن الهجرات السكانية الرئيسية التي أثرت على الإمبراطورية الرومانية أيضا خلال النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، كانت من طرف الهون (Huns) الذين جاءوا من جبال الأورال (L'Oural) إلى (Sejthie Pontique) منذ حوالي 360م، وقد اجتازوا نهر الدانوب سنة 376م مما مكنهم من تحقيق إنتصار بأدرنة (Andrinople) سنة 378م².

وبالتالي فقد ساهمت الغزوات والهجرات الجرمانية بشكل فعّال في ضعف الإمبراطورية الرومانية، مما أدى إلى سقوطها على إثر إنقسامها إلى جزئين، الإمبراطورية الرومانية الشرقية والغربية، فعلى الرغم من أن الإمبراطور ثيودسيوس "Théodose" (394-397م) قد نجح في تحقيق سيادة الإمبراطورية الرومانية بفضل حنكته واعتماده على خبرة رجاله المحنكين مثل قائد الحرس البريتوري روفينوس "Rufinus" والجنرال ستيليكون "Stilicon"³، إلا أنه لم يستطع وقف تدهور الإمبراطورية ولا معالجة المشاكل التي كانت تعصف بها كالهجرات الجرمانية وانتشار الفقر، الفساد، الرشوة وهجرة السكان.

كما يعتبر إنقسام الإمبراطورية الرومانية من العوامل التي مهدت الطريق أمام الوندال للتوغل في بلاد المغرب القديم، حيث قام الإمبراطور ثيودسيوس قبل وفاته قام بتقسيم الإمبراطورية الرومانية بين أولاده في عام 395م، حيث جعل هونوريوس "Flavius Honorius" يتولى القسم الغربي وهو في سن الحادي عشرة وكان بجانبه القائد الوندالي ستيليكون، أما القسم الشرقي فقد كان بقيادة أركاديوس "Flavius Arcadius" صاحب سن السابع عشرة سنة

¹ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 19.

² Roques (D), « Synésios de Cyrène et les migrations Berbères vers L'Orient (398-413) », in : C.R.A.I. , 127eme Année, n⁰4, 1983, p 662.

³ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 467.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

وكان بجانبه المستشار روفينوس "Rufinus"¹، مما يدل على أنّ هذان الأميران لم يكونا في مستوى المسؤولية والقدرة في تولي شؤون الحكم، ذلك أنّهما وقعا تحت سيطرة وتأثير وزرائهما الجرمان²، كما أنّ الأحداث التي جرت بين الشرق والغرب كانت تسير في إتجاهين مختلفين ولم يكن بينهما عوامل الود.

إتخذت الإمبراطورية الشرقية من القسطنطينية (Constantinople) * عاصمة لها بزعامة أركاديوس "Arcadius" إلى غاية 408م، ثم تلاه ثيودسيوس الثاني "Théodose II" (408-450م) الذي صمم على توحيد الإمبراطورية الرومانية تحت سلطته، حيث أرسل جيشا بقيادة أركاديوس "Ardaburius" الآلاني وابنه أسبار "Aspar" من أجل طرد الإمبراطور حنا الموثق وتولية فالنتينيان الثالث "Valentinianus III" ابن عمته بلاسيديا "Gale Placidia" ، ونضرا لجهود ثيودسيوس الثاني أن تنازلت الإمبراطورية الغربية على إقليم الليريا الغربي وكذلك بانونيا ونوريكوم للإمبراطورية الشرقية، وبالفعل فقد تمت مراسيم تتويج فالنتينيان الثالث بإيطاليا وهو ما دفع بالإمبراطور ثيودسيوس الثاني بأن لا يرهق نفسه في تحمل أعباء الإمبراطورية الغربية ومشاكلها فضلا عن أخطار البرابرة المحدقة فيما وراء الألب ذلك أنّه إطمأن لفالنتينيان الثالث³، وبالتالي إنصرف إلى حياة العزلة وتحصيل العلم؛ حيث أنشأ جامعة القسطنطينية وصدرت في عهده قوانين عرفت باسمه "قوانين ثيودسيوس" سنة 438م⁴ والتي عالجت شؤون الحكم والحربية والدينية وغيرها.

ويتضح أن الإمبراطور مارقيان "Marcian" (450-457م) الذي وصل إلى السلطة على إثر زواجه من أخت الإمبراطور ثيودسيوس الثاني، ويكون بذلك آخر أباطرة أسرة ثيودسيوس التي إنتهى عمرها في سنة 457م، قد أظهر شجاعة كبيرة إتجاه الهون وقائدهم

¹ Chastagnol (A), Le Bas- Empire, Paris, 1969, p 29.

² سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 468.

*القسطنطينية: أقيمت على أنقاض مستعمرة يونانية قديمة كانت تلقب ببيزنطة، وكان للإمبراطور قسطنطينيوس الفضل في تشييدها خلال فترة حكمه (313-337م). أنظر، سليم دريسي، المرجع السابق، ص 21.

³ عبد الهادي التازي، «شمال إفريقيا والوندال 439-534م»، المجلة التاريخية المصرية، مج11، مصر، 1963، ص101-102.

⁴ محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف الجامعية، القاهرة، 1994، ص 31.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

أتيلا "Attila"، ذلك أنه بادر بإلغاء الإتاوة التي كانت تدفعها بيزنطا لهم، ما دفع أتيلا لمحاربتهم، إلا أنه لقي هزيمة قاسية في سهل مورياك قرب شالون بغالة، فانسحب الهون إلى بانونيا بعد هروبهم نحو إيطاليا¹، ولكن بوفاة أتيلا تفككت دولة الهون تماما وتحترت القبائل الخاضعة لها.

ويبدو أنّ الإمبراطورية البيزنطية صبغت تدريجيا بصبغة شرقية على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، كما أنها نجحت في صد الغزوات الجرمانية وفي فرض سيطرتها ونفوذها على مقاطعاتها وكذلك القضاء على الحركات الانفصالية المحلية التي يثيرها كبار الإقطاعيين والقادة العسكريين الأجانب، ويرجع هذا النجاح إلى كفاءة وتنظيم الحكم الداخلي كما أنّ كبار الوزراء وهيئة الموظفين كانوا من الفئة المتواضعة مرتبطين بالجهاز البيروقراطي الذي أوصلهم للحكم² فلم يكن هدفهم تحقيق مصالحهم الشخصية.

وفي المقابل نجد الإمبراطورية الغربية التي إتخذت روما عاصمة لها قد وقعت بين أيدي الجرمان الذين إعتمدت عليهم للحفاظ على الأمن، ذلك أنّ هذه الجنود المستأجرة سرعان ما إستحوذت على مقاليد الرومان بداية من القرن الخامس الميلادي³، ما أدى إلى تعرضها لضربات قاسية على إثر غزوها ونهبها من طرف أالاريك "Alaric" سنة 410م الذي إختاره القوط الغربيين ملكا عليهم والذي ينتمي إلى بيت بالثي "Belthi" العريق الذي يعني الشجعان⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن ستيليكون "Stilicon" عمل جاهدا على وقف الزحف القوطي، وقد نجح في ذلك ما بين 402م و403م تحت جدران فيرون⁵، إلا أن الإمبراطور هونوريوس "Flavius Honorius" أمر فجأة بقتل ستيليكون سنة 408م مع الكثير من أعدائه، وذلك بتحريض من الوزير أولمبيوس الذي أوشى به على أنه تآمر مع القوط الغربيين، ما

¹ نفسه، ص 32.

² سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 471.

³ محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 116.

Roues (D), op.cit, p 662.

Courcelle (P) ; "Sur quelque textes littéraires relatifs aux grandes invasions ", Revue de philologie et d'histoire, T31, 1953, p 32.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

جعل العديد من أتباع ستيليكون "Stilicon" يلجأون إلى الزعيم القوطي أالريك "Alaric"¹، وهي الفرصة التي إنتهزها أالريك، ذلك أنه طالب الإمبراطور هونوريوس بالإسراع في دفع الأتوات التي كانت تقدر بحوالي أربعة آلاف دينار وأن يكون حاكما على ولاية الأدریاتيك الشمالية، ولكن الإمبراطور رفض طلبه مما دفع أالريك بالزحف نحو روما التي حاصرها حتى المجاعة، ما أدى بسكان المنطقة إلى التفاوض معه من أجل الصلح واشترط بدوره أن يسلموه جميع ثرواتهم.

وبالفعل فقد تم الإتفاق على عقد هدنة مقابل حصول أالريك على خمسة آلاف من الذهب وألف رطل من الفضة وأربعة آلاف ثوب حريري وثلاثة آلاف رطل من التوابل، إلا أن هذه الهدنة لم تدم طويلا على إثر فرار ساروس "Sarus" من أالريك وانضمامه إلى الإمبراطورية الغربية أملا منها أن يقودها إلى جيش أالريك، مما إعتبره هذا الأخير خرقا للمعاهدة ما أدى إلى إقتحامه لمدينة روما سنة 410م².

وعلى الرغم من ممارسة القوط للنهب والتخريب في بيوت نبلاء الرومان، غير أن أالريك منع رجاله من القتل الجماعي وعدم المساس بالكنايس الكاثوليكية رغم أنه كان أريوسيا³، ولكن تم إلقاء القبض على آلاف الأسرى ومنهم الأميرة جالا بلاسيديا "Gale Placidia" شقيقة الإمبراطور، وبعدها غادر روما في اليوم السادس متوجها نحو جزيرة صقيلية لفتحها من أجل العبور نحو بلاد المغرب القديم، لكنّه توفي في مكان يسمى كونزا وقد دفن وسط شعائر دينية تليق بمكانته بين القوطيين⁴.

ويبدو أن إستيلاء أالريك على روما لم يقابله أي رد سياسي أو ديبلوماسي من طرف القسطنطينية، ولكن ما هو مؤكد أن المشرق لا يرحب فقط باللاجئين المعزولين وإنما بمجتمعات بأكملها، ويظهر هذا من خلال رسالة الأسقف ماكسيم "Maxime" التي أرسلها

¹ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 472.

² نفسه.

³ إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 116.

⁴ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 472.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

تحت التأثير الهمجي لزميله ثيوفيل الإسكندري "Théophile D'Alexandrie" من الإسكندرية»...، تحت صدمة العديد من الخاطفين...، الحماية والحفاظ على هذه الكنوز الثمينة، في هذه اللحظة حيث العدو عاجل، لا حاجة للإصرار على الإنقسامات القاسية التي تمزق أقاليمنا¹.

إختار القوطيين أن يكون خليفة الأريك صهره أثولف "Athaulf" الذي رأى في نفسه باعث الإمبراطورية الرومانية، واتخذ من تولوز عاصمة لمملكة القوط الغربيين مما دفع كل من أركاديوس "Flavius, Arcadius" وهونوريوس "Flavius Honorius" إلى كسب ود هذا الزعيم²، وذلك بموافقتهما على زواجه من أختها جالا بلاسيديا التي كانت أسيرة في روما³.

قاد أثولف القوط الغربيين نحو أوكويتانيا (Aquitaine) وإسبانيا، إلا أنه قتل في برشلونة في شهر أغسطس 415م من طرف أحد عبيده، فإعتلى العرش سيجرك "Sigeric" الذي قتل أولاد أثولف "Athaulf" الستة من زوجته الأولى، ولكن قتل سيجرك بدوره⁴ وذلك بعد أسبوع واحد من توليه العرش على يد الزعيم واليا "Wallia"⁵.

ويبدو أنّ واليا عقد عهد جديد مع الرومان، حيث أعاد جالا بلاسيديا إلى شقيقها وأعلن الحرب على الجرمان الذين غزوا إسبانيا وتمكن من هزمهم خلال سلسلة من المعارك، فقد قام بإعادة السيلينغ "Silinges" كما أجبر السويفي والآلان والوندال على الإنسحاب من غاليسيا "Galice"⁶، وبالتالي قاد واليا القوط شمالا وإستقر بهم جنوب بلاد الغال⁷، كما نجح في مطاردة قبائل الوندال التي سيطرت على بعض أجزاء إسبانيا، وهذه النجاحات من واليا أثارت حقد الإمبراطور قسطنطين "Constantinus" زوج بلاسيديا التي أنجبت منه فالنتينان

Courcelle (P), op.cit, p 24.

1

2 إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 117.

Simond de Sismondi (J.C.L),op.cit, p 225.

3

Ibid, p 225-226.

4

5 إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 117.

Simond De Sismondi (J.C.L), op.cit, p 226.

6

7 حسين محمد ربيع، المرجع السابق، ص 33.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الثالث "Valentinianus III"، ذلك أنه تم إستدعاء واليا إلى بلاد الغال ووافق على توطينهم في منطقة أوكويتانيا بجنوب غرب الغال¹.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الزعيم واليا "Wallia" قرر إحتلال بلاد المغرب القديم سنة 415م إنطلاقا من إسبانيا ولكن العواصف حالت دون تحقيق مبتغاه²؛ فعاد ليستقر في سلام بتولوز (Toulouse) وأوكويتانيا أين توفي سنة 418م.

تولى العرش بعد واليا ابن أالريك "Alaric" ثيودريك "Theodoric" (418-451م) الذي إختاره الجنود ليكون الخليفة، وقد هيمن القوط الغربيين خلال فترة حكمه في جنوب بلاد الغال على إسبانيا، إلاّ أنّه قتل في معركة مع الهون سنة 451م في سهول الشمبانيا "Chmpagne" أين هزمه أتتلا "Attila"، وكان خليفته ابنه البكر ثوريزموند "Thorismond" (451-453م)، ولكنه بعد عامين قتل من طرف أخيه ثيودريك الثاني "TheodricII" الذي تولى عرش القوط الغربيين (453-466م)، وبعد 13 عام من حكمه قتل بدوره من طرف أخ آخر يدعى إريك "Euric" (466-484م)³.

والى جانب القوط الغربيين الذين أسقطوا روما سنة 410م نجد أيضا الهون "Huns" بقيادة أتتلا (395-453م) الذين ساهموا في ضعف كيان السلطة الرومانية الغربية، وذلك منذ أن أقاموا على شواطئ البحر الأسود حتى سنة 425م، عندما توجهوا بقيادة أتتلا إلى تراقيا وهددوا عاصمة القسطنطينية، فاضطرت بيزنطا إلى دفع إتاوات مالية كبيرة لصد غاراتهم.

تحولت أنصار الهون سنة 477م إلى الدانوب فعبروا الراين وهاجموا بلاد الغال، ما أدى إلى تحالف القوط الغربيين مع الجيوش الرومانية ضد الهون، وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة غرب شالون سنة 451م⁴، وبهذا إنطلقت موجة الهون بقيادة أتتلا سنة 452م من سهول

¹ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 473.

² Jordan, Histoire des Goths, 33,173, Trd, Devillies, Paris, 1995, I.

³ Simond de Sismondi (J.C.L), op.cit, p 226.

⁴ حسين محمد ربيع، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

بانونيا إلى غاليا وسهل البو بإيطاليا الشمالية وهدد أتيليا روما، ما دفع بالإمبراطور ليون الأول "Léon I" (440-461م) إلى مفاوضة أتيليا من أجل منعه من دخول روما، إلا أن وفاة أتيليا "Attila" المفاجئ سنة 453م أدى إلى إنهيار خطر الهون بعد أن تمزقت مملكتهم، وتجدر الإشارة إلى أن ظلوا تحت سيطرة الهون لمدة 77 سنة (376-453م)، وبعدها إستقروا في شمال بانونيا على الحدود الإيطالية كعاهدين "Foederati" للإمبراطورية البيزنطية¹.

ولكن السقوط النهائي للإمبراطورية الغربية يكون بعد مواجهة أودواكر "Odoacre" (433-493م) ملك الشعب الجرمانى "Hérules"، وذلك بعد أن أطاح بالإمبراطور رومليوس أوغستيل "Augustus Romulus" سنة 476م وجلس في مكانه على العرش، كما دخل مدينة رافينا "Ravenne" وأغرى الإمبراطور البيزنطى زينون "Zeno" الذي إستعاد في ذلك الوقت لعرشه الذي أعتصب منه، وبعث إليه أودواكر سفارة يطلب من منحه لقب شريف وينوب عن الإمبراطور في حكمه للغرب، وفي نفس الوقت وصلت سفارة من تيتيوس يطلب مساعدته ضد أودواكر وإمداده بالمال².

وبالفعل، فقد منح أودواكر لقب قائد الجند "Magister Militum" في حين رفض إمداد تيتيوس، وقد إستمر أودواكر في حكم إيطاليا كنائب عن الإمبراطور سنة 476م، وهي السنة التي إتخذت كعام يؤرخ به لسقوط الإمبراطورية الغربية، إلا مملكة القوط الشرقيون بقيادة ثيودريك "Theodric" سوف يتوغلون في إيطاليا سنة 488م، مما يسمح لهم بدخول رافينا "Ravenne" وقتل أودواكر سنة 493م³، ويلاحظ أن ثيودريك لم يعتبر نفسه ممثلاً للإمبراطور الرومانى المقيم في القسطنطينية.

ويتضح أنه مع سقوط الإمبراطورية الغربية تألقت الإمبراطورية الشرقية البيزنطية كقوة سياسية قائمة بذاتها لها أباطرتها المستقلين وسياستها المستقلة التي كانت تتأثر بالأقاليم

¹ حسين محمد ربيع، المرجع السابق، ص 44.

² زبيدة محمد عطا، الدولة البيزنطية، من قسطنطين إلى أنستاسيوس، جامعة حلوان، مطبعة أم القرى، ص 213.

³ حسين محمد ربيع، المرجع السابق، ص 44-45.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الشرقية وكان ذلك واضحا في الجانب الديني، وأصبح الإمبراطور البيزنطي كمثل للحضارة الرومانية والمجد الروماني¹، وهذا ما شجع الوندال إلى المضي قدما لتحقيق رغباتهم، فقد إستغلوا الفرص المواتية لهم للوصول إلى بلاد المغرب القديم، فبعد أن أصبحت إسبانيا غير مواتية للإستقرار الوندالي وأن بقائهم هناك أصبح غير مرغوب فيه بعدما قتل عدد كبير منهم، وبالتالي واصلوا تحركاتهم نحو الجنوب بهدف العبور إلى الضفة الجنوبية من البحر المتوسط.

كما أدرك الوندال أن بقائهم في إسبانيا سوف يجعلهم في عزلة عن العالم القديم وقد يتمكن أعدائهم القوط أحلاف الرومان من محاصرتهم والقضاء عليهم نهائيا²، فقد كانت إسبانيا بالنسبة للوندال سجنا يهددهم بالفناء إن إستقروا فيه³، خاصة وأنهم عرفوا منذ نهاية النصف الأول من القرن الخامس الميلادي غزوات بربرية في شبه الجزيرة الإيبيرية حسب ما أخبرنا به هيداس "Hydace"⁴، وفي المقابل كانت بلاد المغرب القديم الممتدة بمحاذاة البحر الداخلي (Mar Interne) الزاخرة بالملاحة التجارية والمتفتح على الشرق والغرب في نظر الوندال عالما فسيحا يلائم تطلعاتهم التواقية إلى الغزو⁵، كما أنّ السيطرة على هذه المنطقة يعني حرمان روما من أفضل جزء من إمبراطوريتها.

ب- على المستوى الداخلي:

هناك عدة عوامل وظروف شكلت الأرضية المناسبة للزحف الوندالي نحو بلاد المغرب القديم، سواء ما تعلق بالجانب الإقتصادي أو السياسي خاصة.

¹ عفاف سيد صبرة، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شرلمان، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، 1982، ص 25.

² محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 112.

³ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 376.

⁴ Verheijen (L), Trannoy (A), "Hydace, Chronique", T1, Introduction texte critique, Traduction commentaire et index, p 712-713.

⁵ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 376.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

يتفق معظم المؤرخين على نعت المقاطعة الإفريقية عشية الإحتلال الوندالي بالرفاهية والإستقرار؛ حيث نجد القس كونداليفيتوديس "Quadvuntadeus"¹ وكذلك القس سالفيان (قس مدينة مارسيليا) الذي وصف قرطاجة عشية الزحف الوندالي بالجنة فوق الأرض، وهذا ما أكّده بعض الدراسات الأثرية مثل أعمال ديفال "Duval(N)"² بسببلة أو الدراسة الإحصائية التي قام بها كلود لوبلي "Claude Lepelley"³ حول المدن الإفريقية، فقد كانت تمثل هذه المقاطعة قلعة حصينة يحدها البحر المتوسط شمالا والصحراء جنوبا، كما أنها ملجأ للطبقات الأرستقراطية النازحة من روما والمناطق الإيطالية.

ولكن إذا كانت بلاد المغرب القديم على هذه الصورة التي تغنى بها معظم المؤرخين اللاتين في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية وبصفة عامة على الجهة الشرقية من بلاد المغرب القديم، فالوضع كان مختلفا عن باقي جهاته، فقد كانت هناك فوضى سياسية واجتماعية وصراعات دينية بزعامة الحركة الدوناتية، وكانت لهذه الأزمة الداخلية في المنطقة جوهرها إقتصادي، وعلاوة على ذلك فإن التركيز على "السلام الوندالي" زاد من حدة الأزمة⁴، مما أدى إلى التفكير بانفصال السكان الأصليين عن الإمبراطورية الرومانية، وهذا الوضع خدم كثيرا الطرف الوندالي.

أما من الجانب السياسي، فقد كانت الإضطرابات التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية بداية بالفوضى العسكرية وتحول الإصلاحات الإدارية القائمة على اللامركزية إلى الإنقسام، حيث أصبح الشرق الإفريقي يمثل ثقل الإمبراطورية أن أدى بالحكام الغرب اللاتين بشعورهم بالتبعية للشرق الإغريقي، وبالتالي تدهور الأوضاع في روما مع ضعف الحكم المركزي

¹ Qudvultdeur, Sermo II, De Tempore Barbarico Latina(S), T60, pp 476,477, d'Après : يوسف عيش، المرجع السابق، ص 25.

² Duval (N), Observation sur L'urbanisme Tardif de Sabeutula , Chah, Tu, 12,1964, p 87-105, d'Après : يوسف عيش، المرجع السابق، ص 25.

³ Lepelley (C), Les Cites de l'Afrique romaine au bas- Empire, Paris, 1979.

⁴ Gagé (J), " Christian Courtois, Les Vandale en Afrique ", in :Annales Economies, Sociétés, Civilisations, 13^{eme} Année, n^o 2, 1958, P384.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

وانتقال النفوذ إلى قادة الجيش وحكام المقاطعات المتنافسين على القيادة¹، كان لها الأثر على المقاطعة الإفريقية التي مهّدت للتدخل الوندالي.

ويبدو أن الوندال كانوا على دراية بالفوضى السائدة في الأقاليم الإفريقية للإمبراطورية منها الإنشقاق الوندالي الذي قسّم البلاد بشدة، وكذلك الطموحات الشخصية لقائد الجيوش بإفريقيا الكونت بونيفاص "Boniface" الذي عيّن حاكم على إفريقيا من طرف بلاسيديا "Gale Placidia" التي ساعدها بكل قوة بإرساله لها مساعدات من أجل أن تنتصر على الغاصب يوحنا "Jean"²، فقد كان الكونت بونيفاص على إخلاص إتجاه العائلة الإمبراطورية رغم وفاة الإمبراطور هونوريوس "Flavius Honorius" في 15 أوت 425م، ويظهر هذا في عدم إقراره بيوحنا الذي أعلن نفسه إمبراطورا بإيطاليا، كما أنّ هزم القوات التي أرسلها إلى إفريقيا من أجل الإستيلاء عليها وإضعافها عن طريق الإحتفاظ بالقمح الذي يغذي روما، مما أكسبه مكانة في الإمبراطورية.

ولكن هذه المكانة التي أكسبها بونيفاص كانت محل غيرة من طرف الجنرال أيتوس "Aetius"^{**}، فقد كانت الأرضية مهياً لمؤامراته، ذلك أنّ محكمة

¹ محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 293.

* يعتبر إستيلاء يوحنا "Jean" على إمبراطورية الغرب إجحافا في حق جالا بلاسيديا شقيقة الإمبراطور وابنها فالنتيان الثالث ابن قسطنطينيوس، مما أدى إلى قطع الصلة بين الطرفين، ولما وصل مندوبو يوحنا إلى القسطنطينية للحصول على إقرار الإمبراطور ثيودسيوس، رفض هذا الأخير وأودع المندوبين السجن، فصلت بلاسيديا على لقب أوغسطا أعلن أن يكون ابنها فالنتيان الثالث قيصر في سالونيك، وبالتالي أرسلت الأم والإبن إلى إيطاليا مع جيش بقيادة أربيوس "Ardaburius" ضابط من اللاتين وإبنة أسبار "Aspar" الذي إستطاع بمهارته الحربية إحراز النصر وعزل يوحنا وأمرت بلاسيديا بقتله، وبالتالي تم إعلان فالنتيان الثالث إمبراطورا في أكتوبر 425م، وتأكيدا على الإرتباط بين الشطرين للإمبراطورية الرومانية الغربي والشرقي تزوج فالنتيان من ابنة الإمبراطور ثيودسيوس أوكسيا، وقد ذكر هذا على البوابة التي بناها كيرس، أنظر، زبيدة محمد عطا، المرجع السابق، ص 189.

Bièchy (A), op.cit, pp 25,253.

2

** أيتوس "Aetius": هو ابن غرادانس "Gardence" قائد فرسان الرومان وكونت إفريقيا، نشأ في حراسة الإمبراطور، وقد أعطي كرهينة لألاريك سنة 403م ثم إلى الهون مما سمح له بكسب صداقتهم، ومن مميزاتة أنّه كان يفتقد إلى الطموح، وهذا الضعف جعلت غيرته على بونيفاص، أنظر،

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

فالنتينيان "Valentinien" كانت تسيورها إمراة قسمت وقتها بين الحروب والدين، مما جعل أيتوس يتهم بونفاص بأنه يرغب في الإستقلال عن الإمبراطورية إلا أن بلاسيديا لم تصدق هذه التهمة، ما إضطر بأيتوس أن يلجأ إلى حيلة يثب ذلك، حيث تأمر مع بلاسيديا في عدم مجيء بونيفااص "Boniface" على الفور لما تستدعيه وتبرير نفسه كشخص¹، وفي نفس الوقت أخبر بونيفااص بشكل غير مباشر أنه عليه أن يكون مسلحا من أجل الدفاع عن حياته²، وبالتالي يمثل أيتوس أنّ هذا التسلح هو تمرد خطط له.

وبالفعل، فقد إتبعت بلاسيديا المشورة، وتبين أنّ بونيفااص رفض الدعوة للحضور إلى رافن سنة 427 م³ من أجل تبرير نفسه بالإستقلال بمقاطعة إفريقيا، مما يؤدي إلى نجاح مؤامرة أيتوس، وما زاد من شك بلاسيديا بخيانة بونيفااص هو تزوج هذا الأخير من أميرة أريوسية من عائلة ملك الوندال بإسبانيا⁴، وهذا ما لم يساعده على تقديم الضمانات اللازمة⁵.

وبالتالي أعلن عن بونيفااص أنه عدوا عاما، وبذلك تم إرسال جيش ضده سنة 427م يقوده ثلاث جنيرالات، "Galbio" و "Sinese" و "Mavortius" الذين كانوا بدورهم بقيادة الكونت الجديد سجيسفولت "Sigisuvulde" بمرافقة الأسقف أريان مكسيمان "Arien Maximin"، إلا أننا لانعرف مواقع الأماكن لهذ الحملة⁶ التي تمكن فيها بونيفااص من صدهم بدون عرقلة بعد إستدعائه لجميع الحاميات الداخلية وكذلك المور، كما ساعده أيضا على تحقيقه لهذا الإنتصار خيانة الجنرال سينييسيوس "Sinese" زملائه الإثنين وقتلهم، ولكنه وقع فيما بعد بين أيدي بونيفااص وتم قتله⁷،

Bièchy (A), op.cit, p 254؛ Mercier (E), op.cit, p 142.

Loc.cit.

Bièchy (A), op.cit, p 254.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 236.

Mercier (E), op.cit, p 142.

Leclercq (H), op.cit, p 143.

Chalon (M) ; Georges (D) ; Force (P) ; Griffé (M) ; Lassère (J.M), Michaud (J.N),

« Mémorable factum. Une célébration de l'évergétisme des rois vandales dans l'anthologie latine », in : Ant. Afr, n^o21,1985, p 209.

Bièchy (A), op.cit, p 254.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

وهذا ما دفع بلاسيديا "Gale Placidia" سنة 428م إلى إرسال جيش جديد والذي سرعان ما إستولى على قرطاج، مما جعل الوضع حرجا بالنسبة لبونيفااص "Boniface"¹، ونظرا لعدم قدرته على مواجهة القوات الرومانية لجأ إلى عائلة زوجته الثانية، ابنة أخ جنسريك "Genséric" من أجل إمداده بمساعدين لثورته²، وكان ذلك بموجب المعاهدة التي أبرمها مع الوندال سنة 428م التي تقضي بالتنازل عن الموريطانيات الثلاث حتى الواد الكبير (Ampsage)³، وأن يتولى الملك الوندالي على ثلث الأراضي له وتلت آخر لجنديريك "Gunderic" وتلت لبونيفااص، وإذا هوجم أحدهم من أي عدو فعلى الأطراف الثلاث أن يتحدوا معا ضد العدو المشترك⁴، وتجدر الإشارة إلى أنه لا تزال بعض الشكوك قائمة حول حقيقة هذا الإتفاق وشروطه⁵، إلا أن بروسبير "Prosper" المعاصر للأحداث أكد لنا إستيجاد الطرفين لبونيفااص وسجسفولت "Sigisuvulde" بالوندال⁶.

وفي الوقت الذي كان فيه الوندال يستعدون للتوجه نحو إفريقيا توفي جنديريك "Gunderic" سنة 428م، وأصبح أخيه جنسريك الزعيم الوحيد على الوندال وذلك في ربيع 429م⁷، ولما هزم لبونيفااص توجه إلى إيطاليا وترك المقاطعة بين أيدي المنتصرين الوندال⁸، ما أدى لنهاية السيطرة الرومانية ببلاد المغرب القديم الذي صاحبها فقدان الحضارة الرومانية في المنطقة.

وعلى العموم، فهذا يفسر سوء القيادة العليا وعجزها من طرف بلاسيديا، حيث كانت القوة الحربية الرومانية في الغرب متدهورة وأصبحت تعتمد بصفة أساسية على المرتزقة من البرابرة خاصة أيتوس وبونفااص⁹، وكان لتنافسهما السبب المباشر في فقدان المقاطعة

Mercier (E), op.cit, p 143.

Bièchy (A), op.cit, p 259.

Mercier (E), Loc.cit.

⁴ يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 55.

Leclercq (H), op.cit, pp 143-144.

⁶ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 237-238.

Leclercq (H), op.cit, p 144 .

Cagnat (R), op.cit, p 98.

⁹ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 102-104.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الإفريقية التي أهمل شؤونها بونفاص "Boniface" المتفرغ للعبادة، رغم نصائح صديقه القديس أوغسطين "Saint Augustin" له بالبقاء في خدمة المقاطعة.

ثانيا-التنظيم العسكري للوندال ودخول جنسريك المنطقة:

إستحسن الملك الوندالي جنسريك "Genséric" هذه الظروف السائدة سواء المتعلقة منها في روما أو ببلاد المغرب القديم التي قاد إليها شعبه، فقد أراد أن تكون حملة ناجحة حتى ينسي قومه أنه الإبن الغير شرعي والذي قتل شقيقه جنديريك "Gunderic" من أجل الوصول إلى الحكم¹، وقد سهل له الكونت بونيفااص مهمته للإنتقام من الإمبراطورية²، كما أن الأهالي بدورهم كانوا ينتظرون ذلك ليخلصهم من الإستغلال الروماني³ الذي جعل بلادهم مخزنا ومما تفرضه من ضرائب فادحة أتقلت كاهلهم.

وهذا ما دفعنا للتساؤل عن هذه الحملة التي قادها جنسريك من إسبانيا لأراضي بلاد المغرب القديم خاصة ما تعلق بالتنظيم العسكري الوندالي من حيث تعداده للجيش وقواته البرية والبحرية.

1-تعداد الجيش:

يبدو أنه من الصعوبة تحديد عدد الجنود الذين رافقوا الملك الوندالي جنسريك في حملته على بلاد المغرب القديم، ذلك أنه إنتقل بكامل شعبه من الوندال والآلان وحتى بعض القوط الموجودين بإسبانيا⁴، وكذلك السكان الأصليين لمنطقة غاليسيا والبلطيق ومن المنشقين السوفيف⁵، مما يدل على حدوث هجرة جماعية قصد من ورائها الإستقرار النهائي في المنطقة.

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 238.

² روبيه دانييل، المرجع السابق، ص 357.

³ إبراهيم حركات المرجع السابق، ص 63-64.

⁴ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 21.

⁵ Gourdin (H), Genséric, Soleil Barbare, éd, Paris-Méditerranée, 1999, p 119-121.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

أشارت بعض المصادر¹ وحتى الدراسات الحديثة² إلى ثمانون ألف (80000) منهم الأطفال، النساء، الشيوخ والرجال وكذلك العبيد الذين يشكلون أمة القوط الغربيين الذين نقلوا إلى الضفة اليمنى من نهر الدانوب³، وتجدر الإشارة إلى أنّ السويف، الآلان والوندال المارين ببلاد الغال سنة 406 و407م قد قتل منهم حوالي عشرين ألف (20000) جندي وندالي من طرف الفرنك "Frank" الموالين لروما.

تضاعفت أعداد الوندال بعد إنضمام المور إليهم خاصة منهم الدوناتيون الذين رحبوا بهم وسهلوا من عملهم، رغبة في الإنتقام من الكاثوليك الذين جردوهم من ممتلكاتهم واضطهدوهم، وعملوا أيضا حتى على إستمالة القوط الذين أرسلهم الإمبراطور لمحاربة الوندال⁴، وتقدر أعدادهم بحوالي عشرون ألف (20000) من المرتزقة⁵، ومن المحتمل جدا أن المور حتى ولو إفترضنا عدم تحالفهم معهم فقد كانوا متقدمين إلى جانبهم للإستمتاع بفتوحاتهم، كما إنضم إلى الجيش الوندالي حتى الرومان الذين فضلوا فوضى الوندال على قساوة الإدارة الرومانية⁶.

وبهذا من غير الممكن معرفة العدد الذي تكون منه الجيش الوندالي بالضبط، ويمكن أن يعود هذا إلى أنّ المصادر والمراجع لم تمدنا بالعدد المضبوط لهذا الجيش، كما يمكن أن يكون هذا التستر يدخل ضمن التكتيك الحربي الخاص بجنسريك، وهذا من خلال ما أشار إليه بركوب "Procopé"⁷ على أن الملك جنسريك قام بتقسيم الوندال والآلان إلى ثمانون (80) مجموعة ، ولم يكن على رأسهم ثمانون (80) قائدا أو ما يسمى بشيليارك "Chiliarques"،

1 Procope, I, V, 3.

2 Gourdin (H), op.cit, p 123; Courtois (Ch), op.cit, p162 Lancel (S), " Victor de Vita, témoin et chroniqueur des années noires de l'Afrique romaine au V^e siècle ",in :C.R.A.I, 144^e année, n^o4, 2000, p 120; Bièchy (A), op.cit, p 262 ; Schmidt(L), Histoire des Vandals, trd, Del Medico (H.E), éd, Payot, Paris, 1953, p 42; Yanoski (J.), op.cit, p 11 .

3 Latouche (R), " Aspect démographique de la Crise des Grandes Invasions ", in : population, 2^{eme} Année, n^o4, 1947, p 666-668.

4 Saint Augustin, EP, 185, ad Boniface.

5 Morazzani (A) , " Essai sur la puissance maritime des Vandales ",in: Bulletin de Guillaume Budé : Lettres d'humanité, n^o25, décembre 1966, p 543.

6 Mercier (E) , op.cit, p 144.

7 Procope, I, V, 3. ; Scmidt (L), op.cit, p 42.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

وقد تعمّد ذلك ليوهم أعدائه بأن عدد جيشه وصل إلى ثمانون ألف (80000) رجل، في حين لم يكن عدد الوندال والآلان في الحقيقة يتعدى خمسون ألف (50000) رجل.

ويبدو أنه لم يفهم جيدا ما يقصده بروكوب من الشليارك "Chiliarques" أو الملناريوس "Mellenarii" حسب ما أشار إليها كريستيان كورتوا "Christian Courtois"¹ الذي قدم لها تعريف أقرب للصواب، على إعتباره أنّ قائد الألف لم يكن يرأس ألف جندي، وإنما مجموعة من الوندال عددها ألف نسمة، و من بين كل ألف نسمة من الوندال نجد حوالي 200 إلى 250 مقاتل قادر على حمل السلاح، وبالتالي فهي لا تعني فرقة عسكرية مكونة من ألف رجل، وبالتالي فإن تعداد الجيش إستقر بين خمسة عشرة ألف (15000) وعشرون (20000) ألف جندي²، وإذا تتبعنا تحليل كريستيان كورتوا³ فإنه إذا كان كل ألف (1000) نسمة تضم ما بين 200 إلى 250 مقاتل فإن ثمانون (80000) نسمة ستضم ما بين 16000 ألف 20000 ألف جندي، وهو العدد الذي ذكره كل من شميدت "Schmidt"، صطين "Stein" ورووك "Roques"، وكذلك كريستيان كورتوا الذي إقترح تقريبا نفس العدد⁴، وقد تشكل التنظيم العسكري الوندالي من القوات البرية والبحرية.

2- القوات البرية:

يعتبر الوندال في الأصل من الشعوب المحاربة، وقد شكلت القوات البرية التي يستقر تعدادها بين خمسة عشرة ألف (15000) مقاتل إلى عشرون ألف (20000) مقاتل مصدر قوة الجيش الوندالي الذي إعتد على خلية الألف "Mille" في تشكيل وحدته⁵، وكانت ميزة هذه القوات البرية على أنها تتضمن الفرسان المجهزة بكثافة⁶ لدرجة أن جعلت بركوب "Procope"⁷ يقر بأن فرسان الجيش الوندالي أصبحوا عاجزين عن محاربة أعدائهم على

Courtois (Ch) , op.cit, n^o2, p 232.

Latouche (R), op.cit, p 668 .

Courtois (Ch) , op.cit, n^o2, P232

⁴ فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 20.

⁵ Hadi (S), Mahjoui (A), Belkhoudja (Kh), Histoire Générale de la Tunisie, T1, l'Antiquité, éd, Sud éditions- Tunis, 2010, p 364 ; Courtois (Ch), op.cit, p 230.

⁶ Schmidt, op.cit, p 203 ; Gautier, op. cit, p 217.

⁷ Procope, I, VIII, 3.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الأقدام، كما أكد كريستيان كورتوا "Christian Courtois"¹ أن الجيش الوندالي كان كله مكونا من الفرسان.

إعتبر سدوين أبولينير "Sidoine Apollinaire"² أن الجيوش الوندالية من أكبر الجيوش المجهزة خلال تلك الفترة، فقد كانوا يعتمدون على الرمح والسيف والقوس التي كانت ضمن الأسلحة الأساسية في³، وكان الجنود الذين يحملون الرايات المزينة بصور الحيوانات يتقدمونهم أثناء المعارك، وحينما يعودون لمناطقهم يستقبلون من طرف النساء والأطفال بالهتافات⁴.

كانت للقيادة الموحدة التي تتمتع بها الجيش الوندالي بقيادة الملك جنسريك السبب الأساسي لنجاح حملته على بلاد المغرب القديم وبذلك تحقيق مشروعه، على عكس القيادة الجماعية التي تؤدي في معظم الأحيان إلى الهزيمة⁵، إلا أن هذا الجيش سوف ينحني للنكسات الأولى للإحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم⁶، وذلك نتيجة لغياب التماسك الذي يعتبر من أسباب الإنهيار المفاجئ للوندال في المنطقة خلال عهد خلفاء الملك جنسريك.

3- القوات البحرية:

تحمل السفن الوندالية إسم "Dromones" التي هي إشتقاق "Navires de Course" أو ربما بسبب قرابتها مع (Dromons byzantins)، فنظرا لخفة هذه السفن لا شيء يمنع من أن تكون مستمدة من السفن البيزنطية والرومانية⁷، حيث كان العمود الفقري لأسطول الوندال يتمثل في البعثات الصغيرة التي كانت تفضل إستخدام الوسائل الخفيفة، ولكن العديد من الكتاب⁸ يعتقدون أن الوندال لا يملكون الأسطول البحري بإمكانه نقل الجيش والشعب الوندالي نحو الضفة الجنوبية للبحر المتوسط.

Courtois(Ch), op.cit, p 232 .

Sidoine (A), Carmen, V, 400, dans M.G.H.a.a, VIII, d'Après : Courtois(Ch), op.cit, p 232 .

Hadi(S), et d'autres, op. cit, p 203.

Procop, II, III,4.

Diehl (Ch), op.cit, p 45.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 364.

Courtois(Ch), op.cit,p 551.

Ibid, p 207.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

ويمكن إفتراض أنه من بين السفن التي تحصل عليها جنسريك كانت من خلال سيطرتهم على الجزر المتاحة للسواحل الإسبانية التي كانت تملك بعض القطع البحرية¹، وقد إستغلوا السفن التي وجدت بقرطاجنة "Carthagène" في نقل المحاربين نحو الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، كما أن الكونت بونيفاص "Boniface" مهّد لهم الطريق من أجل إجتيازهم مضيق جبل طارق².

أبحر الوندال عبر مضيق جبل طارق نحو بلاد المغرب القديم على أسطول يتكون من القوارب التي صنعها عدة مرات أثناء العبور، وبعد إستيلائهم على قرطاج إستولوا على الأسطول "Erumentaire" الإفريقي الذي إستعملوه للتجارة ونقل القوات وكذلك لعمليات القرصنة، إلاّ أنّ أسطولهم لم يكن مماثل لأسطول الفينقيين³.

وتجدر الإشارة إلى أن الوندال إستغلوا غابات نوميديا الغنية بالثروة الغابية من أجل الحفاظ على إستمرارية بقاء السفن الوندالية، فلم تكن هناك الحاجة إليهم لاستغلال خشب الصنوبر في كورسيكا بعد السيطرة عليها⁴، إلاّ أن قوة الأسطول الوندالي سوف يمر بانحدار سريع في ظل خلفاء جنسريك بالرغم من أنهم حافظوا على سمعته حتى النهاية⁵.

وبالتالي فقد كان الجيش الوندالي يتمتع بالقوة والتنظيم المحكم، وأسطول أقوى جعل من وسط وغربي المتوسط بحيرة وندالية⁶ على إثر نجاح الملك جنسريك في ضم جزيرة سردينيا، كورسيكا والبليار إلى أملاكه وبالتالي شروعه في ضم إيطاليا وصقلية وجانب من أراضي البلوبونيز وبعض الجزر القريبة منه.

Courtois (Ch), op.cit, p 551.

Mercier (E), op.cit, p 143.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 263-364.

Morazzani (A), op.cit, p 550.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 365.

1

2

3

4

5

⁶ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 11.

ثالثا-مراحل الإحتلال الوندالي:

إختلفت المصادر حول تحديد تاريخ وصول الوندال لبلاد المغرب القديم، حيث ذكر فايز نجيب¹ أنها أدرجت تارة تحت أحداث 427م عند كل من:

Prosper, chron, 1295, dans M.H.a.a, T.IX, 472.

Cassiodore, chron, 1215, id, T.XI, P156.

وتارة ثانية تحت أحداث 428م: Chronicom Paschale, dans C.S.H.B, T.I, : : P581.

وتارة ثالثة تحت أحداث 429م: Hydasce, chron, 90, dans M.G.A.a.a, T.XI, P21.

إلا أن المؤرخ شميدت² "Ludwig Schmidt" إنطلاقا من نتائج نصوص هيداس "Hydace" وكذلك نقيشة ألتافا بموريطانيا أكد أن تاريخ 429م يمثل تاريخ الدخول الوندالي لبلاد المغرب القديم.

ويتضح أن الإحتلال الوندالي لبعض أجزاء بلاد المغرب القديم قد إستغرق فترة زمنية، ذلك أن قرطاجنة لم تسقط في يد الوندال إلا بعد عشرة سنوات من نزوحهم على ساحل موريطانيا الطنجية "Tingitane"، ما يدل على أن إحتلالهم للمنطقة قد إتسم بالبطء على إثر إبرام العديد من المعاهدات الدبلوماسية³ والتي من خلالها يمكن أن نميز مرحلتين أساسيتين لهذا الإحتلال الوندالي:

1-مرحلة الزحف حتى سنة 430م:

يعود نجاح عملية إنتقال الملك جنسريك وشعبه للضفة الجنوبية للبحر المتوسط إلى تصرفه كقائد للجيش ليس كرئيس لشعبه وكذلك إعتماده على قواته الإستطلاعية التي إفترضت مسار الحملة مباشرة من قرطاجنة نحو موريطانيا الطنجية التي لم يتم الدفاع

¹ فايز نجيب، المرجع السابق، رقم 34، ص21.

Schmidt (L), op.cit, p 41.

Hadi (S),et d'autres, op.cit, p 351-352.

²

³

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

عنها¹، خاصة وأنّ الوندال دعمهم الأهالي وشجّعوهم في ذلك²، حيث كانوا مرشدين لهم للوصول إلى قرطاجة التي كانت مبتغاهم، وقد تم ذلك عبر محطات متتالية من الغرب إلى شرق بلاد المغرب القديم، مما جعلنا نتساءل عن كيفية إنتقال الوندال من إسبانيا إلى موريطانيا الطنجية، وعن المسالك المتبعة للوصول إلى قرطاجة أو على الأقل إلى عنابة "Hippo Rigijs" خلال هذه المرحلة، وهي المسالك التي عرفت تضاربت الآراء بين المؤرخين حولها، سواء ما يتعلق بالمسالك من إسبانيا نحو المنطقة أو مسالك تقدمهم داخل المنطقة نحو الجهة الشرقية منها.

تمت عملية عبور الوندال من إسبانيا للضفة الجنوبية للبحر المتوسط حسب ما ذكره فكتور دي فيتا "Victor de Vita"³ من طريفة (Iulia Traducta)⁴ ونزلوا بموريطانيا الطنجية بموقع القصر الصغير وسبته (Septim)، وقد قدرت المسافة التي تفصل بين الموقعين ب 12 ميلا أي ما يعادل 18 كلم والتي تفصله حقا بين الموقعين، وهو ما أقره جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"⁵ الذي إعتبر معبر طريفة أقرب لجنسريك من أجل الوصل للمنطقة كما أنّه المعبر الذي إتخذه طارق بن زياد بعد مرور 300 سنة .

في حين إقترح بعض الباحثين أمثال المؤرخ شميدت "Ludwig Schmidt"⁶ أنّ عملية العبور كانت من خلال مضيق جبل طارق إلى الموانئ الوهرانية "Oranie"، في حين أكد فليكس غوتيه "Emile Félix Gautier"⁷ أنّه لا يوجد شيء يمنع من التفكير بجعل عبورهم مباشرة لمرافق بيتيكا (Bétique) وقرطاجنة إلى موريطانيا القيصرية حيث رسي الوندال سفنه في (Poils Riffains) لمتابعة الساحل إلى مدينة الغزوات (Ad Fratres)، وقد وافقه الرأي هنري

Morazzani (A), op.cit, p 544.

Mercier (E), op.cit, p 144.

Victor de Vita, Histoire de la persécution vandale en Afrique, trd, Lancel (S), éd, les Belles Lettres, Paris, 2002, I,1 .

Gourdin (H), op.cit, p 123.

Carcopino (J), Profils de Conquistants Flammarion, 1961, d'Après : Morazzani (A), op.cit, p 545.

Schmidt (L), op.cit, p 40.

Gautier (E. F) , op.cit, P 171-172.

1

2

3

4

5

6

7

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

جوردان "Henri Gourdin"¹ الذي أضاف أن عملية الإنتقال هذه تتطلب عتادا كبيرا ما جعل يفترض أن جنسريك إستعان بحوالي 3000 زورق.

ومن خلال ما أشار إليه أندريه مورزاني "André Morazzani"² يتضح أنه لم يكن مستحيلا على جنسريك إستيلائه عند العبور من الموائ الإسبانية على حوالي 200 سفينة كانت كافية لهذه لعملية عبوره لبلاد المغرب القديم، منها سفن الشحن والصيد من مختلف الأحجام دون حساب وحشد القوارب المختلفة، وكان يستلزم عليهم بناء أطواق لصعود العربات والخيول، ولاشك في أنّ طاقم السفن الأساسي يتضمن البحارة الإسبان أصحاب الخبرة الذين كانوا على طاعة الوندال.

ومن الواضح أن جنسريك الذي يمتنع بالجرأة المعتدلة والحكمة والحس السليم قد خاطر بمستقبل شعبه في البحر، ويعتقد أنه إختار أقصر الطرق البحرية وأكثرها وضوحا لتمرير شعبه عبر المضيق.

أما عن تنقل الوندال داخل منطقة بلاد المغرب القديم من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية، فقد أشار شميدت "Ludwig Schmidt"³ أنهم إتخذوا في تقدمهم الطرق البرية، وكان غوتيه "Emile Félix Gautier"⁴ أيضا ليس ببعيد عن هذه الأطروحة، ذلك أنه أقر على إستخدام الوندال للمنافذ البحرية للوصول إلى الوهرانية إلى جانب الطرق البرية، ذلك أنّ لم يبق الرومان ببناء الطرق من خلال الفجوة من تازة (Taza)، فقد كانت إتصالاتهم بين موريطانيا القيصرية والطنجية تتم عن طريق إستخدام الممر البحري نظرا لعدم توفر المنطقة على طرق مبلطة تضمن الإتصال المباشر بين الموريطانيّين، وأضاف أن الوندال كانوا يفضلون إستخدام الطرق الرومانية الجميلة ولا يخاطر في المنطقة الجبلية.

Gourdin (H), op.cit, p 123.

Morazzani (A), op.cit, p 546.

Schmidt (L), op.cit, p 40 .

Gautier (E. F), op.cit, p 171.

1

2

3

4

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

ولكن نجد رأي مخالف لدى كل من هنري لوكير "Henri Leclercq"¹ وشميدت "Ludwig Schmidt"² وكذلك كريستيان كورتوا "Christian Courtois (Ch)"³، ذلك لأنهم إعتقدوا أن الوندال إتخذوا المسلك البري عبر تازة، كما أنّ أندريه موريزاني "André Morazzani"⁴ لم يعترف بنظريات فليكس غوتيه "Emile Félix Gautier" خاصة ما يتعلق بتفضيل الوندال إستخدام الطرق السهلة للتنقل بعرباتهم، حيث نفي ذلك كون أن الوندال خلال هجوماتهم في أوروبا لم يجدوا دائما الطرق الرومانية بشكل مريح للتنقل بعرباتهم.

وبإتباع جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"⁵، فقد نزل الوندال إلى ويلي "Volubilis"، ومن هناك إلى تازة (Taza) ووجدة (Oudjda) ومن ثم إلى الوهرانية، وعلى أي حال فقد تم الوصول إلى الوهرانية (Oranaïne)، وعلى العموم فقد كان هدف جنسريك من هذا الزحف الوصول إلى قرطاجة، وقد مر بمرحلتين:

أ- المرحلة الأولى: من طنجة إلى ألتافا:

يتضح أن المسافة بين بين طنجة وأولاد ميمون (Altava) تقدر بحوالي 700 كلم، ما يعني أنّها تتطلب مدة شهرين على الأقل مشيا على الأقدام واستعمال الحيوانات للوصول إليها⁶، وقد كان تقدمهم من طنجة نحو الشرق برا⁷.

وكان تنقل الوندال قد صاحبه القتل والتكيل برجال الدين⁸، حيث عثر على نقش جنائزي من ألتافا يتضمن سقوط ضحية على يد البرابرة، ولكن حسب ما أشار إليه محمد البشير شني⁹، فإنّ لفظ البرابرة لا يشمل بالضرورة الوندال فيمكن أن يتعلق بالبدو والمور والجبليين.

1 Leclercq (H), op.cit , p 146.

2 Sachmidt (L), op.cit, p 77.

3 Courtois (Ch), op.cit, p159.

4 Morazzani (A) ,op.cit, p 544-545.

5 Carcopino (J), op.cit, p 546.

6 Courtois (Ch), op.cit, p 161.

7 Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 352.

8 Schmidt (L), op.cit, p 78.

9 محمد البشير شني، الجزائر في ظل الإحتلال، ص 380.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

ب- المرحلة الثانية: من ألتافا إلى هيبون ريجيوس:

أشار شميدت "Ludwing Schmidt"¹ إلى أنّ سير الوندال من ألتافا (الوهرانية) نحو عنابة (Hippo Regius) ومنها إلى أوتيكا (Utica) وبنزرت (Hippo Diarrilytus)، وطبرقة (Thabraca) التي وصلوا إليها في جوان 430م بعد مواجهتهم لبونفاص، في حين أكد أندريه موريوزو "André Morazzani"² على عدم معرفته بخصوص المسلك الذي إتخذه.

يبدو أن الوندال إتخذوا في هذه المرحلة للتوجه نحو عنابة المسلك الساحلي نظرا لأهمية قيصرية الموجودة على مشارف البحر المتوسط، فقد توجه الوندال في البداية نحو الحدود السطيفية، وإقتراح كريستيان كورتوا "Christian Courtois(Ch)"³ في ذلك ثلاث طرق محتملة:

-يمرون بمحاذاة سواحل المتوسط المحاذية لشمال إفريقيا.

-يتبعون خط اللمس الوهراني وهو طريق داخلي.

-يمرون بمحاذاة الهضاب الموالية لوادي الشلف ووادي الصومام الذي يعد هو الآخر طريقا داخليا.

وتبقى هذه الفرضيات محتملة، إلا أنه عند وصول الوندال إلى موريطانيا السطيفية وجدوا شبكة طرق ومسالك أكثر تعقيدا، أين إلتقى فيها الجميع لينطلق الكل نحو مدينة قرطاج عبر سلسلة الأطلس التلي، فقد إقتراح كريستيان كورتوا⁴ الطريق الذي سلكه الوندال في هذه المرحلة كانت من تنس (Catennae)، بجاية (Saldae)، سطيف (Sitifis)، قسنطينة (Cirta)، وسكيكدة (Rosicade)، ثم عنابة (Hippo Regius) .

Schmidt(L), op.cit, p 79.

Morazzani (A), op.cit, p 547.

Courtois (Ch), op.cit, p 162.

Loc.cit.

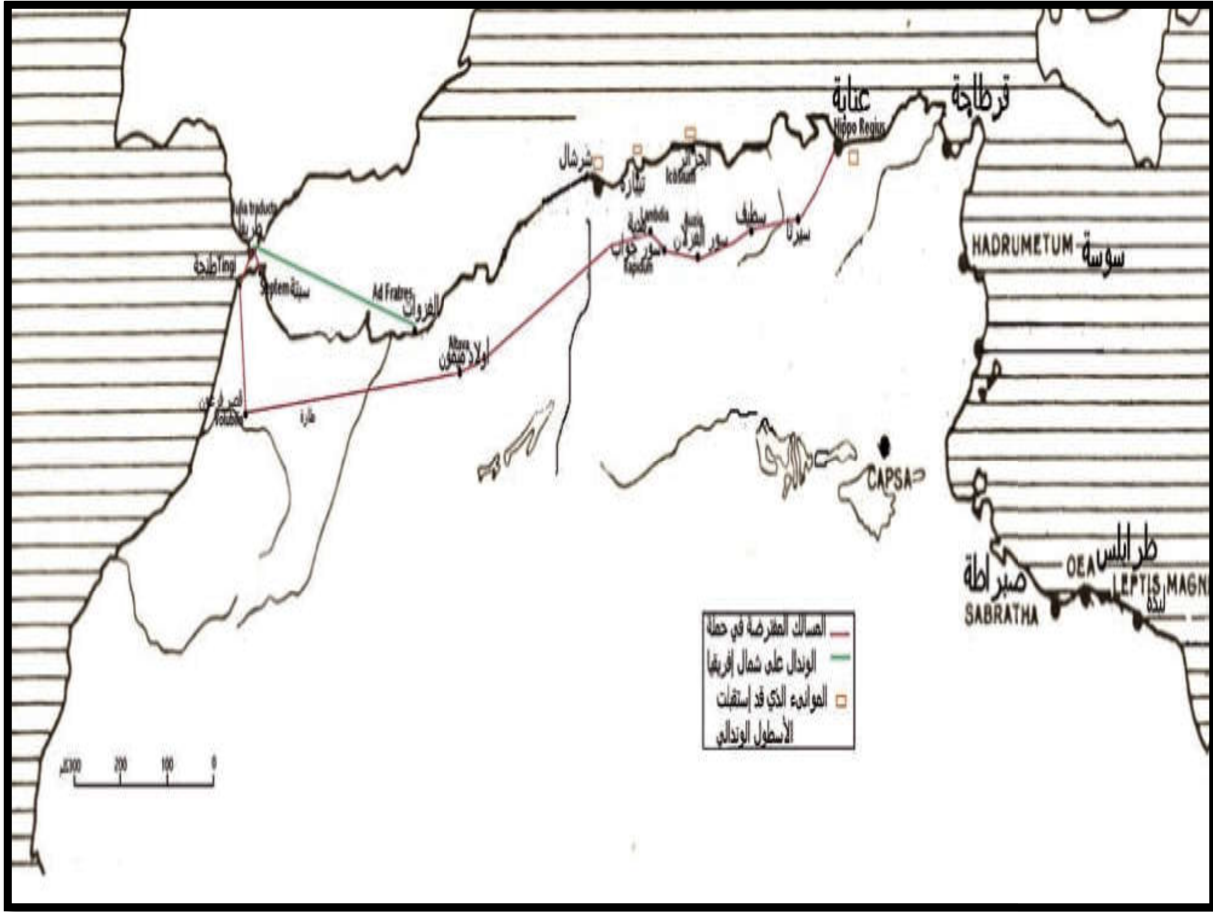
1

2

3

4

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم



الخريطة رقم 11: المسالك المفترضة أثناء الزحف الوندالي على شمال إفريقيا،

Courtois(Ch), Les Vandales et l'Afrique, p 161.

ويبدو أنه تطلب على الوندال قطع مسافة 1200 كلم للوصول إلى عنابة (Hippo Regius)، وقد إستغرقوا في ذلك ما يقارب سبعة أشهر أي أن الوصول كان في جوان 430م، نضرا للمواجهات الرومانية التي أجلت تقدمهم، والملاحظ أنّ الوندال لم يصطدموا بقوات حكام الولايات الإفريقية في البداية، ذلك أنّهم لم يكن لديهم القوات الكافية لإيقاف الزحف الوندالي، ولكن مع توغل الوندال في نوميديا أدركت جالا بلاسيديا "Gale Placidia" والإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinianus III" خطورة الوضع على السلطة الرومانية، مما

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

إستوجب عليها الصلح مع بونيفاص "Boniface" عن طريق سانت أوغسطين¹، فأسندت قيادة الجيش لبونيفاص لصد الزحف الوندالي.

وبالفعل، فقد توجه كونت إفريقيا بونيفاص "Boniface" بقواته لمواجهة الغزاة الوندال وقاتلهم في معركة أمام قالمة (Calama)²، إلا أنه لم يتمكن من وقف الزحف الوندالي، نظرا لتركيز جميع قواته في ثلاث مدن فقط، تمثلت في قرطاجة وعنابة (Hippo Regius)* وقسنطينة (Cirta)، في حين كان كل ما تبقى من المقاطعة فريسة للوندال³، كما تعود هزيمة بونيفاص أيضا إلى تأخر وصول التعزيزات التي طالبتها من روما نظرا للصراعات الداخلية للسلطة الرومانية، وكذلك لعدم تعزيزه للثكنات على الرغم من أنّ الجيش الإفريقي يتكون من 11 فرقة عسكرية وعدد هائل من الجنود الذين يقدر عددهم بحوالي 21000 جندي، وهو عدد كافي لصد 15000 أو 16000 مقاتل وندالي، إلا أنّ البعض منهم حوّل إلى إيطاليا وما تبقى أستدعي إلى حماية حدود روما الشمالية⁴.

وبعد إنهزام بونيفاص في هذه المواجهة انسحب إلى عنابة⁵، إلا أن الوندال تبعوه بعد أنّ وظفوا جزء من قوتهم لحصن هذه المدينة وكان يسترشدتهم في ذلك الدوناتيين⁶، حيث تم بذلك حصار مدينة هييون 14 شهرا بداية من ماي 430م، وكان هذا الحصار برا، ولاشك في أن يكون إلى جانبه حصار بحري، ذلك أنّ الوندال كانوا بحاجة إلى عدد قليل من السفن لمنع مدخل ميناء عنابة ولكي لا تصل التعزيزات الإيطالية أيضا، مما لا يعني أن يكون أسطول كبير⁷، وما يؤكد على وجود هذا الحصار البحري أيضا إشارة بوسيديوس

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 32.

² Mercier (E), op.cit, p 144.

* يبدو أنّ القديس سانت أوغسطين "Saint Augustin" هو الذي دفع الكونت بونيفاص "Boniface" لتركيز قواته في عنابة (Hippo Regius) من أجل تغطية مقعده الأسقي. أنظر:

Morazzani (A) , op.cit, p 547.

³ Simond De Sismondi (J.C.L), op.cit,p 231.

⁴ Gourdin (H) , op.cit, p143-144.

⁵ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 23.

⁶ Mercier (E) , op.cit, p 144.

⁷ Morazzani (A), op.cit, p 547.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

"Possidius"¹: "إنّه لم يكن باستطاعة المحاصرين الإتصال بالخارج لا من جهة اليابسة ولا من جهة البحر".

عمل الوندال على إحباط المحاصرين وجعل إقامتهم لا تطاق في هذه المدينة وذلك بجمع الجثث في الخنادق، وكذلك تم وضع سجنائهم على الجدران حتى الموت ودفنهم المقابر الجماعية، وخلال هذه المعاناة توفي القديس سانت أوغستين "Saint Augustin" في 28 أوت 430م، وخلال صيف 431م أمر أسبار "Aspar"، أحد القادة العسكريين الرومان، بإصدار أمر الإغاثة من إمبراطور الشرق تم إرسالها من طرف جالا بلاسيديا "Gale Placidia" إلى عنابة (Hippo Regius)، إلا أنّ هذه الأخيرة لم تعد في حالة مقاومة، ما أدى بالوندال إلى نهبهم لهذه المدينة وأضرموا النار فيها²، ولكن كانت لإدعاءات بوسيديوس "Possidius" حول إحراق جنسريك لمدينة عنابة لا تقوم على أساس قوي، ذلك أنّه لم يذكر كثرة مخطوطات هذه المدينة خلال العهد الوندالي³ كما أنّه ليس من المعقول أن يحرق الملك جنسريك "Genséric" المدينة ويتخذها عاصمة له مباشرة بعد السيطرة عليها.

ويتضح أن الكونت بونيفاص "Boniface" لاذ بالفرار إلى قرطاجة⁴ وبعدها توجه إلى إيطاليا مع رجاله في سنة 432م من أجل مواجهة منافسه أيتوس "Aetius" في شبه الجزيرة، إلا أنّ هذا الأخير قام باغتياله⁵، وبهذا تبدأ أطوار المرحلة الثانية من الزحف الوندالي في بلاد المغرب القديم.

¹ Possidius, Vie de Saint Augustin, Vita Augusti, Trad, Plazamet (N), et Siarri Migune, Paris, 1994, d'Après :
سليم دريسي، المرجع السابق، ص 39.

² Mercier (E), op.cit, p 145.

³ محمد اللبار، المرجع السابق، ص 174.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 327.

⁵ Morazzani (A), op.cit, p 547.

2-مرحلة المعاهدات إلى حدود سنة 477م:

يتضح أنه تم التوقيع على ثلاث معاهدات بين الإمبراطور فالنتيان الثالث "Valentinianus III" والملك جنسريك:

أ-معاهدة 432م:

أبرمت هذه المعاهدة في عهد فالنتيان الثالث بين الملك الوندالي جنسريك والكونت بونيفاص، فقد إضطر الملك جنسريك إلى فتح باب التفاوض خوفا من إرسال الإمبراطوريتين، الرومانية والبيزنطية لمحاربتة خاصة وأنه كان يدرك أن إنتصاره ببلاد المغرب القديم كان مرهونا بعدم تدخل إمبراطور الشرق في هذه المنطقة¹، وقد نصّت هذه المعاهدة على:

-يحتفظ الوندال بالمناطق التي تم الإستيلاء عليها عند زحفهم، وألاّ يطمعوا في ممتلكات الروم²، ويتعلق الأمر بالموريطانيات الثلاث (الطنجية، القيصرية والسطيفية) وكل نوميديا ما عدا قسنطينة (Cirta)³.

-تعهد جنسريك بدفع جزية سنوية للإمبراطور مقابل الأراضي التي إستولى عليها⁴.

ويبدو أن الملك جنسريك قبل شروط المعاهدة رغم قساوتها⁵ من أجل أن يتمكن من ضبط جنوده وتدريبها لليوم الذي سيعلن فيه عن نواياه الحقيقية.

¹ محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 122.

Procope, I,IV, 2, 3.

² Isidor de Siville, Historia Wondalorum, 74, M.G.a.a,T.XI, p 297,d'Après :

³ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 24

⁴ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 241.

⁵ محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 122.

ب- معاهدة 435م:

يتضح أن نوميديا والموريطانيات الثلاث بقيت في أيدي الوندال، وقد إستوعب الإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinianus III" من الحروب السابقة أنه لا يمكن الإستيلاء على هذه الأراضي، مما إضطره إلى عقد معاهدة سنة 435م مع الوندال حتى يتمكن من الإحتفاظ بما تبقى¹، وعقدت بعد وفاة الكونت بونيفاص "Boniface" بشهور قليلة من تعيينه قائدا أعلى، فكان المفاوضات مع الملك جنسريك أيتوس "Aetius" في 11 فيفري 435م في عنابة (Hippo)² لأجل إرساء السلام بين الطرفين³، وبالتالي أعتبرت هذه المعاهدة بمثابة التأكيد على معاهدة 432م وفقا لما نصت عليه:

-تمنح السلطة للملك جنسريك على كل من موريطانيا السطيفية والأراضي الوسطى والشمالية من نوميديا، وكذلك الجزء الشمالي الغربي من البروقنصلية⁴.

-إعتبار الوندال حلفاء تعاهدين "Foederati" للإمبراطورية⁵ يدفعون الضريبة السنوية⁶.

وتجدر الإشارة إلى أن أحداث هذه المعاهدة تبقى غامضة لدى المؤرخين والباحثين، ذلك أنها لم تدقق حول تحديد الحدود الإقليمية الناتجة عن المعاهدة، مما جعلها عرضة لإقتراحات مختلفة منها أن الملك جنسريك "Genséric" أبقى فقط على موريطانيا وهو ما يتناقض مع المنفى الذي فرض على إثنين من أساقفة نوميديا سنة 437م، وأيضا أن الملك جنسريك كان في نوميديا وفي المزاق (Byzacène) وقام بنفي أسقف سطيف (Setifis) نوفاس "Novatus" في موريطانيا السطيفية⁷.

Mercier (E), op.cit, p 145.

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 475.

Mercier (E), op.cit, p 145 ; Schmidt(L), op.cit, p 81.

Courtois (Ch), op.cit, p 173.

² سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 475.

Courtois (Ch), op.cit, p 173.

Yanoski (M.J), op.cit, p 140.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

تحصل الوندال على إمتيازات هامة إثر هذه المعاهدة لدرجة جعلت هناك إمتزاج وتعايش الوندال مع الرومان، ولكن ذلك مقابل أداء رمزي تمثل في دفع الضريبة، مما أصبح للوندال حق الإستيطان في المقاطعات الموريطانية الثلاثة وقسم من نوميديا¹، ومن أجل تكريس هذه المعاهدة على أمر الواقع قدم الملك ابنه هونريك "Huniric" كرهينة².

أعتبرت هذه المعاهدة بمثابة الهدنة التي تمنع أي هجوم وضمن سلامة الملك جنسريك الخاصة، ذلك أنّ أنصار شقيقه جندريك "Gunderic" ثاروا عليه فاضطر للقضاء عليهم، وأعلن أنه الحامي على الدوناتيين والأريوسيين في حين أنّ الأرثوذكسيين كانوا مضطهدين بوحشية³، وكذلك كانت من أجل كسب الوقت لإعادة الفتوحات الجديدة، ذلك أنّ الملك جنسريك يتفرغ إلى إعادة بناء جيشه وحتى أسطوله لمدة أربع سنوات، مما يدل على أنّ معاهدة 435م لم تكن سوى هدنة بين الطرفين ولم تعتبر نهائية⁴، كون أنّ نهاية صلاحية هذه المعاهدة جاءت إثر إتخاذ الملك جنسريك إجراءاته بدخول قرطاج في 19 أكتوبر 439م عن طريق الخداع ودون قتال تقريباً⁵ وإتخذها قاعدة له، نضرا لإستفادته من بعد أتئوس الذي عاد إلى بلاد الغال للحرب ضد القوط الغربيين الذين هزمهم⁶.

وهذا ما مكن الأسطول الوندالي أن يجوب ويتنقل في البحر المتوسط وقطع على روما تموينها بالمنتجات الإفريقية، وبهذا الإنتصار خشي الملك جنسريك "Genséric" من قيام الإمبراطوريتين من أي عمل حربي ضده، فدفع بأساطيله إلى إغارة جزيرتي صقلية وسردينيا سنة 440م⁷، وبالتالي سرعان ما غطى القراصنة البحر المتوسط الذين دفعتهم جرأتهم للهجوم على بحر البرمو (Palerme)، مما دفع الإمبراطور فالنتنيان الثالث بإرسال القوات لحراسة الساحل وسمح للسكان بالتسليح وتخلصهم من كل الغنائم التي يمكن أن يقدموها

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 237.

Procope, I,IV, 2.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 432.

³ Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 352.

⁴ Morazzani (A), op.cit, p 548.

⁵ Mercier (E), op.cit, p 146 ; Hadi (S), et d'autres, op. cit, p 352.

⁶ محمود محمد الحوري، المرجع السابق، ص 138.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

للوندال، وفي عام 442م أرسل الإمبراطور ثيودوسيوس "Théodose" أسطولا لمساعدتهم، لكن تم إستدعاء السفن قبل أن تتمكن من القتال نتيجة لغزو الهون¹.

ج- معاهدة 442م:

بعد إستيلاء الملك جنسريك على قرطاج سنة 439م وكذلك وصوله إلى جزيرتي صقلية وسردينيا، قرر الإمبراطور فالنتينيان الثالث التعامل مع الملك الوندالي بالتفاوض على أمل الحفاظ على عرشه، وذلك بعقد معاهدة سنة 442م التي بموجبها تم السلم بينهما وقسمت المقاطعة الإفريقية بين الملك جنسريك والإمبراطور فالنتينيان الثالث بطريقة دقيقة²، حيث أشار سيرج لونسيل "Serge Lancel"³ نقلا عن فكتور دي فيتا "Victor de Vita" إلى الحدود التي تحصل عليها الملك جنسريك بموجب هذه المعاهدة: «أخذ الملك الجيتول، أبريتانا (Abaritana)، المزاق (Byzacene)، وكذلك جزء من نوميديا، وأعطى لجيشه زغوان (Zagitanne) والبروقنصلية (Proconsulaire)، وأصبحت المقاطعة القديمة أرض الإستعمار لأجل جنود الوندال وعائلاتهم»، مما يوحي إلى قيام المملكة الوندالية في أراضي الإمبراطورية وتمتعها بالإستقلالية⁴.

ويرجح أنّ أقصى إتساع للوندال بإتجاه الغرب ببلاد المور حينذاك كان جميلة (Cuicul) الذي إستمر حتى سنة 452م، أما في الجنوب فيعتبر الأوراس أقصى الإمتداد الوندالي، وذلك قبل بداية الثورات المورية التي توسعت بإتجاه الشمال، ما جعل كريستيان كورتوا "Christian Courtois(Ch)"⁵ يقدر مساحة المملكة الوندالية ب4/1 من المساحة الإجمالية للمغرب القديم أي ما يعادل 1000كلم²، في حين أنّ الفائض من نوميديا وموريطانيا فقد بقي للإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinianus III"⁶.

Mercier (E), op.cit, p 146.

Yanoski (M.J), op.cit, p 240.

Lance (S), op.cit, 1203.

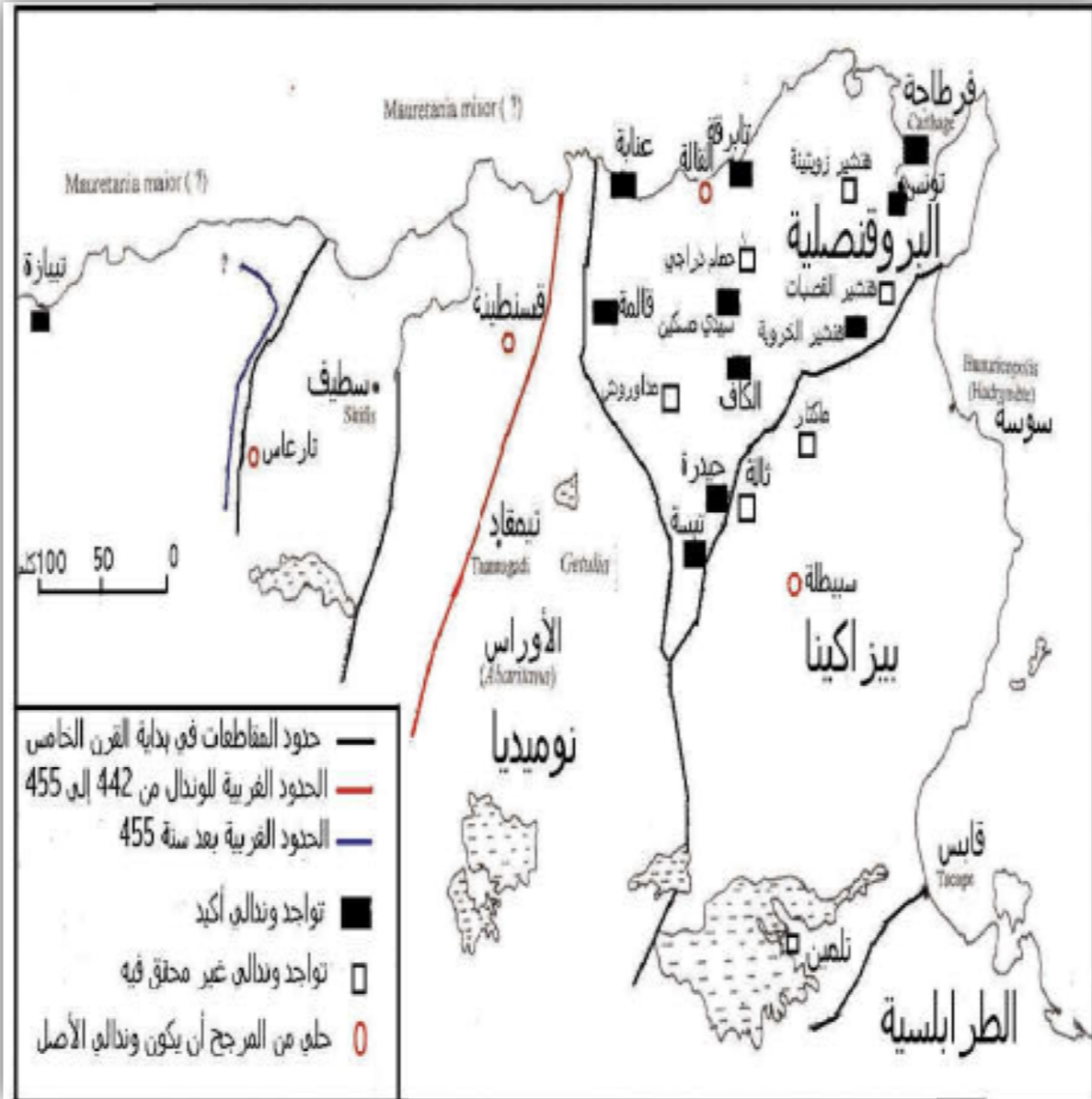
Schmidt (L), op.cit, p 89-90 ; Courtois (Ch), op.cit, p 173.

Courtois (Ch), op.cit, p 215.

Yanoski (L), op.cit, p 240.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

ويتضح أن الملك جنسريك خلال هذه المرحلة من معاهدة 442م توسع ببلاد المغرب القديم، حيث إحتل قسنطينة (Cirta)، وكذلك بعض المدن على ساحل موريطانيا¹، وبالتالي فقد سيطر على الوضع في مملكته الإفريقية ثم تحول إلى الجزء الغربي من البحر المتوسط واستولى على جزر البليار وجزء من صقلية².



الخريطة رقم 12: الوجود الوندالي بشمال إفريقيا، سليم دريسي، البيزنطيون في شمال إفريقيا، ص 53.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, 353.

Lancel (S), " Victor de Vita ", op.cit, p 1205.

1

2

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

إضطرت الإمبراطورية الرومانية إلى صدور عدة مراسيم تؤكّد فيها على رغبتها في التمسك بأراضي المقاطعة الإفريقية، والتأكيد على إستمرارية هياكلها الإدارية والتنظيمية في هذه الأقاليم، ومن أهمها نجد:

- مرسوم 19 أكتوبر 443م: الذي عالج فيه مشكلة المور المطرودين من طرف الوندال، واتخذت العديد من الإجراءات لصالحهم¹.
- مرسوم 2 يونيو 445م: أعلن فيه الإمبراطور عدة إجراءات على سكان نوميديا وموريطانيا، منها تسليم سبعة أثمان من الضريبة العقارية².
- مرسوم 13 يونيو 451م: وذلك من أجل التحقيق من ثقل الضرائب نتيجة ما أحدثه الوندال من إضطرابات³.

ولكن فترة السلام بين الوندال والإمبراطورية الرومانية لم تدم طويلا، ذلك أنّ جنسريك إستغلّ الفوضى والإضطرابات التي نشبت داخل الإمبراطورية على إثر إغتيال الإمبراطور فالنتيان الثالث "Valentinianus III" في 16 مارس 455م⁴ من طرف أتباع أيتيوس "Aetius"، وهي الفرصة التي لطالما إنتظرها⁵، حيث قاد حملة بحرية وهاجم على إثرها ميناء أوستيا (Ostia) بالعاصمة روما⁶.

كانت لسيطرة الوندال على روما أن أكسبهم السيادة في جميع أجزاء بلاد المغرب القديم، كما أنّ الملك جنسريك "Genséric" واصل تنظيم إمبراطوريته وسعى للحفاظ على رعاياه وذلك من خلال إهتمامه بموضوع القرصنة على الجزر الصغيرة المجاورة للساحل

¹ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 28.

Yanoski (L), op.cit, p 240.

² يوسف عيش، المرجع السابق، ص 28.

³ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 28.

⁴ محمد الحوري، المرجع السابق، ص 138.

Mercier (E), op.cit, p 148.

⁵ إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 130.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الإفريقي ومالطا وجزء من كورسيكا لكنه إسترد بشكل عام من الإمبراطورية الغربية إثر تعرض الوندال لهزائم بحرية وتم طردهم من كورسيكا¹.

وفي شهر أفريل سنة 457م تولى عرش الإمبراطورية ماجوريان "Majorianus" (457-461م) الذي وضع لنفسه هدف إستعادة السيطرة على البحر المتوسط والسيادة على المقاطعات الساحلية وبدأ باستعادة بلاد الغال وإسبانيا، إلا أن عدم التعاون بين الإمبراطورية الشرقية البيزنطية والإمبراطورية الغربية الرومانية ساعد الوندال على التوسع ومكّن أسطولهم من السيطرة على البحر المتوسط، حيث دمر البحر الأيوني وحطم في الإبير سنة 474م²، ونتيجة لهذه التوسعات الوندالية فقد أبرمت معاهدة أبدية سنة 474م بين الإمبراطور زينون "Zéno" الذي إستخلف ماجوريان مع الوندال، وقد نصت على:

- الإعتراف بحق الملكية للملك جنسريك على كل شمال إفريقيا وجزر البحر المتوسط³.

- أن يكون الجزء الغربي من البحر المتوسط لصالح الوندال، في حين يسيطر سكان القسطنطينية على الجزء الشرقي⁴.

رابعا-موقف الإمبراطورية الرومانية الغربية والبيزنطية الشرقية من إحتلال الوندال:

كان لسقوط قرطاجة في أكتوبر سنة 439م بأيدي الوندال الذين تمكنوا من بناء أسطول يهدد به دول البحر المتوسط صدى في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية خاصة إيطاليا القريبة من الخطر الوندالي، وقد إنزعج أيضا بلاط القسطنطينية من هذا الخطر الذي بات يهدد الإمبراطورية البيزنطية التي كانت خلال هذه الفترة تعاني من أخطار قبائل الهون.

Mercier (E), op.cit, p 148.

Marozzani (A), op.cit, p 553-554.

Courtois (Ch) , op.cit, p 204.

⁴ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 43.

1- موقف الإمبراطورية الرومانية الغربية:

يتضح موقف الإمبراطورية الرومانية الغربية من الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم من خلال الحملات المعارضة له، خاصة وأنّ الوندال بدؤوا بالقيام بسلسلة من الأحداث لأجل التوسع في حوض البحر المتوسط منذ عام 440م، مما جعل الغرب الأوروبي يستنفر قواته للدفاع عن إيطاليا، وكانت لهذه الإستعدادات التي علم بها الملك الوندالي جنسريك "Genséric" أن حولته لمهاجمة جزيرة صقيلية وألقى الحصار على مدينة بانورموس (Panormus) الواقعة على الشاطئ الشمالي للجزيرة إلاّ أنّ أهالي هذه المدينة قاومته وتوجه بذلك الوندال نحو مدينة ليليبوم (Lilybaeum) في أقصى غرب صقيلية التي تم الإستيلاء عليها، وبعدها عاد الملك جنسريك إلى قرطاجة بعد أن كسب الإمبراطورية خسائر فادحة¹.

ويتضح أنه بعد هذه الهزيمة أدرك القائد الإمبراطوري أيتيوس "Aetius" أن العلاقة الطيبة مع الملك الوندالي جنسريك تعد من أفضل الوسائل للتعامل معه حتى لا يكون لطموحه الفرصة لمهاجمة صقيلية أو سردينيا أو إيطاليا، ولهذا فقد أرسل إليه- بعد موافقة الإمبراطور فالنتنيان- بعثة تعرض عليه زواج الإبنة الكبرى للإمبراطور يودكيا "Eudicia" من ابنه هونريك "Huneric"، ويمكن أن تكون هذه الفكرة قد طرحت إثر توقيع معاهدة 442م، ولكنها لم تدخل حيز التنفيذ ذلك أنّ هونريك كان متزوجا من إبنة ثيودريك أحد زعماء القوط الشرقيين في هذه الفترة، وبالتالي لم يبق إلاّ حجة لطلاق هونريك من زوجته القوطية التي إتهموها بالتآمر على زوجها وعوقبت بضم أذنها وجذع أنفها فأرسلت على هذه الصورة لوالدها، وبهذا سوف يتزوج هونريك من يودكيا في مرحلة لاحقة، وبالتالي فإنّ فكرة مصاهرة الوندال للإمبراطور يجنب الإمبراطورية من خطر الوندال كما يوقع بين الوندال والقوط العداوة التي تكون في صالح الإمبراطورية، وقد وجد جنسريك أن مصاهرة الإمبراطور فالنتنيان أهم من مخالفة القوط².

¹ محمود سعيد عمران، مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص 33-34.

² محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 36.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

ولكن يتضح أن الملك جنسريك سوف يستأنف حملاته العسكرية على أراضي الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور فالنتيان الثالث سنة 455م، وذلك بدخوله لروما في 2 يونيو 455م والتي تم حصارها لمدة 14 يوم، وبعدها عاد الوندال لبلاد المغرب القديم ومعهم عدد من الفنانين وصانعي الأسلحة، بالإضافة إلى السادة الجدد لقرطاج التي هي بحاجتهم مع كل الثروة التي يمكن أن يستفيدوا منها، وبقايا معبد القدس الذي جلبه تيتوس "Titus" وأخذوا حتى الغطاء البرونزي من معبد جوبيتر "Jupiter" في مبنى الكابيتول "Capitole"¹، واستولوا على الاسطول الإمبراطوري الذي كان راسيا بميناء أوستيا (Ostie)²، كما كان معه كنز القدس الذي أعيد من طرف تيتيوس³.

بالإضافة لهذه الثروات التي أخذها معه قام أيضا بالتقليل من شأن العائلات الرئيسية إلى مستوى العبودية، ذلك أنه أسر عدد من كبارها مثل يودكسيا "Eudoxie" أرملة فالنتيان الثالث وبناته وأخذهم معه كرهائن يملي بهن شروطه⁴، وقد تزوجت واحدة منهما من ابنه الملك هونريك⁵، ولولا جهود البابا ليو الأول "Leo I" (440-461م) لتضاعفت أعمال جنسريك الإجرامية⁶.

وفي 31 ماي 455م وصل الأسطول الوندالي إلى ميناء أغسطس إلى الشمال من التيبير (Tibre) واستدل بجزيرة أوستيا، وهذا بدون أن نعرف عدد سفن الملك جنسريك ولا عدد جيوشه⁷، إلا أن عدد جيشه يعتبر مهم وكان هناك حصن إلى جانب الوندال من الأفارقة الأصليين والمور الذين يقال أنهم مخلصون للإمبراطور الراحل ويتوقون للانتقام منه.

وبهذا تبدأ عهد الفتوحات البحرية والقرصنة للمملكة الوندالية، حيث يقرر الملك جنسريك إخلال كل الطرق التي تؤدي إلى روما، وبعد نجاحه في حمل الشحنات يليه

¹ Bourgeois (Ch), Op.Cit, p218-219.

² إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 130.

³ Mercier (E), op.cit, p 148.

⁴ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 475.

⁵ Mercier (E), op.cit, p 148.

⁶ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 476.

⁷ Morazzani (A), op.cit, p 551.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الإحتلال العسكري الفعال في كل من كورسيكا وسردينيا وجزر البليار، حيث يتم تنفيذ غارات متكررة على كامبانيا التي تصلها حامية الوندال وكذلك كالليباريا (Calabre)، ولكن نظرا لمقاومة سوفي ريكيمير "Swève Ricimer" لم يتمكن من فتح صقلية مرة أخرى¹.

ويتضح أن الإمبراطورية الغربية أصرت على إسترجاع المناطق التي إحتلتها المملكة الوندالية بموجب إتفاقية 442م، ذلك أن الإمبراطور الروماني أفيتوس "Avitus" (455-456م) قام بحملة أخرى سنة 456م، إلا أنها باءت بالفشل أيضا بفضل ذكاء وخبرة الملك جنسريك في الشؤون العسكرية، ذلك أنه قام بتحريض حلفاء الروم ضدهم خاصة السواف المقيمين بإسبانيا وكذلك القوط الغربيين²، كما قام بإحتلال كورسيكا³ قبل أن يباغت الروم وهم يستعدون لهذه الحملة بصقلية في ربيع 456م التي إنتهت أطوارها بالعملية الانقلابية التي نظمت ضد أفيتوس يوم 17 سبتمبر 456م⁴.

والملاحظ من خلال هذه الأحداث التي قام بها الوندال أن الإمبراطورية البيزنطية لم تتدخل من أجل الحد من عمليات الوندال، فقد إكتفت بإرسال سفارة سلمية من رجال الدين للملك جنسريك⁵، وقد يرجع هذا إلى التأثير بالأرستقراطي أسبار "Aspar" الآلاني الأصل الموالي للوندال.

ولكن مع وصول الإمبراطور ماجوريان "Majorian" على رأس الإمبراطورية الغربية (457-461م) الذي تميز عهده باليقظة للخطر الوندالي الذي تنبه له الشعب الروماني وعقدوا آمالا على هذا الإمبراطور لاستعادة السيطرة على البحر المتوسط والسيادة على المقاطعات الساحلية⁶، وبذلك كانت بدايته إحتلال ساحل بلاد الغال وإسبانيا، ومن أجل مواجهة ملك الوندال جنسريك في موريطانيا القيصرية قام بجمع جيش مهم من المرتزقة القوط التي عبرت من بروفانس (Provence) في (Narbonnaise) بالإضافة إلى القوط الغربيين

Morazzani (A), op.cit, p 553.

Gautier (E. F) , op.cit, p 243.

Courtois(Ch), op.cit, p 186.

⁴ فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 26.

⁵ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 45.

⁶ نفسه، ص 47.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

في (Tarraconaise) ثم في قرطاجنة (Carthaginai) وأليكانتي (Alicante) في المنطقة المجاورة مباشرة لإفريقيا¹، كما تمكن من بناء أسطول مكون من 300 سفينة حربية كبيرة، بالإضافة إلى سفن النقل وبعض السفن الصغيرة، وقد تجمع هذا الأسطول في مدينة قرطاجنة الإسبانية²، مما يدل على أنها مناورة جريئة من ماجوريان "Majorianus" على جنسريك الذي يبدو أنه غير قادر على مواصلة إحتلال صقلية.

وكان هذا الإستعداد لمواجهة الملك الوندالي ببلاد المغرب القديم كفيلا بروح المعنوية بين قوات الإمبراطور ماجوريان الذي أوحى لهم أن النصر قريب، خاصة وأنه لمس بنفسه الوضع الوندالي في قرطاجنة، وذلك-حسب رواية بروكوب- بعدما إنتحل صفة مبعوث الإمبراطور واتخذ إسما مستعارا وقام بصبغ شعره الأشقر باللون الأسود حتى ل يتم التعرف عليه، وقد عاد بعد مقابله للملك جنسريك "Genséric"³.

لما أدرك الملك جنسريك باستعدادات الإمبراطور ماجوريان للحرب على بلاد المغرب القديم حاول التفاوض معه، إلا أنه رفض الصلح إيمانا منه أن روما سوف تظل في خطر طالما بقيت مقاطعة إفريقيا خارج سلطتها⁴، وبالتالي قام الملك جنسريك بهاجمة أسطول أليكانتي بعد أن أرشده بعض الحاقدين على الإمبراطور الروماني إلى مواقع الأسطول بقرطاجنة، ما أدى إلى حرق وغرق السفن الرومانية⁵ كما إستولى على ما تبقى منها وهاجم أيضا ترسانات الإمبراطورية في مواقع مختلفة، وبهذا ضاعت مجهودات ماجوريان التي دامت ثلاثة سنوات مما أثر عليه كإمبراطور، وقد إستفاد من الخلل الذي إنتاب عرش الإمبراطورية بعد هذه الأحداث والذي حاول ماجوريان إصلاحه غير أن قائد الجند ريكيمير "Ricimer" نجح في القبض عليه وأجبره على التنازل عن العرش ثم أعدمه في أغسطس عام 461م.

Courtois (Ch), op.cit, p 199.

1

² محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 47.

³ نفسه.

Mercier (E), op.cit, p 149.

4

Morazzani (A), op.cit, p 553.

5

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

وبعد مقتل الإمبراطور ماجوريان وما أصاب الإمبراطورية الرومانية من إختلال في عرشها تحكم القائد ريكيمير في الوضع ونجح في حمل مجلس السيناتوفي 19 نوفمبر 461م وتعيين ليبوس سفريوس "Libius Severus" (461-465م)، إلا أن ليو الأول "Léon I" لم يكن راضيا عليه، وبذلك وجهت الأنظار إلى قائد الجند بغالة إيجيديوس (Ieagidius) الذي كان يرجى منه الثأر لصديقه ماجوريان غير أن إنشغاله في القتال حال دون تحقيق ذلك، كما كان هناك القائد مارسيلنوس "Marcellinus" الذي يتولى أمر الدفع عن صقيلية وهو منافس خطير للقائد ريكيمير لذلك قدم الرشوة لقوات مارسيلنوس المتكونة من الهون الذين دخلوا في طاعته في حين غادر مارسيلنوس صقيلية إلى دالماشيا (Dalantia) التي كانت تحت حكم الإمبراطور البيزنطي ليو الأول¹.

كان للفوضى العسكرية التي إنتابت صقيلية فرصة أمام الوندال للإغارة عليها، فلم يكن بوسع القائد ريكيمير مقاومة القوات الوندالية ولذلك إضطر إلى إرسال بعثة من إجلى إقرار السلام مع الوندال إلا أنها فشلت في مهمتها، وفي الوقت نفسه أرسل الإمبراطور البيزنطي ليو الأول بدوره سفارة للملك الوندالي يحثه على السلم ومراعاة صلة الدم التي قامت بين البيت الوندالي وبين الإمبراطور فالنتنيان الثالث إثر زواج ابنه هونريك "Huniric" بابنة الإمبراطور يودكسيا "Eudoxie"، ما جعل الملك جنسريك يساوم على جانب من أملاك الإمبراطورية في الوقت الذي كان قد أضاف إلى أملاكه مقاطعات موريطانيا وجزيرتي سردينيا وكورسيكا وجزر البليار، كما قام بالإغارة في فيفري 467م على منطقة البلونيز وبعض الجزر القريبة منها، وقد كان هذا في ظل شغور العرش الإمبراطوري منذ وفاة الإمبراطور ليبوس سفريوس منذ وفاته في 15 أغسطس 465م².

2- موقف الإمبراطورية البيزنطية الشرقية من الإحتلال:

يبدو أن الإمبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية التي إتخذت من القسطنطينية عاصمة لها كان لها موقف إتجاه الإحتلال الوندالي خاصة بعد إزدياد هزائم الإمبراطورية

¹ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 49.

² نفسه، ص 50-51.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

الغربية ومشاكلها السياسية إثر وفاة الإمبراطور ماجوريان "Majorianus" وتسلب البطريق ريكيمير "Ricimer" على السلطة بروما وتنصيبه ليببوس سفريوس "Libius Severus" خلفا للإمبراطور ماجوريان مما اضطر بالإمبراطور الشرقي ليون الأول "Léon I" إلى التدخل¹، وذلك بقيامه بعدة حملات ضد الوندال سواء ببلاد المغرب القديم أو خارج هذه المنطقة.

بعد هذه الأحداث التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية الغربية عقب وفاة الإمبراطور ماجوريان وتوسعات الملك الوندالي جنسريك "Genséric" في أراضي الإمبراطورية أخذت الإمبراطورية البيزنطية الشرقية تستعد لمواجهة الوندال والعمل على إستعادة قرطاج خاصة، ففي سنة 441م شاركت الإمبراطورية الرومانية الغربية في الحملة التي قادتها الإمبراطورية الشرقية البيزنطية بزعامة ثيودور الثاني (408-450م) بقيادة كل من أريوبيدوس "Ariupidus" وأنسلا "Ansila" ثم جرمانوس²، إلا أنّ هذه الحملة فشلت قبل أن تصل إلى بلاد المغرب القديم، حيث اضطرت لمغادرة سواحل جزيرة صقلية والرجوع إلى الشرق³ من أجل حماية ولاياته من خطر إجتياح الهون بزعامة أتिला "Attila" (433-453م)، ويمكن أن تكون هذه التحركات الجرمانية بتحريض من الملك جنسريك⁴ حتى يضطر الإمبراطور البيزنطي إلى سحب قواته التي أرسلها لمحاربة الوندال.

وتجدر الإشارة إلى أن إنسحاب الأسطول البيزنطي جاء على إثر إضراره لعقد المفاوضات التي طال أمدها بسبب حيل وذكاء الملك جنسريك بهدف كسب الوقت⁵، كما كانت الهدنة التي عقدت بين الإمبراطورية الغربية والوندال والتي عرفت بمعاهدة 442م في صالح هذه الأخيرة، فلم يقد الأسطول البيزنطي بتهديد ممتلكات الوندالية إلا في سنة 464م

¹ Martroye (F), Genseric, la conquête vandale en Afrique et la destruction de l'empire d'Occident, Paris, 1907, p 193.

² Prosper, Tiro, Chronica, 1346, M.G.H.a.a, T IX, d'Après :

محمد اللبار، المرجع السابق، ص 86.

³ Isidore, Historia, 73, T XI, P 296, D'Après : Courtois(Ch), op.cit, n°5, P173.

⁴ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 34.

⁵ نفسه.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

أين بادر الإمبراطور ليو الأول "Léon I" إلى تنظيم حملة بقيادة الكونت ماركليانوس "Marcellienus" من أجل إسترجاع صقلية¹.

كما أدرك الإمبراطور ليو الأول أنّ إغارة الملك جنسريك على مختلف مناطق الإمبراطورية يشكل تهديدا كبيرا على مصالح الإمبراطورية الغربية الرومانية والشرقية البيزنطية على حد سواء، وكذلك تهديدا أيضا لحركة التجارة في البحر المتوسط، وبالتالي فقد أقر بضرورة تحالف القوات الإمبراطورية في الشرق والغرب لمواجهة الخطر الوندالي، ولكن قبل بداية العمل العسكري لا بد من تعيين إمبراطور على عرش الإمبراطورية الرومانية الغربية، وقد وقع إختياره على أحد رجال مجلس السيناتو أنثيميوس "Anthemius" (467-472م) نظرا لثروته الهائلة التي سوف تساعده في حربه القادمة، كما أنّه زوج ابنة الإمبراطور البيزنطي السابق مارقيان "Marcian" (450-457م)، ومن أجل إرضاء القائد ريكيمير "Ricimer" وضمه للإمبراطور الجديد قدم له فكرة الزواج من ابنة الإمبراطور، وبعدها قام الإمبراطور ليو الأول بجمع حوالي مائة ألف محارب وأسطولا ضخما لنقل هذه القوات لبلاد المغرب القديم² والقضاء على المملكة الوندالية في المنطقة.

وبالتالي فقد شكل الإمبراطور البيزنطي ليو الأول تهديدا ثلاثيا في سنة 468م³ بعدما تحالف مع أنثيوس "Anthenius" صهر الإمبراطور من شرق مارسيليا "Marcien" وكذلك مع ريكيمير "Ricimer" لمواجهة الخطر الوندالي ببلاد المغرب القديم، وقد كوّن هؤلاء خطة عملاقة فقد وقرت بيزنطا وحدها 1130 سفينة وحوالي 100.000 محارب من إيطاليا ومختلف الوحدات للوصول إلى سردينيا، فكانت خطة الهجوم على ثلاث مسارح، حيث يتجه هرقل إلى قورينا "Cyrènaïque" ويحتل المدن الثلاث (Tripolitaine)، وإثنتين من الأرمادا "Armades" سوف تبحر من صقلية واحدة تحت قيادة أميان مارسلان "Ammien Marcellin"

Martroye (F), p 205.

² محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 51-52.

Schmidt (L), op.cit, p 111.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

إلى سردينيا والأخرى بقيادة بازيلْيوس "Basilius" القائد الأعلى للعملية وجزء من الأسطول سوف يتجه مباشرة إلى قرطاج¹.

واجه الملك جنسريك "Genséric" هذا التهديد الثلاثي بحكمة، وذلك بعدم القيام بتفريق قواته التي بقيت بالمقاطعات البعيدة من أجل الدفاع عن قرطاج، لذلك إستولى مارسلان "Marcellin" بسهولة على سردينيا وهرقل على طرابلس، وقد أظهر بازيلْيوس جرأة في ترتيب أسطوله، ذلك أنه إتجه نحو "CapBon" وحتى قرطاج، ولكنّه لم يستعجل بالهجوم مما ترك للوندال وقتا للتعافي، وعلى إثره ذلك أرسل جنسريك سفراء تحت ذريعة مفاوضات السلام وقد حصل بمقتضاها على هدنة لمدة خمسة أيام²، وفي المقابل اتهم بازيلْيوس بالخيانة وذلك بعد رشوته بالهدايا³.

ومن الواضح أنّ هذه الهدنة إستعملت لتعزيز تدعيم أسطول الوندال بالمزيد من الإستعدادات العسكرية، ذلك أنّ الملك جنسريك قام بعدها بإشعال 75 حريق من أجل الإستعداد للتوجه نحو العدو، وقد دفعت الرياح الحرائق إلى الأسطول البيزنطي وأحرقوا عدة سفن في وضح النهار، فخرج الأسطول الوندالي من الميناء وقاموا بالهجوم وحققوا على إثره إنتصارا ساحقا، وحسب المؤرخ زناريس "Zonores" فقد فر بازيلْيوس في بداية المعركة ومعه بعض قبطانه وبعض ما تبقى من أسطوله، إلا أنه تم حرقه أو القبض عليه أو أغرقه⁴، وتجدر الإشارة إلى أنّ بازيلْيوس إرتكب خطأ وذلك بوضعه أسطوله قرب رأس ماركور الذي يبعد عن قرطاج بحوالي 60 كلم مما سهّل القضاء عليه، كما كان لبطئه في القضاء على قرطاجة أن إتهموه بالخيانة⁵ وهو ما مكن المملكة الوندالية النجاة من هزيمة ساحقة.

كانت لهذه الهزيمة عواقب على المستقبل القريب، ذلك أن هرقل إضطر إلى إخلاء طرابلس وبعدها سردينيا دون صعوبة كبيرة، أما مارسلينوس فقد لقي مصرعه على يد بعض الخونة، وفيما يتعلق ببازيلْيوس فقد عاد إلى القسطنطينية ولجأ إلى كنيسة آيا صوفيا " Saint

Courtois(Ch), op.cit, n^o5, p 173.

Morazzani (A) op.cit, p 555 ; Mercier (E), op.cit, p 149.

Procopé, I, VI, 4.

Mercier (E), op.cit, p 149.

Procopé, I, VI, 4-5.

1

2

3

4

5

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

"Sophia" ما يدل على أنه أدرك بخطئه وأصبح تحت طائلة العقاب وسوف يقضي فترة طويلة من حياته في مدينة هرقلية، وبعد وفاة الإمبراطور ليو الأول عاد للقسطنطينية "Constantinople" إلا أن فعله ظل وصمة عار تلاحقه طوال حياته¹، في حين تمكن الملك جنسريك أخيرا من الإستيلاء على صقلية التي تسببت له الكثير من الفشل ودمر البحر الأيوني (Lomienne) وحطم (Nicopolis) في الإيبير (Epire) سنة 474م وكذلك جزيرة (Zanthe) في 476م ووصل حتى إلى رودس.

كما كان لفشل هذه العمليات العسكرية ضد الوندال في المغرب القديم آثار بعيدة المدى على الإمبراطورية التي وضعت كل إمكانياتها في هذه الحملة، حيث رفعت إنتصارات الملك جنسريك من شأن دولة الوندال وتشجعت العناصر الجرمانية الأخرى على إنزال الضربات بالجانب الغربي من الإمبراطورية، كما أثرت أيضا على جانب الإمبراطورية البيزنطية خاصة على خزينتها بفعل تمويل هذه الحملة بأموال طائلة لدرجة أن إحتياطي الخزينة قد نفذ وظلت تعاني العجز لمدة 30 عاما².

وبهذا أعتبر الأسطول الوندالي على المدى الطويل منذ قضية أليكانتي "Alicante" أسطولا هائلا أسقط سمعة الأسطول الروماني-البيزنطي الذي لا يقهر مطلقا، مما تسبب في ظهور فوضى بين الإمبراطوريتين³، فقد تم القضاء على آخر الأباطرة رمولوس أوغستول "Romulus Augustulus" عليه من أودواكر ملك "Hirules" سنة 476م⁴.

إضطر كل من الإمبراطور الشرقي زينون "Zéno" (474-491م) وأودواكر "Odoacre" إلى التوقيع على معاهدات السلام الدائم مع الملك جنسريك⁵، إلا أن أودواكر أراد أن ينتزع صقلية من الملك جنسريك مما دفعه إلى نقل صقلية للبيزنطيين من أجل الإعتراف بهذا الغزو من طرف الإمبراطور زينون وقد ألزم هذا الأخير بالركوع ليوافق على ذلك، كما

¹ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 55-56.

² محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 56.

³ Procope, I, VI, 4-5.

⁴ Marozzani (A), op.cit, p 555.

⁵ Mercier (E), op.cit, p 150.

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

يعترف أيضا بالسيادة الشرعية للملك الوندالي على ممتلكاته في بلاد المغرب القديم والبحر المتوسط بكل من جزيرة البليار وكورسيكا وسردينيا، وفي المقابل يدعى أن ينظم إلى زينون كقائد بلا منازع للإمبراطورية الرومانية بأكملها، وبهذا يتعامل جنسريك مع نظيره أودواكر ويعطيه صقيلية بشرط أن تكون الجزر الأخرى تابعة له بشكل دائم¹، وكان ذلك بموجب توقيع معاهدة سنة 474م².

ويبدو أن الإمبراطور زينون في سنة 476م يختتم مع قرطاجة معاهدة السلام الدائم التي تلتزم فيها بعدم نهب الجهات اليونانية كما إعترف بممتلكات الملك جنسريك بالجهة الغربية، وقد مثل السلام مع بيزنطا السياسة الخارجية الوندالية.

وبالتالي فقد عاش الملك جنسريك ما يكفي ليشهد السقوط النهائي للإمبراطورية الرومانية، وكانت لفرص إمبراطورية الشرق وشخصيته القوية باستغلاله لتفكك المبنى الإمبراطوري أن أسس دولة ذات سيادة وجعل من قرطاج قوة عظمى في البحر المتوسط، ولكن هذه القوة كانت سريعة الزوال، حيث إنهارت عقب وفاة الملك جنسريك "Genséric" سنة 477م³، وقد تبعها فترة من الجمود.

وفي صفوة القول عن هذا الفصل، فإنه من الصعب أن نحكم على الوندال بمصطلح الوحشية والدمار ما دام أن أعدائهم هم الذين كتبوا عنهم، أمثال فيكتور دي فيتا "Victor de Vita" وبروكوب "Procopé"، ومن الطبيعي أن يكونوا متعصبين لكل ماحققه الوندال من إنتصارات وتوسعات ضد الإمبراطورية الرومانية، ذلك أنهم كانوا أكثر إطلاعا في الأمور السياسية من أتिला "Attila" وألاريك "Alaric" كما أنهم إستولوا على قبائل لم تغلب من قبل وأقاموا مملكة واسعة على حساب الإمبراطورية الرومانية وأصبحوا مهايين في حوض البحر المتوسط إلا أنهم كانوا محافظين على النظم الإدارية الرومانية ومؤسّساتها.

Marozzani (A), op.cit, p 556.

Courtois (Ch), op.cit, p 174.

Hadi (S), et autres, op.cit, p 369-370. ; Simond de Sismondi (J.C.L), op.cit, p 325.

1

2

3

الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

كانت للظروف الداخلية والخارجية المتدهورة للإمبراطورية الرومانية محل إستغلال من طرف الملك الوندالي جنسريك "Genséric" من أجل إرساء دعائم مملكته ببلاد المغرب القديم، مما إضطر بالإمبراطورية إلى عقد العديد من المعاهدات أمام تعاظم القوة الوندالية ما يدل على الإعتراف الرسمي للسيطرة الوندالية على جزء كبير من المنطقة.

وبالرغم من معارضة الإمبراطورية الغربية الرومانية والشرقية البيزنطية للإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم إلا أن الخبرة السياسية والعسكرية التي يتمتع بها جنسريك وكذلك وقوف سكان المور إلى جانبه مكنه من صدهما والسيطرة على المنطقة لأزيد من قرن حكم فيه عدة ملوك كان أبرزهم الملك جنسريك الذي ترك آثار سياسية، إقتصادية واجتماعية على المنطقة.

وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن النظم الإدارية والسياسية التي إعتد عليها الوندال، وعن الأوضاع الإقتصادية التي آلت إليها المنطقة، وكذلك عن مدى تفاعل المجتمع الموري في الحياة اليومية الإجتماعية والدينية طيلة فترة حكمهم لبلاد المغرب القديم.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم

أولا-التنظيم الإداري الوندالي لبلاد المغرب القديم

- 1- نظام الحكم
- 2-مجلس الأعيان
- 3-النظام البلدي
- 4-تنظيم المقاطعات

ثانيا-النشاط الإقتصادي في العهد الوندالي

- 1-الزراعة
 - 2-الصناعة
 - 3-التجارة
- أ-التجارة الداخلية
- ب-التجارة الخارجية

ثالثا-الأوضاع الإجتماعية والدينية خلال العهد الوندالي

- 1-الأوضاع الإجتماعية
- أ-طبقات المجتمع
- ب- الحياة اليومية
- ج- الحياة الثقافية والفكرية
- 2-الأوضاع الدينية
- أ-في عهد الملك جنسريك (428-477م)
- ب-في عهد الملك هونريك (477-484)
- ج- في عهد خلفاء هونريك (484-533م).

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

إتخذ التواصل عبر ضفتي المتوسط أشكالاً تاريخية متعددة، منها ما هو إقتصادي تجاري، ومنها ما هو سياسي وعسكري، ومنها ما هو إنساني ثقافي، والباحث في تاريخ علاقة الغرب بالشرق والشرق بالغرب للبحر المتوسط تطالعه محطات عديدة من الصراع المسلح بين الطرفين، أكثر من محطات التفاعل الحضاري الخلاق والمثمر بينهما، الأمر الذي حدد نظرة كل منهما للآخر متأثراً بتاريخ النزاع والصراع أكثر من تأثره بلحظات التفاعل والحوار الحضاري المتبادل فيما بينهما، وهذا ما نلتمسه في طبيعة الحكم الوندالي لبلاد المغرب القديم الذي يعتبر جدلاً قائماً بين المؤرخين حول ما إذا كان هذا الحكم عبارة عن إستمرارية للنظم الإقتصادية والإدارية التي إرتبطت قاعدتها لحضارات تعود أصولها على الأقل للحضارة الرومانية، أم أن الوندال كانوا بعيدين عن سياسة التبعية وحاولوا تأسيس كيان خاص بهم، عرف تغيرات في مختلف الجوانب الإدارية والاقتصادية في ظل أنظمة الحكم والقوانين المتبعة، وكذلك في الجوانب الدينية والاجتماعية التي أبرزت تشكل أهم الفئات الإجتماعية وتفاعلها مع الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم.

أولاً-التنظيم الإداري الوندالي لبلاد المغرب القديم:

بمجرد إستيلاء الوندال على قرطاجة سنة 439م إنتقلوا من مرحلة الإرتباط القبلي إلى مرحلة بروز كيان سياسي منظم¹، وقد وظف الوندال هذه السنة كنقطة إنطلاق للتقويم الزمني الرسمي مع سنوات حكم الملك جنسريك "Genséric"²، ما يدل على أن بداية التأريخ للحكم خلال الفترة الوندالية سوف يكون مختلفاً عما كان عليه في الفترة الرومانية، وهذا ما دل عليه نقش أكتشف بالجميلة "Djemila" مؤرخ ب 23 سنة من حكم قرطاج، إلى جانب إكتشاف نقش (Ostraka) في قطعة من الفخار ببير تيروش (Bir Trouche) بالقرب من جنوب خنشلة فركان (Ferkane) في السنة الثانية والثامنة والتاسعة من حكم غوانثاموند "Gunthamund"، ما جعل المؤرخ بول فيفري "Paul Albert Fevrier"³ يقر بأن هذان النقشان أعادا مشكلة التأريخ لسنوات قرطاج، حيث أن هذه النقوش كانت

1 Vitalien (L), "Chr. Courtois, les Vandales et l'Afrique" in :revue des études Byzantines, T17, 1959, p 287.

2 Lancel(S), op.cit, p 1202 ; Gsell (S), L'Algérie dans l'Antiquité 126.

3 Février (P.A), "Inscriptions de basse époque récemment découvertes et chronologie vandale", in :B.S. N. A. F,1967, p 94.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

تحمل إما صيغة Anno...Karthaginis أو بإختصار Anno، وهي موجودة في نفس الفترة مع سنوات حكم الوندال، وبدون شك على الأقل منذ نهاية حكم الملك جنسريك "Genséric" الذي ورد في نقش سبيطلة "Sbeitla".

ومن خلال هذه النقوش خاصة نقش "Ostraka" يتضح حسب ما أشار إليه بول فيفري "Paul Albert Fevrier"¹ أنّ توظيف السنة خلال حكم الوندال كنقطة إنطلاق للحساب الرسمي لحكم الملك جنسريك كان إبتداءً من سنة الإستيلاء على قرطاج عام 439م، كم كان لإستخدام القنصلية يؤرخ على طول التاريخ إلى الفتح الوندالي وفي نوميديا راجع إلى الإمبراطورية من 442 إلى 455م، بالإضافة إلى إستخدام سنة الحكم من طرف الأباطرة البيزنطيين بعد 537م، ولكن يبقى أن نعرف كيف تم تأريخ نهاية المملكة الوندالية سنة 533م، وكذلك سنة 537 لجوستينيان "Justinien".

1- نظام الحكم:

من خلال النقوش التي أشرنا إليها يتضح أن إسم الملك دون في عهد الملك جنسريك وأصبح من الضروري إستخدام هذا الإسم لاحقاً، وهذا ما مكن الوندال إعتبار أنفسهم الأسياد الوحيدين في منطقة بلاد المغرب القديم²، فلم يقبلوا مثل ملوك البربر الآخرين بعض الألقاب الفخرية التي يمكن أن تكون لها ما يجعلهم يتفكرون في المسؤولين الإمبرياليين.

ويبدو أن الملك جنسريك أراد إعادة تجميع قبائله على قاعدة الأراضي المقيدة من أجل تقديمها إلى سلطتها المطلقة، حيث دمر الهياكل القبلية لشعبه وخلق الملكية وأصبح الملك المطلق ووريث القوى القديمة للإمبراطورية بعد أن كان يمثل قائد حرب³، وبالتالي يعتبر ملك الوندال إمبراطور في مملكته يتعامل على قدم المساواة مع رافينا (Ravenne) والقسطنطينية (Constantinople).

كان نظام الحكم الوندالي ملكياً وراثياً شأنه في ذلك شأن الشعوب الجرمانية الأخرى وهذه الملكية محصورة في بيت معين ذو أصول مقدسة؛ حيث إحصرت في بيت

Fevrier (P.A), op, cit, p 94-95.

Gsell (S), op.cit, p 126.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 357.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

الأسديين "Asdingi"، وهو البيت الذي إنحدر من جنسريك وخلفاؤه¹، ولكن الملك جنسريك أدخل تعديلات على نظام الوراثة ببلاد المغرب القديم، حيث أنه جعل المملكة تعود إلى الأكبر سنا من السلالة الوندالية من دون إشتراط الإنحدار المباشر من الملك السابق²، ما أدى برجال العائلة الملكية إلى الوقوع في صراعات من أجل العرش الملكي نتج عنها عدة إغتيالات³، وهذا ما يوضحه لنا هذا العرض الكرونولوجي لملوك الوندال:

أ- الملك جنسريك "Genséric" (429-477م):

هو ابن جود جيزل "God Gisel" أخ لجونثريك "Guntheric"، وتخيرنا مؤلفات جوردانس "Jordanes"، بروكوب "Procope" ومالخوس البيزنطي "Malchus le Byzantin" أنه ولد في حوالي 390م، وتوفي بعد 37 عاما من حكم عهد قرطاج أي في 24 يناير 477م⁴، ولضمان خلافة أبنائه قام باغتيال أبناء أخيه جونثريك "Guntheric"⁵، ذلك أن العادات الملكية الجرمانية تفرض على الملك أن يكون منحدرا من أسرة ملكية وعريقة.

ب- الملك هونريك "Huniric" (477-484م):

يعتبر أكبر أبناء الملك جنسريك "Genséric"، وقد تزوج من أميرة القوط الغربيين ثيودميلا "Théodeilde" والتي قطع لها الأنف والأذن فعادت إلى مملكة أبيها، وتزوج للمرة الثانية مع إدوكسيا "Edocie" التي بدورها هربت إلى القسطنطينية سنة 472م بذريعة كرهها للديانة الأريوسية⁶، وبالكاد وصل إلى العرش إثر الصعوبات التي نشأت بينه وبين المحكمة البيزنطية⁷.

وعلى الرغم من أن فترة حكمه لم تدم طويلا إلا أنه تميز بالدهاء السياسي⁸، حيث أنه لم يقم بأي محاولة للتوسع أو الغزو⁹، ولكن كان الملك القاسي على المسيحيين

¹ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 126.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 250.

³ Courtois (Ch), op.cit, p 260.

⁴ Simonde de Sismondi (J.C.L) , op.cit, p 325.

⁵ Bourgeois (A), op.cit, p 225 ; Gautier (E.F), op.cit, p 110.

⁶ Schmidt (L), op.cit, p 123 ; Gourdin (H), op.cit, p 254.

⁷ Mercier (E), op.cit, p 151.

⁸ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 65.

⁹ Courtois (Ch), op.cit, p 264.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

الكاثوليك نتيجة لتمردهم عليه¹، كما أنه عامل أبناء جلدته بنفس معاملته للكاثوليك، ذلك أنهم كانوا عقبة في طريق إبنه لوراثة العرش.

وخوفا من المنافسة قام الملك هونريك "Huniric" بتعديل آثار البند الذي وضعه والده حول القاعدة العامة لخلافة العرش الوندالي، ذلك أن الحكم سوف يعود للأكبر سنا في الأسرة الملكية، وبالتالي قام الملك هونريك بالتقليل من عدد أفراد الأسرة، المرأة، الإبن وال بكر، وقام بقطع رأس شقيقه ثيودريك "Théodoric" المتهم بجريمة وهمية منه، وبعدها قام بتسليم إبن آخر وابنتي ثيودريك للوحوش، كما قام بنفي أخيه الآخر وأحد أبناء أخيه².

وبينما كانت موجة الإضطهاد توفي هونريك وقد يكون الطاعون هو الذي كان سبب وفاته يوم 12 ديسمبر 484م³.

ج- غونثاموند "Gunthamund" (484-496م):

هو ابن جنزون "Genzon"، خلف عمه هونريك بموجب القواعد المنصوص عليها من طرف الملك جنسريك⁴، وفي عهده أرجع المنفيين خلال عهد جنسريك، كما حاول التوغل في صقيلية⁵، وتميّزت فترته ببداية إنتشار الثورات المورية ضد الوندال.

د- الملك ترازموند "Trasamund" (496-523م):

تولى عرش المملكة الوندالية بعد وفاة شقيقه غوانثاموند سنة 496م⁶، وقد تزوج من أمالا فريدا "Amalfrid" شقيقة ثيودريك "Théodoric"⁷، وتميز عهده بالسلم وشدد على الروابط بين القوط الشرقيين وعلاقاتهم الجيدة.

¹ إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 131.

Mercier (E), op.cit, p 152.

³ شارل أندري جوليان، ص 340-344.

Mercier (E), op.cit, p 152.

⁵ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 65.

Mercier (E), op. cit, p 153.

⁷ إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 131.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

هـ-الملك هلدريك " Hildéric " (523-531م):

بعد وفاة ترازموند "Trasamund" سنة 523م تولى العرش الوندالي هلدريك ابن هونريك "Huniric" من زوجته الرومانية إدوكسيا "Edocie"، ما يدل على أنه عاش في بلاط القسطنطينية¹ وأنه تأثر بالحضارة الرومانية، ما جعله ينحاز إلى الديانة الكاثوليكية التي تدين بها والدته.

حاولت أمالا فريدا أرملة الملك ترازموند وعدوة الملك هلدريك إثارة تمرد ضده بدعم القوط الذين كانوا في المحكمة، ولكنها إعتقلت أثناء التفتيش مع أتباعها ولجأت عند المور، إلا أنها ألقيت في السجن²، وهذا ما كان محل تعرض الملك هلدريك للتهديدات من طرف ابن أخيه جليمر³، مما دفعه للإستجداد بإمبراطور الشرق جوستتيان "Justinien".

و-الملك جليمر "Gulimer" (531-534م):

إعتبر شميدت "Ludwig Schmidt"⁴ جليمر من المحاربين البواسل ولكنه كان أيضا حريص على السلطة وماكر، حيث أقنع الوندال النبلاء تسليمه التاج واتهم عمه هلدريك بالتواطؤ مع الإمبراطور البيزنطي جوستتيان ورغبته في جعل دولة الوندال ولاية تابعة للإمبراطورية البيزنطية بعدما توطدت العلاقة بينه وبين جوستتيان، وقد تجسد ذلك عندما أرسل الملك هلدريك سفارة إلى القسطنطينية تعرض على الإمبراطور البيزنطي جوستتيان هذه الفكرة⁵.

وبعد هذه المؤامرة التي دبرها جليمر "Gulimer" لعمه في عام 531م تم القبض عليه وبعض القادة الونداليين الموالين له من طرف الجنود، ما أدى إلى خلعهم عن العرش وألقي بهم في السجن وقتل أتباعه⁶، في حين تولى جليمر عرش المملكة الوندالية (531-534م)، ولما سمع الإمبراطور البيزنطي جوستتيان بما حل بهلدريك الذي تجري في

¹ إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 131.

Mercier (E), op.cit, p 153.

Gourdin(L), op.cit, p 255.

Schmidt(L), op.cit, p 147.

⁵ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، 64-65.

⁶ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 66.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

عروقه دماء ثيودسيوس "Théodose" العظيم راسل الملك الوندالي جليمر من أجل إطلاق سراحه، إلا أن الطلب قوبل بالرفض من طرف الملك¹، وهذا مادفع بالإمبراطور جوستينيان إلى إرسال حملة بقيادة بليزاريوس "Belisarius" سنة 533م. ويتضح أنّ هؤلاء الملوك قد توسعت سلطتهم وأصبحت ليس لها حدود رغم وجود مجلس الأعيان.

2- مجلس الأعيان:

أشار بروكوب "Procopé"² إلى أنّ هذا المجلس يتكون من عدد غير محدود من رجال الدين الذين تتوفر فيهم عدة شروط أهمها كبر السن والحكمة والمكانة الإجتماعية البارزة داخل القبيلة وكان يستدعيه الملك للإستشارة كلما إقتضت الضرورة، كما يعرف أيضا بمجلس العقلاء³.

يفهم من بروكوب أنّ الملك هو الفاصل في كل القضايا، كونه من يباشر في تعيين الموظفين وتنصيب رجال الكنائس وأعضاء المجلس الإستشاري كما يعين سائر الولاة⁴، بالإضافة إلى أنّه كان يصك العملة وهو من يقوم برفع الضرائب ويهتم أيضا بأمور العدل ويقود القوات العسكرية، ورغم هذه السيادة التي يتمتع بها الملك الوندالي إلا أنّ الإمبراطورية والمرومين ببلاد المغرب القديم لم يعترفوا بها⁵، ففي نضرهم أنّ الملك الوندالي يمثل زعيما فدراليا.

ويبدو أن الإدارة الوندالية ببلاد المغرب القديم عاشت بإطاراتها و تسلسلها الهرمي⁶، فلم يجلب الوندال مؤسسات جديدة ذلك أنّهم ورثوا الإدارة الرومانية القديمة، فقد كانت الشؤون الإدارية يسيرها التنفيذيون الرومان على نطاق واسع⁷، حيث نجد حاكما على قرطاجه يلقب نائب قنصل "Proconsul" وكذلك حاكم الإقليم في حكومة الوندال

¹ إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 132.

Procopé, I, VII, 2-6.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 250-251.

³ محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 131.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 356.

⁴ Wahl(M), L'Algérie, 4^{ème}éd, Félix Alcané, Paris, 1903, p 80.

⁵ Bourgeois (C), op.cit, p 225.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

بلقب "Primarius Provinciae"، وهناك رئيس الديوان الملكي "Praepositus sacri Cubiculi"¹، إلا أن الإختصاصات لهؤلاء الموظفين التفصيلية تبقى غير واضحة في الفترة الوندالية. على الرغم من أنّ الوندال حاولوا أن يحدثوا نظاما إداريا جديدا إلا أنّهم لم ينجحوا في ذلك، فقد تقطنوا أنه من الأنسب أن يحتفظوا بالنظام الروماني القديم² مع إضافة إستثناءات نادرة جدا للعنصر الجرمانى والأريوسى في التنظيم الإدارى الوندالى وذلك باعتماد الملك جنسريك على الموظفين الرومان أصحاب الخبرة الطويلة في الحكم والإدارة.

ولكن السلطة العليا كانت ملكية الملك وتحيط بها محكمة بقرطاج تتمتع بالولاء الشخصي، وذلك بحكم أنّ الملك هو وريث ملكية الإمبراطورية والشخصية الأغنى في المملكة بإمكانه شراء الولاء وترويض نبل المحكمة خاصة أنّ القضاة كانوا يحكمون بإسم ملك الوندال وتحت رقابة موظف ملكي سام ينظر في القضايا الأكثر خطورة ويقيم في قرطاج، حيث نجد المحاكم بقيادة الألف "Taihum Bundafath" وأخرى تحت رئاسة قادة المائة "Bundafath" وكذلك محاكم تحت قيادة العشر "Taihunfath"³، كما عمل كبار النبلاء وجميع الموظفين كل في إختصاصه في إطار الطاعة والخضوع دون أدنى أي معارضة أو إحتجاج مهما كانت أوامر الملك.

وبالتالى فإن موضوع الإستمرارية للإمبراطورية الرومانية يبرز عجز المملكة الوندالية عن تأسيس نظام إدارى خارج النظام الروماني⁴، ويتضح ذلك في علاقة الملك هلدريك ابن الملك هونريك وإدوكسيا ابنة الإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinianus III"، أو من طرف أمه بلاسيديا "Gale Placidia" وفالنتينيان الثالث الذي كان حفيد ثيودوس العظيم "Théodose" ابن شقيق هونوريوس "Honorius".

3- النظام البلدى:

¹ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 128-129.

² محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 130.

³ Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 356-357.

⁴ Wolff (E), " être Romain à Carthage sous la domination vandale ", in :VL, n°163,2001, p 4.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

يبدو أن الوندال أخذوا نظامهم الحكومي وفقا لهيكل البلدية منذ وقت مبكر عن الرومان الذين إعتمدوا على عدد من المؤسسات البلدية التي ظلّت قوية حتى القرن الرابع الميلادي والتي تمثل الهيكل الإداري والاجتماعي والسياسي الأساسي لهم ببلاد المغرب القديم¹، وقد أشار محمد الهادي حارش² أن لمجالس المشيخة "Curies" في العهد الروماني ثلاث إختصاصات، وهي:

-الإدارة الداخلية والمحلية للمدينة، وهم بمثابة رؤساء القبائل الحالي.

-القضاء الإداري، وهو يعوض كاتب العدل و قضاة المصلحة.

-قضاة المنازعات.

وبالتالي فقد حافظت المقاطعات ببلاد المغرب القديم خلال العهد الوندالي على نظامها البلدي وقوانينهم المدنية³، كما أنّ حكام البلديات لم يفقدوا صلاحياتهم بل ربما كانت أوسع خاصة في مجال المنازعات لدرجة أننا نجدهم يتدخلون في كل القضايا المدنية والجنائية ما عدا بعض القضايا الخطيرة التي تستدعي تدخل القاضي السامي الذي وضعه الملك جنسريك "Genséric" في قرطاج⁴، إلا أنّ هناك تراجع مستمر في النظام البلدي نظرا لانعدام الأمن المتزايد.

ويتضح أنّ المدن خلال الفترة الوندالية ببلاد المغرب القديم كانت قد تخلّصت من نظام الجباية والإدارة الرومانية وبدأ وضعها يتحسن واستقلالها يزداد مع إتساع دائرة نشاطها⁵، وذلك من خلال تعيين وكلاء عليها مهمتهم المحافظة على الأمن وضمان تبعية السكان لهم وتجنب ثورات المور ضدهم.

4-تنظيم المقاطعات:

¹ Modèran (Y), "La chronologie de la Vie de saint Fulgence de Ruspe et ses incidences sur l'histoire de l'Afrique vandale", in: M.E.F.R, T105, n^o1, 1993, pp 175,181.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 251.

Gsell (S), op.cit, p 127.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 252.

⁴ نفسه.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

سميت الأراضي التي تمت مصادرتها من طرف الملك جنسريك سواء ما تعلق منها بأمالك الأهالي أو ضياع الملاك الرومان بما فيها من أثاثهم وعبيدهم¹ حسب ما أورده فيكتور دي فيتا "Victor de Vita"² بالضياع الوندالية "Sorts Wondalorum"، والتي تعد من أخصب الأراضي وأوسعها، وتجدر الإشارة إلى أنّ عملية المصادرة الوندالية لهذه الأراضي لم تقتصر فقط على ثلث الأملاك (3/1) التي نص عليها أحد قوانين هونوريوس "Honorius"، وإنما كانت عملية شاملة على الأقل في مقاطعة البروقنصلية³، مما يفترض أنها مست أغلبية الملاكين بهذه المقاطعة.

ويبدو أن الملك جنسريك أكمل عملية مصادرة الأراضي وتوزيعها بعد سيطرته على قرطاجة مباشرة سنة 439م، كما إستمر في سياسة مصادرته للأراضي في كل من طرابلس وموريطانيا عقب وفاة الإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinianus III"⁴، ناقضا بذلك معاهدة 442م التي نصت على أن هذه الأراضي تكون تابعة للإمبراطورية الرومانية الغربية، وبهذا قسم مملكته إلى خمسة مقاطعات حسب ما أشار إليه محمد الهادي حارش⁵، تمثلت في:

-المزاق (Byzacène) .

-نوميديا (Numidie) .

-أبارتينا (Abaritane)، وهو إقليم يقع على الجزء العلوي من (Begrade) وشرق تبسة (Tebessa) .

-الجيتول (Gétule)، بما في ذلك الجريد والمناطق الجنوبية.

-زغوان (Zengitane) .

ولكن نجد أن المؤرخ مرسيي "Ernest Mercier"⁶ قام بدوره بتصنيف الأراضي التي إستولى عليها الملك جنسريك إلى ثلاثة أصناف، تمثلت في:

Lot (F), La Fin du monde antique et le début du Moyen Age, Paris, 1927, p 290. 1

Victor de Vita, I, 14. 2

Schmidt (L), op. cit, pp 91,93. 3

عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 129. 4

محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي، المرجع السابق، ص 251. 5

Mercier (E), op.cit, p 147. 6

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

-أراضي تتكون من ممتلكات العائلات النبيلة والغنية، وكان ينسبها الملك جنسريك "Genséric" لنفسه ولإبنيه هونريك "Hunèric" وجونسون "Gènsou" وكانت معفية من الضرائب، وتتمثل في أراضي ولاية بيزاكيينا، أبرتينا، جيتوليا، وكذلك جزء من نوميديا، هي الأراضي التي تكوّن الدومين "Dominicum" وتشمل تقريبا كل الولايتين الكبيرتين لنوميديا والمزاق وبعض أجزاء القنصلية (Zeugitane) التي تمثل أغنى الولايات على الرغم من صغرهما كما أن قرطاجة تقع في وسطها¹.

-أراضي من المزاق وزغوان نسبها إلى أتباعه والجنود الذين فرض عليهم واجب خدمة الجيش وإعفائهم من جميع الضرائب².

-الأراضي الأقل خصوبة، وهي التي تركت للأهالي وأثقلت كاهلهم بالضرائب³، إلا أن الملك جنسريك سمح لهؤلاء باسترداد أراضيهم مقابل دفع أثمانها⁴، ما يعني أنهم يشترونها مرة ثانية، إلا أن الجزء الأكبر من أراضيهم قسم بين الوندال خاصة الخصبة منها.

وفيما يتعلق بنظام هذه الممتلكات، فإنها لم يلحقها إلا تغيير بسيط، بحيث أن الضيعات تحولت إلى عائلات الوندال الذين كانوا يتسلمون من المهاجرين الضرائب، وكانت الملكية جماعية، ذلك أنّ الأرض ملك لجماعة الألف "Millèna" الذين كانوا تحت حكم قائد الألف، والتي بإمكانها أن تشغل حوالي 200 جندي⁵.

ويتضح أن حالة المزرعة لا يزال يحكمها القانون القديم العروفة بقوانين مانكيانا "Mancienne"، التي هي ميثاق حقيقي لحيازة الأراضي في بلاد المغرب الروماني والتي جسدتها خلال الفترة الوندالية ألواح ألبرتيني "Tablettes Albertini" * التي تمثل بدورها وثائق قانونية تثبت أن الحوزة الريفية يمارس عليها المزارعون حق الملكية الفعالة.

¹ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 129-130.

² نفسه.

³ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 27.

⁴ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 130.

⁵ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 28.

* تتكون ألواح ألبرتيني من 45 لوحا خشبيا، تحمل 34 وثيقة وتتضمن عقود بيع العبيد، عقود بيع أموال البضائع، ونجد أثارها على بعد مائة كلم في جنوب تبسة و 6 كلم غرب قفصة، قد قدمت لنا في أجزائها مؤشرات متنوعة حول العملة، الزمن، الأسماء، الجغرافيا، الزراعة، النباتات، الحيوانات وغيرها، وتعتبر هذه الألواح بمثابة التحفة المصنوعة

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ويبدو أن هذه الأراضي قلما يشرف عليها الملاك الجدد الذين إنصرفوا إلى شؤون البلاط أو الجيش¹، فقد كان يشرف على هذه الأراضي ويتم إدارتها من طرف الحراس والمزارعين مثلما كان في عهد الإمبراطورية الرومانية، ويتم فرض الضرائب على هؤلاء المزارعين²، مما أدى لانتشار عمليات السلب والنهب.

ويتضح أن أقلية الأثرياء من نفوذ الطبقة الأرستقراطية الرومانية قد عانت أكثر من غيرهم من الإحتلال الوندالي وذلك بانحدار البعض إلى مستوى العبودية وفضل البعض الآخر مغادرة البلاد إما نحو الأراضي الغربية التي لاتزال رومانية أو إلى إيطاليا وصقلية وحتى نحو الشرق أيضا، وتجدر الإشارة إلى أنه في ظل خلفاء الملك جنسريك هناك من تمكن بالعودة لأراضيه مثلما حدث مع عائلة القديس سانت فولجانس "Saint Fulgence" من روسب (Rospe) التي قامت باسترداد جزء من أراضيها في المزاق (Byzacène) خلال عهد الملك هونريك "Huniric"³.

من طرف الحرفيين، وقد تم إكتشافها في النصف الأول من عام 1928م من طرف السكان المحليين الذين وجدوا أنفورات "Amphores" دفنت من الفم للأسفل والتي كانت بداخلها الألواح، وهؤلاء الأهالي أخبروا بدورهم رئيس بلدية "Morsot" بتبسة السيد "Truillot" الذي تأكد منها من خلال تسليمه خمس شظايا من ألواح خشبية، مما دفعه لأن يضغط على السكان بجلب كل ما يتعلق من هذا الإكتشاف، ونبه مدير الآثار الجزائرية أوجين ألبرتيني "Albertini (E)" بدوره على ذلك، وقد قدم ألبرتيني على أساس أن هذه الألواح عبارة عن عقود البيع مكتوبة باللغة اللاتينية عن طريق القصب الذي لا يزال يستعمل بين السكان الأصليين، وكذلك إستخدام الحبر فيها وهو الذي يتم استخراجها من الصوف المحروق والخروب المجفف، وبالتالي الكتابة باللغة اللاتينية على خشب الأرز المستورد من الأوراس "Aurès"، وقد أكد ألبرتيني أن هذه اللغة صعبة جدا لفك رموزها، وقد أخذت هذه الألواح شكل المستطيل تصل أطولها إلى 260ملم وأكبرها في العرض 104ملم والسماك يتراوح ما بين 2 و9ملم. للمزيد أنظر:

-Mallon(J), Christian (C), Leschi (L), Parrat (Ch), Saumagne, " Tablettes Albertini , Actes Privé de L'époque vandale ", in : Ant. Clas, T 22, 1953 , p 228-233 .

-Albertini (E), " Documents d'époque vandale découverts en Algérie ", in : C. R. A.I, 72^{eme} Année, n^o3,1928, p 301-303.

-Carcopino (J) ; Courtois (Ch), Leschi (L), Mancini (J.P), Perrat (CH), Saumagne (Ch), " Tablettes Albertini, textes privés de l'époque vandale (Fin du V^e Siècle) ", in : J.S, 1952, p145-169.

¹ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 28.

Gsell (S), op.cit, p 128.

Mercier (E), op.cit, p 360-361.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ثانيا-النشاط الإقتصادي في العهد الوندالي:

يعتبر الجانب الإقتصادي في بلاد المغرب القديم من أهم العوامل التي جذبت الوندال للنزول والاستقرار في هذه المنطقة التي كانت تحت سيطرة الرومان الذين مارسوا فيها إقتصادا إنتاجيا إستغلاليا واستحوذوا على ثرواته لعدة قرون، وهذا ما يدفعنا للتساؤل ما إذا كان قرن إحتلال الوندال لهذه المنطقة يمثل قرن لازدهار إقتصادها أم أنه قرن لانحداره.

1-الزراعة:

يبدو أنّ الممتلكات لم يلحقها إلاّ تغيير طفيف إذا إستثنينا إقليم المزاق ومنطقة زغوان، فعلى الرغم من تحول الضيعات إلى عائلات وندالية، فقد كانت هذه العائلات تكتفي بإستلام ضرائب المحاصيل التي كانت بالكثرة، بحيث تمكنها من حياة البذخ وقلما أشرف الملاك الجدد على الأراضي التي عادت لهم¹ ذلك أنهم إنصرفوا إلى شؤون الجيش والحكم، وبالتالي إستمرت زراعة الأراضي تستغل في نفس الظروف ومن طرف نفس المزارعين، كما أنّ عملية البيع والشراء لا تزال على نفس الظروف القانونية² التي كانت سارية المفعول منذ أواخر العهد الروماني.

تبرز لنا ألواح ألبرتيني "Tablettes Albertini" التي تم إكتشافها بجنوب نوميديا في ضواحي تبسة الحالية³، والتي وردت بعنوان: "Expositio Totius Mundi et Gentium" أنّه ساد نوع من الرخاء والانتعاش الإقتصادي، فقد أشار أوجين ألبرتيني "Eugène Albertini"⁴ أنّ: «الشمال الإفريقي يعيش حياة زاخرة بشتى أنواع الثروات، وتتوافر فيه كل الخيرات الإلهية»، كما ذكر فيكتور دي فيتا "Victor de Vita"⁵ أنّ: «الوندال وجدوا في الشمال الإفريقي السلام والهدوء، وكانت خيرات البلاد وجمال رونقها أن جلبت أنظارهم فانبهروا بها»، كما لاحظ بروكوب⁶ "Procopé" أنّ هذه المنطقة قد نعمت باكتفاء ذاتي، وأرجع

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 257.

Gautier (E.F), op.cit, p 203-205.

Bourgeois (C), op.cit, p 226.

Albertini (E), " Actes de vente du V^e siècle trouvés dans la région de Tébessa ", in :

J. S, Janvier,1930, p 30.

Victor de Vita, I.3.

Procopé, I

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ذلك إلى مواردها الزراعية الهائلة والمتنوعة، في حين أن كوريب "Corippe"¹ أقرّ على أن الرخاء الذي ساد المنطقة إستمر عقب وصول البيزنطيين إليها.

وقد ورد في في سيرة القديس سانت فولجانس "Saint Fulgence"² نصان يشيران إلى غزارة الغلال والأشجار، فالأول يتعلق بإقليم الكاف (Sicca)، أما النص الثاني فيخص الإقليم الساحلي للمزاق (Byzacène)، كما أن القديس سانت أوغستين "Saint Augustin"³ ذكر في إعتراقاته أن والده كان مواطنا متواضعا يسكن في إقليم تاغست "Thagost"، وأنه كان يقوم بزراعة أشجار الكروم في أراضي الواقعة بالقرب من هذه المدينة، مما يدل أن الضواحي التي كانت تحيط بالمدن آنذاك كانت تابعة لساكني المدينة الذين يقومون بزراعتها.

وعموما، ظلت بلاد المغرب القديم خلال الفترة الوندالية بلدا زراعيا، ذلك أن إنتاج الحبوب من القمح والشعير كان كافيا للسكان إلى جانب أشجار الزيتون والأشجار المثمرة كالعنب والتين واللوز، وما يدل على هذا هو إستمرار المشهد الريفي الذي لا يزال مصدر الثروة الرئيسي وثقافة الشجيرات والأرض المروية بانتظام⁴، فيذكر فكتور دي فيتا "Victor de Vita"⁵ المحراث الذي تجره ثيران على نفس الخطوط التي خطها الرومان، كما أن الغلال كانت تغطي أوتيكا "Utique" ومرتفعات نوميديا التي سيطرت عليها روما، كما يذكر بروكوب "Procope"⁶ أن إقليم تيمقاد "Thamugadi" كان من أخصب الأقاليم المزروعة قمحا، فقد كان القمح والشعير يزرع في جزء كبير في أودية الأوراس خاصة إقليم باديس "Badis"، وقد أيده في الرأي كوريبوس "Corippus"⁷ الذي لاحظ بدوره أن هذه المناطق تنتج محصولين في العام الواحد، واستنادا أيضا إلى ألواح ألبيرتيني، فقد قام الوندال بزراعة القمح والشعير في جنوب المزاق (Byzacène) إلى جانب أشجار الزيتون.

Corippe, VI, chant III.

1

Vita Fulgentii, VI, X, éd, G-G.Lapyre, pp 35,59.d'après :

2

فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص31.

Augustin (St), Con, II, III,5, IV,9.

3

Bourgeois (C), op.cit, p 226.

4

Victor de Vita, III, 1.

5

Procope, I,

6

Corippe, VI, chant III.

7

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ومن المعروف أن أهمية القمح إزداد خلال العهد الروماني ذلك أن منطقة بلاد المغرب القديم كانت بمثابة مخزون روما، إلا أن الوضع تغير خلال العهد الوندالي، فلم تعد هذه المادة تصل إلى روما نظرا لإحتلال الملك جنسريك "Genséric" للأقاليم الثلاث، إفريقيا وصقيلية وسردينيا¹، ومن الجدير بالذكر أن إنتاج هذه المادة قد ضعف² بسبب زيادة الإستهلاك المحلي لها نتيجة الزيادة السكانية التي شهدتها المنطقة والتي بدورها إلتهمت الجزء الأكبر من فائض المحصول القابل للتصدير.

ولكن من المحتمل أن المساحات المخصصة لزراعة الغلال قد إنكمشت أثناء السيادة الوندالية لبلاد المغرب القديم وهذا راجع لعدة عوامل والتي منها إزداد عدد السكان في شرق المنطقة والذي وصل تعداداه ما يقارب ثمانون ألف نسمة بعد غزو الوندال لأراضيهم، بالإضافة إلى عمليات السلب والنهب التي قام بها الوندال في المزاق³، مما أضعف الزراعة عامة وإنتاج الغلال خاصة، ففي أواخر عهد السيادة الوندالية شهد إنتاج الغلال نقصا ملحوظا نظرا لإنتشار الفوضى والاضطرابات.

وفي المقابل إرتقى شأن غرس أشجار الزيتون على حساب القمح، فأصبح الزيتون يحتل مكانة إقتصادية مهمة، وتشير ألواح ألبرتيني أن شجرة الزيتون تربعت عرش الأشجار أواخر القرن الخامس الميلادي وقد غطت المناطق الجنوبية من بيزاسين⁴، ويذكر فكتور دي فيتا "Victor de Vita"⁵ أن الزيت كان يلعب دورا هاما في حياة السكان. وإلى جانب أشجار الزيتون نجد أيضا أشجار الفواكه التي كانت تفرس في المناطق الشرقية للمزاق وفي كثير من المرتفعات كالتين والعنب واللوز⁶، فقد أشار كوريبوس "Corippus"⁷ إلى كثافة أشجار الفاكهة والغابات التي تغطي المزاق، في حين إختلف معه فيكتور دي فيتا "Victor de Vita"⁸ الذي أورد نصا مفاده أن الوندال والبدو الرحل من البربر كانوا من ألد الأعداء للأشجار وأنهم قضوا على جزء كبير منها.

Bourgeois (C), op.cit, p 226.

Courtois (Ch), op.cit, p 318.

Ibid, p 317.

Ibid, p 318-319.

Victor de Vita, III, 1.

Courtois (Ch), op.cit, p 319.

Courippe, VI, chant III.

Victor de Vita, III, 1.

1
2
3
4
5
6
7
8

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ولكن من المعتقد أنه أثناء الزحف الوندالي كانت هناك بعض الحرائق التي أتت على جزء كبير من الثروة الشجرية، ومن الطبيعي أيضا أن يقوم الوندال بقطع الأشجار التي هم بحاجة إليها، وبالتالي فإن ما ذكره فكتور دي فيتا "Victor de Vita" حول حرق المزروعات والغابات والأشجار المثمرة مبالغ فيه، لأنّ هذه الأعمال تتناقض مع غاية الوندال في الإستقرار ببلاد المغرب القديم والاعتماد على خيرات المنطقة لضمان عيشتهم، كما تأثرت الثروة الشجرية من كثرة إستخدام أخشابها لتسخين مياه الحمامات التي إستمر تشييدها خلال العهد الوندالي، حيث نجد أنّ الملك ترازموند "Trasamund" (496-523م) قد شيّد في منطقة الأليان "Aliaanae" على شواطئ تونس الحالية حمامات حضيّت بمدح الشعراء نظرا لرونقها¹، كما تم إستعمال هذه الأخشاب أيضا في صناعة السفن²، مما لم يبق فائض للتصدير كما في العهد الروماني.

ويتضح أن السياسة الزراعية عند الملك الوندالي جنسريك حافظت على الإيقاع اليومي في الريف³، كما أنّ وضعية الفلاحين بإفريقيا ونوميديا بقيت على ما كانت عليه منذ العهد الروماني، فنجد العبيد أو الأقتان⁴ الذين عملوا لكل الأمراء القدامى والجدد.

وتجدر الإشارة إلى أن المغرب القديم قد شهد خلال العهد الوندالي إنتشار مرض الطاعون بين جموع غفيرة⁵، كما عرف أيضا مجاعتين خلال هذه الفترة:

-المجاعة الأولى: تحدّث عنها بروكوب "Procope"⁶ في ظل أحداث 431م، ذلك أنّ

الملك جنسريك "Gensric" إضطر إلى رفع الحصار على مدينة عنابة (Hippo Regius) بسبب المجاعة التي إنتشرت بين جنوده.

-المجاعة الثانية: حدثت في عام 484م خلال عهد الملك هونريك "Huneric" (477-

484م)، فقد كانت أفتك من المجاعة الأولى، وقد عاش أحداثها المؤرخ فيكتور دي فيتا

"Victor de Vita"⁷ الذي إنفرد دون غيره من المصادر بتزويدنا بوصفه لهذه المجاعة التي

¹ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 38.

Gautier (E.F), op.cit, p 218.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 362.

Wahl (M), op.cit, p 80-81.

Courtois(Ch), op.cit, p 318-319.

Procope, I, 8.

Victor de Vita, III, 1.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

مرت على بلاد المغرب القديم في عهد أعداءه الوندال، حيث أرجع سبب هذه المجاعة إلى إنعدام سقوط الأمطار مما أدى إلى الجفاف، إضافة إلى هبوب الرياح الشرقية الحارة مما نتج عنها إشتعال النيران التي التهمت في طريقها كل شيء، ما أدى إلى وقوع ضحايا بشرية وكذلك نزوح سكان الجنوب إلى العاصمة قرطاجة ومعهم حيواناتهم.

ومن جانب الثروة الحيوانية والمراعي ببلاد المغرب القديم خلال العهد الوندالي، فقد شهد نوع من الإزدهار، حيث تمتعت الخيول بمكانة مهمة ذلك أنها كانت عماد الجيش الوندالي¹، وهذا ما يؤكد بروكوب "Procope"² الذي أشار إلى أن الجيش الوندالي تشكل بأكمله من سلاح الفرسان، كما أنّ الخيول كانت وسيلة أيضا لتوزيع البضائع والركوب المفضلة لدى أعيان البلاد³، بالإضافة إلى الحمير والبغال والجمال التي تقاسمت أعباء نقل البضائع والمحاصيل، إلا أن الجمال لم تلعب دورا يذكر عند الوندال⁴ مثل الثيران التي إستعملت في الزراعة وكانت الأداة الأساسية في عملية الحرث من خلال جرّها للمحراث وهذا ما أكدته سيفساء شرشال "Caesarea"⁵، فقد كانت الثيران والأغنام أساس الثروة الحيوانية ببلاد المغرب القديم خلال العهد الوندالي.

ويبدو أن منطقة بيزاسين كانت من أشهر الأقاليم الرعوية التي تربي فيها مختلف أنواع الحيوانات ووجود حظائر لتربية الأبقار ليست ببعيدة عن قرطاجة، ومن المؤكد أن هذه الثروة الحيوانية لا تغطي فقط حاجة الإستهلاك المحلي للسكان في العهد الوندالي بل كانت موجهة أيضا للتصدير⁶.

2-الصناعة:

لاشكّ في أن ممارسة الوندال للقرصنة أثر بشكل سلبي على الصناعة ببلاد المغرب القديم نظرا لغلق العديد من الأسواق، ولكن مع تعدد العلاقات التجارية في عهد الملك هونريك عادت الحرف إلى المستوى الذي كانت عليه مثل صناعة النسيج والحريز

¹ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، رقم 131، ص 43.

Procope, I, 8, 20.

³ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 44.

Gautier (E.F), le Passé de l'Afrique, p 195.

Gsell (S), H. A. A. N, T1, p 127.

⁶ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 46.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

والأثاث وكذلك مصانع الأسلحة والسفن بقرطاج¹، فقد أشار جان يانوسكي " Jean Yanoski"² أنّ الوندال لم يدمروا الصناعة التي قام بها الفينيقيين والرومان ذلك أنّه مع عودة العلاقات الخارجية إنغمس ملوك الوندال في حياة البذخ والترف.

ولكن من المؤكد أن الصناعة لم تزدهر عما كانت عليه خلال العهد الروماني، ذلك أنّها لم تتعد نطاق الحرف البسيطة والمتوسطة الجودة مثل صناعة الأواني المنزلية المصنوعة من الخشب أو الفخار، وقد تم العثور على بعض من هذه الأواني في كل من سبنة (Septim)، ليكسوس (Lixus)، طنجة (Tanger)، ثالة (Thala) ووليلي (Volubilis)³، كما عثر على طبق من الفضة يرجع إلى عهد الملك جليمر منقوش عليه " جليمر ملك الوندال والآلان " Gailamir, Rex Vandaorum et Alanorum" الذي ذكره كريستيان كورتوا " Christian Courtois (Ch)"⁴ على أنّه ليس له علاقة بالطراز الفني الجرمانى السائد آنذاك.

وبالتالي فقد إستمرت العديد من الورشات في نشاطها وإنتاجها لمختلف الأدوات الفخارية مثل إنتاج الجرار التي كانت تستعمل لنقل مختلف المواد وعلى رأسها الزيت والنبيد ومرق الحوت، إلا أنّنا لا نستطيع الجزم على تراجع إستعمال الجرار، ولكن يبدو أنّها تغيرت أحجامها خلال الفترة الوندالية؛ حيث أصبحت سعتها لا تتجاوز 3,5 لتر على خلاف الجرار القديمة التي وصلت قدرة إستيعابها إلى 65 لتر⁵.

إضافة لهذه الصناعات نجد أيضا المنتجات النسيجية من مختلف الألبسة الشعبية⁶ والمفروشات التي تعود مادتها الخام إلى الصوف والوبر لكثير من الحيوانات

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 258.

² Yanoski (J), op.cit, p 89.

³ آيت عمارة ويزة، «التجارة ومواردها في إفريقيا الوندالية»، مجلة عصور الجديدة، العدد 16-17، 2014/2015، ص12.

⁴ Courtois (Ch), op.cit, p 229.

⁵ محمد الصالح العود، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والدينية في بلاد المغرب القديم خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه إشراف محمد الحبيب بشاري، جامعة الجزائر، 2015-2016، ص 168-169.

⁶ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 47.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

كالغنم والماعز والإبل¹، ولكن بعد ذلك إنتشرت الملابس الحريرية التي أطلق عليها تسمية سريكا "Serica"².

كما إهتم الوندال بصناعة أدوات الزينة والحلي التي كانت تدل في زخرفتها على الطابع الجرمانى، كما عثر على بعض رؤوس الدبابيس والمشابك، والمجوهرات قرب مدينة عنابة (Hippo Regius) وذلك في أحد المقابر الوندالية ومعها أدوات الزينة، كما عثر أيضا في قبر يعود إلى امرأة وندالية على عقد من العقيق والزجاج الأحمر والأخضر، وفي قبر لرجل وندالي عثر على مشبكات كبيرة تستعمل لتثبيت الثوب على الكتف، بالإضافة إلى مجموعات أخرى من هذه الأدوات وعلى بعضها صور لمحاربين³، وهي الأدوات التي تلتبس فيها أصول الزخرفة الوندالية وخاصة في الألوان التي إستعملوها مثل اللون الأزرق والأحمر والأخضر في الفن الذي ساد جنوبي روسيا⁴، ويمكن أن تكون هناك أيضا صناعة الحلي الذهبية ولكن لا يبدو أنها صناعة محلية⁵، ولو أن هناك فعلا إستمرار إستغلال المناجم إلا أننا نجهل ماهيتها والمواد التي تنتجها إذا ما كانت برنزية أم فضية.

ولكن المؤكد أن صناعة الحلي تجبر الكثير من الباحثين على تغيير صفة الهمجية المطلقة التي ألصقت بالوندال، ذلك أن هذه المجوهرات والحلي تبين إهتمام الوندال بالزينة وبجمال بعض الأدوات المستعملة في حياتهم اليومية خاصة⁶.

¹ محمد الصالح العود، المرجع السابق، ص 169.

²

³

⁴ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 159.

⁵ ويزة أيت عمارة، المرجع السابق، ص 12.

⁶ محمد الصالح العود، المرجع السابق، ص 171.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.



حلي وندالية جنائزية أكتشفت بقبر امرأة بدوار الشوت بتونس معروضة بمتحف قرطاج.

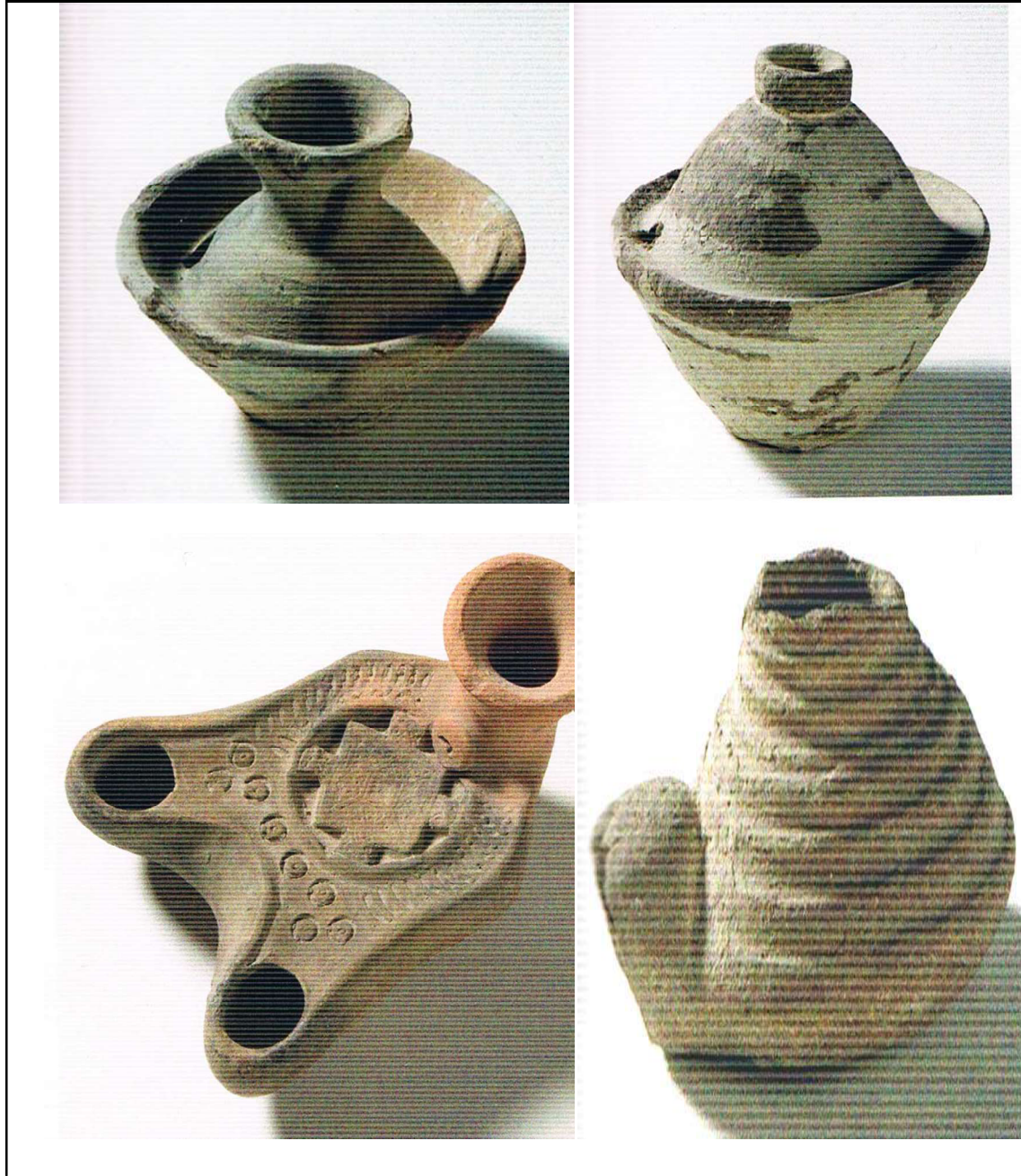
سوار من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة يعود للفترة الوندالية يوجد حاليا بمتحف باردو بتونس.

حلي وندالية لتزيين الملابس

الصورة رقم 01: الحلي والمجوهرات الوندالية، محمد الصالح العود، المرجع السابق، ص 293-294.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

كما عثر علماء الآثار في العديد من المدن على مصابيح مصنوعة من طين أحمر وكان الشكل المعتاد لهذه المصابيح عبارة عن إناء مخروطي الجذع يعلوه غطاء مخروطي هو أيضا، أما الجزء الأوسط متسعا وعنقه يشبه عنق القينة¹.



الصورة رقم 02: نماذج من المصابيح خلال الفترة الوندالية، محمد الصالح العود، المرجع السابق، ص 289-290.

¹ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 47.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

كما كانت صناعة الأسلحة ضمن الملكية الشخصية، فقد أشار فيكتور دي فيتا "Victor de Vita"¹ إلى أحد صنّاع الأسلحة أرمفكتور "Armifactor" الذي كان يمارس هذه الصناعة لصالح أحد رؤساء الألف "Millenarius"² الذي كان على رأس مجموعة تتكون من ألف شخص منهم النساء، الأطفال، الجنود، العبيد والأحرار.

يبدو أن إستغلال المناجم المنتشرة ببلاد المغرب القديم إستمرت خلال العهد الوندالي، وما يدل على ذلك أن الأساقفة الكاثوليك قاموا بالأعمال الشاقة³ في المناجم التي كانت من الطبيعي أن توفر المواد الخام اللازمة لصك النقود البرونزية والفضية التي كانت تصك في قرطاج، وهي صناعات بسيطة لا تتطلب جهدا كبيرا⁴، وقد إستعان الوندال بالمعامل القرطاجية والخبرة المحلية مما أدى إلى تشابه العملة الوندالية مع العملة الرومانية، كما أكدت لنا الأبحاث الأثرية والاكتشافات التي حدثت خاصة في منطقة الجم (Thysdrus) أن للوندال ورشات لضرب العملة⁵.

ويظهر أن العملة الوندالية لم تكن أسوأ مما أنتجته المعامل الأخرى التي كانت خلال تلك الفترة من القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس الميلادي⁶، ونجد هذه النقود بمتحف كوين هاجن "Copenhagen" حسب ما يؤكد الكاتب والقنصل الدنماركي فالب "Falbe" الذي قدم لنا صور للنقود الوندالية في مؤلفه⁷، وكانت أغلبية النقود التي عثر عليها ببلاد المغرب القديم في كل من سكيكدة (Rusicad) وقالمة (Calama)، ويلاحظ أنه لم تعد تصك عملات ذهبية جديدة⁸، فقد كانت فقط قطع نقدية من الفضة المنخفضة والبرونزية التي صكت بقرطاج.

Victor de Vita, III, 1.

Courtois (Ch), op.cit, p 217.

³ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 48.

Audollent (A), op.cit, p 333.

⁵ محمد الصالح العود، المرجع السابق، ص 180.

Julien (Ch. A), op.cit, p 246.

⁷ محمد صالح العود، المرجع السابق، ص 97.

Bourgeois (C), op.cit, p 225.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

وقد بينت لنا ألواح ألبرتيني قيمة تحويل النقود الذهبية في أواخر القرن الخامس الميلادي؛ حيث نجد أنّ السوليدوس "Solidus" يعادل 1400 فولس "Folles" وهذا يقابله 11200 نومي "Nummi"¹.

وخلال عهد الملك غوانثاموند "Gunthamund" (484-496م) ظهرت في العملة النقدية إكليل الأباطرة وحلة القيادة ودروعهم، وكانت النقوش تسمى الملك مولانا "Dominus Noster" أحيانا أو الملك "Rex" أحيانا أخرى، وغالبا ما كانت النقود تمثل امرأة تمسك بيدها سنابل القمح وترمز بذلك إلى قرطاج السعيدة "Felix Carthago"، وهي صورة مستوحاة من نقود الإمبراطور ديوقلسيان "Diocletianus" وخلفائه.

وبالتالي فإن الإستنتاجات المستخلصة من علم المسكوكات مؤشر للتأكيد على قوة السيادة الوندالية منذ سنة 439م من حكم ملوك الوندال، وما يؤكد على إزدهار المملكة الوندالية الحقيقي وانفتاحها الواسع على عالم البحر المتوسط في الشرق والغرب الذي أكدت عليه ليس فقط علم المسكوكات وإنما حتى الدراسات الخزفية الأكثر حداثة²، إلا أن هذا الإزدهار ضعف نوعا ما مع في أواخر القرن الخامس الميلادي.

¹ محمد الصالح العود، المرجع السابق، ص 181.

Lancel (S), op.cit, p 1209.

²

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.



قطعة نقدية فضية للملك غوارثاموند.

يظهر على وجه العملة صورة نصفية للملك وعلى الظهر رمز القيمة النقدية DN، وهي محاطة بأوراق النخيل بشكل دائري حول العملة.



قطعة نقدية فضية للملك هدريك.

ويظهر على وجه العملة صورة نصفية للملك، وعلى الظهر صورة لإمرأة تحمل في يدها سنابل من القمح، يتراوح قطرها 16ملم ووزنها 1.11غ.



قطعة نقدية فضية بدون صورة للملك.

ويظهر على وجه العملة جذع متجه نحو اليمين وعلى الظهر صليب رمز للديانة المسيحية، يصل وزنها 0.36غ وقطرها 9 ملم.

الصورة رقم 03: قطع نقدية فضية خلال العهد الوندالي، ويزة آيت عمارة، «التجارة ومواردها في إفريقيا الوندالية»، ص 15-16.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.



قطعة نقدية برونزية تعود للملك جنسريك أو غوانثاموند.

يظهر على وجهها شخص واقف بلباس عسكري و يحمل في يده اليسرى رمحا ومحاط برمز قطاجة، وعلى ظهرالقطعة رأس حصان متجه نحو اليسار وأسفله رقم XXI بالحروف الرومانية (المكتبة الوطنية بباريس).



قطعة نقدية برونزية للملك هونريك.

على وجه العملة يبدو الملك متجه نحو اليسار وأمامه أوراق النخيل، وعلى ظهر العملة نجد حرف N والشكل III .



قطعة نقدية برونزية للملك جليمير.

على وجه العملة جذع الملك متجه نحو اليمين مع رموز غامضة، وعلى الظهر نجد رموز الملك محاطة بأوراق النخيل.

الصورة رقم 04: قطع نقدية برونزية خلال العهد الوندالي، ويزة أيت عمارة، «التجارة ومواردها في إفريقيا الوندالية»، ص 16-17.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

والى جانب هذه الصناعات ببلاد المغرب القديم خلال الفترة الوندالية نجد بناء السفن التي حظيت بازدهار ملحوظ دون غيرها من الصناعات التي كانت معظمها في تراجع مقارنة بالصناعات الرومانية وقبلها الفينيقية، ويرجع هذا الإهتمام إلى سلسلة الإغارات البحرية المتتالية التي مارسها الملك جنسريك في حوض البحر المتوسط، مما أكسب الأسطول الوندالي مركز الصدارة بين أساطيل البحر المتوسط، وهذا ما أشار إليه بروكوب "Procope"¹ من خلال حديثه عن ترسانة السفن الموجودة في سيدي داوود (Missua) على الشاطئ الغربي في رأس الطيب (Cap Bon) التي تعتبر من أهم الترسنات البحرية، وقد ساعد على إزدهار هذه الصناعة أطماع الملك جنسريك اللامحدودة، حيث عثر على حطام لسفينة محملة لجرار إفريقية تعود صناعتها على ما يفهم من بعض المؤرخين إلى النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، ونقل معامل صناعة الجرار من المدن الساحلية مثل حضرموت ولبدة الصغرى إلى مناطق إنتاج المواد المصدرة²، بالإضافة إلى توفر الأخشاب والمعادن في المنطقة.

3- التجارة:

من خلال دراسة المعطيات المادية كألواح ألبيرتيني والكتابية مثل أحاديث بروكوب "Procope" وفكتور دي فيتا "Victor de Vita" يتضح أن هناك حركة تجارية خلال العهد الوندالي سواء التي كانت على الصعيد الداخلي بين الوندال والأهالي أو بين الأهالي أنفسهم، أو على الصعيد الخارجي مع الغرب والشرق، وقد قامت الحركة التجارية ببلاد المغرب القديم على أساس توفر المنشآت التجارية من موانئ ومسالك ومختلف الأسواق.

يبدو أن شبكة الطرقات المتوفرة ببلاد المغرب القديم خلال الفترة الوندالية قد ورثت من الحقبة الرومانية، وكانت هذه المسالك تربط المدن بالمقاطعات وكذلك تربط المقاطعات فيما بينها، مثل الطريق الرابط بين سطيف (Sitifis) وبجاية (Saldae) وكذلك بين حوض مجردة وقرطاجة، وكانت هذه المسالك تضمن إرسال المنتوجات الزراعية

¹ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 49.

² ويزة آيت عمارة، المرجع السابق، ص 12.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

والحرفية خاصة الزيت والخزف نحو المدن التي بها موانئ خاصة ميناء سوسة (Hadrumetum)، عنابة (Hippo Regius)، وميناء القل (Chullu)، بجاية (Saldae) وغيرها من الموانئ النشيطة التي لها الدور الكبير في النشاط التجاري الخارجي.

وكانت الأسواق تستقطب مختلف المنتوجات الزراعية والحرفية، وكانت أهم الأسواق الخارجية لهذه المنتوجات بلاد الإغريق، روما ومصر، أما الأسواق الداخلية التي لعبت دورا مهما في توفير الحاجيات اليومية للفرد نجد سوق منطقة الجم (Thysdrus) الذي شكل سوقا رئيسيا للزيت والحبوب، وسوق كل من باجة (Vaga) ومكث (Mactaris) وبولاريجية التونسية (Bulla Regia) سوقا للقمح، أما سوق دوقة (Thugga) فقد إختص في تجارة الزيتون في إختص سوق قالمة (Calama) وتبسة (Theveste) في تجارة المواشي، إضافة إلى هذه الأسواق التي تشكل مرافق هامة داخل المدن وجدت كذلك أسواق ريفية نصف شهرية شمال غرب سبيطلة (Sbeitla) وسوق عين مشيرة¹.

أ- التجارة الداخلية:

تعتبر المعلومات التي وصلتنا حول التجارة الداخلية شحيحة إلا أن هناك إشارات تؤكد على وجود هذه التجارة، مثل إشار بروكوب "Procopé" إلى وجود دكاكين يمتلكها تجار التجزئة على طول شوارع قرطاج، كما أنّ الفلاحين كانوا ينتقلون محملين بمحاصيلهم وبضائعهم من أجل بيعها في أقرب مدينة مجاورة لهم²، وقد أكدت ألواح ألبرتينيني أن أسعار المنتوجات المصنعة كانت أكثر إرتفاعا من أسعار المحاصيل الزراعية ولكن يظهر أن الأسعار إنخفضت أثناء العهد الوندالي.

ويبدو أن عملية التبادل التجاري كانت تتم بواسطة القطع الفضية رغم أن بلاد المغرب القديم عرفت القطع الذهبية، غير أن هذه الأخيرة كانت ضمن أملاك الملك³ فلم تكن منتشرة على نطاق واسع، في حين أن النقود البرونزية كانت ضئيلة القيمة، وقد عثر على نماذج منها في الشرق الجزائري تتطابق مع ما أشيرت إليه ألواح ألبرتينيني تحت إسم

¹ محمد الصالح العود، المرجع السابق، ص 177-178 .

² فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 49 .

³ Courtois (Ch), op.cit, p 319-332.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

فولليس "Follis"، وفيها الرمز (III) أي الرقم أربعة منقوشا على هذه العملات¹، ومن الواضح أنه يمثل قيمة العملة أو العدد المناسب للفولليس وهذه الأعداد ليس لها أي قائم مشترك بينها، أما العملات الفضية فنجد فئة 25,50 و 100 دنييه "Deniers" والتي كانت تزن على التوالي 1,25، 6.25، 6.50 حم تقريبا²، ويبدو أنّ هذه العملات لم تشكل مبلغا ذو قيمة .

تمثلت المنتوجات المتبادلة بين الوندال وغيرهم في المواد الزراعية كالقمح وبعض المنتوجات الشجرية كالتين والعنب، وكذلك الحيوانات الأليفة مثل الماعز والدجاج والحمير والخيول التي كانت تربي على نطاق ضعيف بالرغم أن الوندال كانوا في بدايتهم فرسان مهرة³، إلى جانب إنتشار عملية بيع وشراء الأراضي التي تحتوي على الأشجار المثمرة، وهذا ما بينته اللوحة الثالثة لألبرتيني والتي تمثلت في عقد بيع لخمس قطع أرضية مغروسة بأشجار التين والعنب والزيتون يعود تاريخها إلى سنة 493م، وكذلك عقد بيع حقل به إحدى عشرة شجرة زيتون سنة 494م⁴.

Courtois(Ch), Op.cit, n^o15, p 320.

Ibid, n^o 17, p 320.

Ibid, p 319-322.

1

2

3

⁴ ويزة آيت عمارة، المرجع السابق، ص13.



Tablette 4a :

magula a meridie et a marino quintus a coro [I]atere-] tis et bergentisque suis it(em) alio in loco s(upra)s(cri) p(to) fici arboru[na] qui coheret ad bia de buresa ab africo cum lateretis et aquaris bergentisque suis it(em) alio in loco locus qui dicitur pullatis in quo sunt olibe arb(ores) cinq [ue inter] adfines eiusdem loci ab oriente quintianus a meridie quintianus ab africo et a coro uictorinus nug[ualis] it(em) alio in loco in pullatis locus abiente olibe arb(ores) cin-que inter adfines eiusdem loci ab oriente processa-nus a meridie uictorinus ab occidente paternus [ia] deris a coro iannarius ques eosdem agros ss(u)p(ra)scri(ptos) de quo agitur hac die emerut geminius cresco-nius et cresconia iugalis eius a iulio leporio et co[ia] iugalis eius et etiam silbanianus et uictorinus auri solidum unum et f(ol)(e)s [aur]e[os] obrediacos.

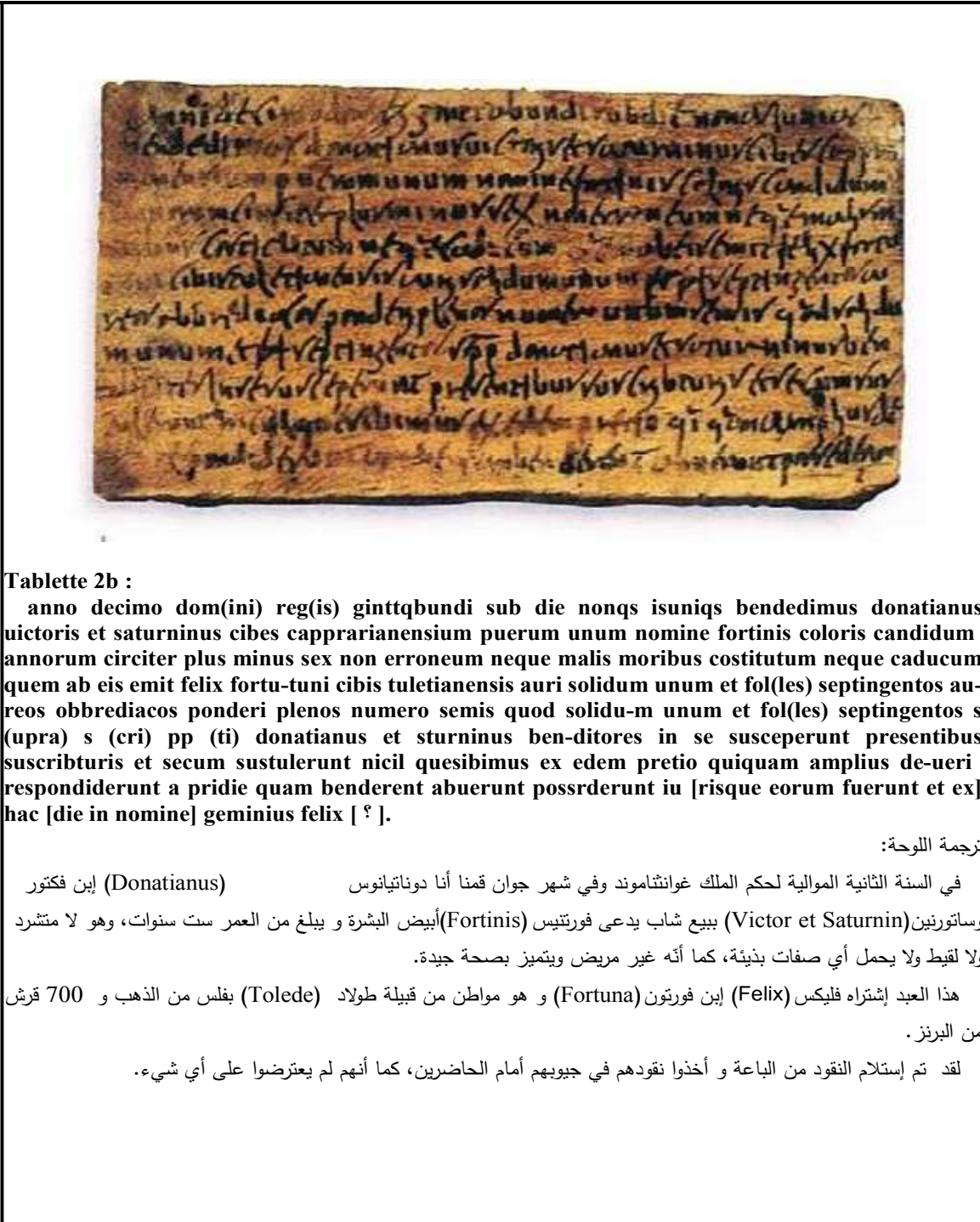
ترجمة اللوحة:

لقد تم في هذا اليوم بيع حقل من التين بالنقد الإفريقي بين السيد مارنو كوانتوس (Marino Quintus) و جاره دوبرجنسيس (Debergentis). هذا الحقل متواجد بحاذاة الطريق و متبوع بحوض للسقي، لإضافة إلى أرض مائلة . كما أنه تم بيع حقل آخر في مكان شرقي للسيدبولنتيس (Pullatis)، و يحتوي هذا الحقل على خمسة أشجار زيتون و تم بيعه بالعملة الإفريقية. إضافة إلى حقل آخر بيع للسيد فيكتورينيس نانغرايست (Nungralist Victorinis) مع خمس شجيرات زيتون. كما تم بيع حقول بالجهة الوسطى و الجنوبية للمالكين فيكتورينوس و باترونوس (Victornus – Paternus) لجارهما. هذه الحقول الموصوفة والمذكورة أعلاه تم شراؤها من كل المالكين ثم شأوها من طرف السيد والسيدة بيوبوريوس وكولوليانيس (Bioborius – Cololianis) بالنقد الذهبي و البرنزي.

الصورة رقم 05: لوحة متعلقة ببيع قطعة أرضية وحقل من التين سنة 493م، محمد الصالح العود، «ألواح ألبيرتيني ودلالاتها الإقتصادية خلال القرن الخامس الميلادي»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزء 4، العدد 8، ص 28-37.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

وكذلك عقد بيع العبيد يعود لسنة 494م¹.



Tablette 2b :

anno decimo dom(ini) reg(is) gintqbundi sub die nonqs isuniqs bendedimus donatianus uictoris et saturninus cibus capprarianensium puerum unum nomine fortinis coloris candidum annorum circiter plus minus sex non erroneum neque malis moribus constitutum neque caducum quem ab eis emit felix fortu-tuni cibus tuletianensis auri solidum unum et fol(les) septingentos aureos obbrediacos ponderi plenos numero semis quod solidu-m unum et fol(les) septingentos s (upra) s (cri) pp (ti) donatianus et sturninus ben-ditores in se susceperunt presentibus suscribturis et secum sustulerunt nicil quesibimus ex edem pretio quiquam amplius de-ueri respondiderunt a pridie quam benderent abuerunt possrderunt iu [risque eorum fuerunt et ex] hac [die in nomine] geminius felix [?].

ترجمة اللوحة:

في السنة الثانية الموالية لحكم الملك غوانثاموند وفي شهر جوان قمنا أنا دوناتيانوس وساتورنين (Victor et Saturnin) ببيع شاب يدعى فورتينيس (Fortinis) أبيض البشرة و يبلغ من العمر ست سنوات، وهو لا متشرد ولا لقيط ولا يحمل أي صفات بذئية، كما أنه غير مريض ويتميز بصحة جيدة.

هذا العبد إشتهر فليكس (Felix) ابن فورتون (Fortuna) و هو مواطن من قبيلة طولاد (Tolede) بفلس من الذهب و 700 قرش من البرنز.

لقد تم إستلام النقود من الباعة و أخذوا نقودهم في جيوبهم أمام الحاضرين، كما أنهم لم يعترضوا على أي شيء.

الصورة رقم 06: لوحة متعلقة ببيع عبد شاب بتاريخ 5 جوان 494م، محمد الصالح العود، "الواح ألبيرتيني ودلالاتها الإقتصادية خلال القرن الخامس الميلاد"، ص 28-37.

¹ ويزة آيت عمارة، المرجع السابق، ص 13.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ب-التجارة الخارجية:

يبدو أن التجارة الخارجية كانت أكثر إزدهارا من التجارة الداخلية ذلك أن الأهالي والوندال كانوا على علاقات تجارية بين مختلف مناطق غرب المتوسط من جهة والشرق من جهة أخرى، وقد حصر لنا محمد الهادي حارش¹ بعض النقاط التي تدل على وجود هذه التجارة، وتتمثل في:

-التاجر الذي صادف برداسيوس في سرقوسة، وقد حدثه عن الصفقات التي عقدها بقرطاج.

-رجال الدين الذين سجنهم الملك الوندالي جليمر والذين جاءوا لأغراض تجارية من الشرق.

-التجار الأفارقة الذين ظلوا يترددون على موانئ الشرق.

وقد أشار بروكوب "Procope"² إلى العلاقات التجارية بين الشمال الإفريقي وشبه الجزيرة الإيبيرية وذلك بالإستناد على السفينة التي عثر عليها القائد البيزنطي بيليزاريوس "Belisarius" أثناء نزول قواته في قرطاجة والتي إنطلقت في إتجاه إسبانيا وكانت ممثلة بالبضائع، كما ورد في سيرة القديس فولجانس "Saint Fulgence" التبادل التجاري بين الشمال الإفريقي وكراليس (Caralis) بجزيرة سردينيا، وأيضا مع صقلية وإيطاليا،

إلى جانب وجود التبادل التجاري مع الشرق إلا أن هؤلاء التجار من الشرق توقفوا عن ممارسة التجارة مع بلاد المغرب القديم في عهد الملك جليمر "Gelimer" (530-534م) بعد أن قام بالقبض عليهم ووضعهم في السجن بتهمة التجسس لصالح الإمبراطور البيزنطي وتحريضه على شن الحرب ضده، ولكن التجار الأهالي لم يقطعوا العلاقات التجارية مع الشرق³.

وبالنسبة للطرق التجارية فقد كان الوندال يملكون أسطولا تجاريا سيطروا به على الطرق البحرية التجارية في حوض المتوسط الغربي، وتمكنوا من الحفاظ على التبادل التجاري ليس لفترات السلم فحسب بل في أوقات الحرب أيضا، وقد عرفت الحركة

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 259.

Procope, I, 14.

³ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 52-53.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

التجارية نشاطا كبيرا خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي والنصف الأول من القرن السادس الميلادي¹، ويبدو أن عهد الملك هونريك "Huniric" شهد نوعا من الإزدهار التجاري ذلك أنه دفع مبالغ هائلة من أجل إعادة تنظيم أرصفة ميناء مادراكيوم (Mandracium)²، ولم تكن التجارة البحرية هي الوحيدة التي تستغل بل كانت هناك علاقات تجارية أيضا عبر الطرق الصحراوية، حيث كانت القوافل تجلب الأحجار الكريمة والعاج والعبيد³، أما تجارة الهند فقد كانت تتم عن طريق مصر.

يتضح أن السفن التجارية كانت تحمل من بلاد المغرب القديم القمح، الكتان، الأخشاب الموجهة لصناعة الأثاث، المرمر والأحجار الكريمة⁴، ولم تقتصر التجارة على هذه الأنواع من المنتجات والمواد الخام فقط بل تعدى إلى المتاجرة بالعبيد التي تبدو أنّ أسعارها متواضعة ويتضح ذلك من خلال ما ورد في الوثيقة الثانية من ألواح ألبرتيني على أنّ شابا عمره ستة سنوات تقريبا بيع بسعر صو ونصف أي ما يساوي 6.83 غراما من الذهب، وقد زودنا فيكتور دي فيتا ببعض التفاصيل عن عبيد يمتلكهم أحد رؤساء الألف من الونداليين⁵، كما شملت أيضا الصادرات الحيوانات المفترسة والأواني الفخارية المتوسطة الجودة والتي عثر عليها في أطلال مارسيليا إضافة إلى الأخشاب التي كانت تصدر غالبا نحو إيطاليا⁶.

أما ما يتعلق بالواردات فيبدو أنها كانت قليلة مقارنة بالصادرات، ذلك أن منطقة بلاد المغرب القديم كانت تستجيب لحاجيات السكان في المدن والأرياف⁷، وبحكم أنّ الوندال كانوا يحبون التفاخر والتباهي فقد كانوا يلجئون لشراء الأقمشة الحريرية الثمينة من

¹ ويزة آيت عمارة، المرجع السابق، ص 13-14.

² فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 53.

³ ويزة آيت عمارة، المرجع السابق، ص 13-14.

⁴ محمد الهادي حارث، المرجع السابق، ص 259.

⁵ فايز نجيب، المرجع السابق، ص 54.

⁶

⁷ محمد الهادي حارث، المرجع السابق، ص 259.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

الشرق، حيث كانت بلاد الصين تصدرها نحو بلاد فارس¹ وهذه الأخيرة لعبت دور في تجارة الحرير آنذاك.

وبهذا يلاحظ أنه على الرغم من أن هدف الوندال لاحتلالهم بلاد المغرب القديم كان سياسيا وعسكريا بالدرجة الأولى إلا أنهم لم يهملوا الجانب الإقتصادي، حيث ظلت الحياة الإقتصادية مزدهرة نسبيا وخاصة في شمال المنطقة الذي حكم فيه السلام الوندالي "La Paix Vandale"²، فلم يظهر أي تدمير للهياكل القديمة مما يدل على إستمرار الأنشطة الإقتصادية خلال العهد الوندالي ويتضح ذلك خاصة في أن منتوجاته الموجهة للصادرات إرتفعت مقارنة مع وارداته.

كما كان لظهور الوندال على مسرح الأحداث التاريخية وتحويلهم البحر المتوسط إلى بحيرة وندالية عاملا هاما في التطور الإقتصادي والاجتماعي لأوروبا في تلك الفترة، حيث كان لتحكم الأسطول الوندالي في البحر المتوسط وما صاحبه من أعمال القرصنة وقطع التجارة لرائجة بين الموانئ التجارية الشهيرة نتيجة أعمال السلب والنهب والتقتيل أن أدى إلى إنقلاب إقتصادي قائم على الإكتفاء الذاتي وكذلك إنقلاب إجتماعي بظهور نظام الإقطاع³، وبهذا إنقلب كيان أوروبا إقتصاديا واجتماعيا بفعل السيادة الوندالية على البحر المتوسط.

ثالثا- الأوضاع الإجتماعية والدينية خلال العهد الوندال:

يبدو أن ثمانون ألف من الوندال الذين زحفوا نحو بلاد المغرب القديم إضطروا لكسر المعارضة المزدوجة من الأرستقراطية والكنيسة أمام الأهالي الذين تعايشوا طيلة فترة حكمهم للمنطقة لأزيد من قرن، وكان بإمكان الوندال الإنصهار في الفئة المحلية عن طريق الزواج المختلط وإشعاع الحضارة الرومانية الأكثر تطورا، وهذا ما دفعنا للتساؤل حول مدى تأثير الوندال بهذا الإشعاع الحضاري، وعن علاقة إتصال الوندال بالمور ومدى تفاعل المجتمعين خاصة ما يتعلق بالعادات والتقاليد وكذلك بالجانب الثقافي والفكري والديني.

Bréhier (L), op.cit, p 185.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 379.

³ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، رقم 8، ص 10.

1- الأوضاع الإجتماعية:

تجدر الإشارة إلى أنّ الوندال قبل دخولهم للإمبراطورية كانت مثل الشعوب الجرمانية الأخرى، حيث عرفت الزراعة المستقرة المؤقتة وتربية المواشي ومختلف الحرف المحلية، ولكن بعد دخولهم للإمبراطورية الرومانية سنة 406م واستيلائهم على قرطاج عام 439م واستقرارهم في هذه المنطقة أصبحوا يعيشون في الحضارة الرومانية.

وفي الواقع فإنّ الوندال خلال سنواتهم الأولى التي قضوها في ظل الحضارة الرومانية حاول التكيف مع إيقاع الحياة الرومانية، حيث شاركهم الترفيه والأعياد والصيد، كما أنّ منازلهم أصبحت مزينة بالحدائق والنوافير¹، ويرتدون الملابس الفخمة والثمينة، وأصبح الكثير منهم يتوجه نحو الملاعب والمدارس النحوية²، فقد كان قصر ملوك الوندال مركز نهضة أدبية حقيقية وكان الملك غوانثاموند "Gunthamund" يفتخر بنفسه كونه عالم لاهوتي³، إلا أن الوندال تمسكوا بمبدأ فصل رعاياهم الجرمان من سكان المقاطعات⁴ بعدم السماح بالزواج المختلط .

أ- طبقات المجتمع:

ينقسم المجتمع الوندالي إلى ثلاث طبقات:

1- طبقة النبلاء: والنبالة لم تكن مسألة وراثية لدى المجتمع الوندالي وإنما تكتسب بفضل مزايا الشخص وشجاعته وتستمر معه بفضل الشهرة التي يتحصل عليها من المعارك، وهذه الطبقة يقع على عاتقها تسيير الشعب الوندالي كقادة للجيش أو كإداريين يسهرن على تنظيم قضايا المجتمع، ومنهم يختار الملك مستشاريه ومساعديه⁵، لذلك نجد أن الملك جنسريك "Genséric" كان حريصا على أن يكون أعوانه من الوندال سواء كانوا موظفين ساميين أو مستشارين.

Bourgeois (C), op.cit, p 226.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 254.

Bourgeois (C), op.cit, p 227.

⁴ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 254.

⁵ العود محمد الصالح، التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والدينية في بلاد المغرب القديم. ص 211.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

2-طبقة المحاربين: بحكم أنّ الوندال كانوا محاربين بالدرجة الأولى، وعلى الرغم من حصولهم على قطعة أرض فإنهم مطالبين بأداء الخدمة العسكرية، وكان يعفى من الضرائب فقط التي كانت مفروضة على الأهالي.

3-طبقة العبيد: ذلك أنّ الوندال جلبوا معهم عند قدومهم من إسبانيا بعض العبيد إلى جانب الذين وجدوهم ببلاد المغرب القديم¹، فاستغلوا الكل لفلاحة الأرض.

وبهذا يمكن أن نميز وجود طبقتين² في المجتمع الوندالي، طبقة عليا والتي تشمل الوندال وما إنمج فيهم من العناصر الجرمانية الأخرى كالألان وكذلك الفئة التي إنصهرت بعدما ترومنت وأصبحت على علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع الوندال، والطبقة الدنيا التي تمثل الجميع ما عدا الوندال من الرعايا، وقد بقيت على إنحياد في مناطقها الخارجة عن كل وصاية وسعت إلى مقاومة التوغل الثقافي والحضاري الدخيلين عليها.

ب-الحياة اليومية:

يبدو أن العلاقات التي جمعت المجتمع الوندالي بالمجتمع الموري إتسمت بطابع سياسي أكثر منه إجتماعي، نظرا لقصر مدة الإحتلال الوندالي للمنطقة، مما كانت علاقة التأثير بهم تكاد تكون منعدمة، فقد كانت الحياة اليومية في المجتمع الموري تسير وفق الفترات السابقة للإحتلال الوندالي باستثناء الإضطرابات الدينية التي عرفتها المنطقة، حيث أنّهم رفضوا لكل مظاهر الحياة الوندالية وعاشوا معهم طيلة فترة حكمهم محتفظين بطرق عيشتهم دون أن يتأثروا بهم.

ونستدل على هذا الرفض الموري لمختلف مظاهر الحياة اليومية الوندالية وطرق عيشتهم على ما أفزّه بروكوب³"Procopé" أواخر الحكم الوندالي من وصف دقيق حول الحياة اليومية للمور ومقارنتها مع تلك السائدة لدى الوندال، مما سمح لنا التعرف على مدى تفاعل المجتمع الموري والوندالي، حيث جاء وصفه عن المور بقوله: « كان المور يعيشون داخل بيوت متواضعة طوال السنة، ولم يتضايقوا من الثلوج ولا من أشعة الشمس المحرقة ولا من الكوارث الطبيعية، كانوا، ينفرد الأغنياء منهم بافتراش جلود الخرفان في

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 254-255.

² عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 132-131.

Procopé, II, VI, 9-11.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

المناسبات، كما لم يتعودوا على تغيير ملابسهم مع تغيير فصول السنة، حيث كانوا يرتدون طوالها معطفا خشنا وسميكا وقميصا سميكا¹، وفي المقابل كان وصفه¹ لطرق عيش الوندال: «كان أكثر لياقة من الشعوب التي نعرفها، في حين المور أكثر تعاسة، ومنذ أن إحتل الوندال إفريقيا كانوا يستحمون يوميا، وكانت موائدهم تملأ بأجود وأذ المأكولات، وكانوا يواضبون على حضور كل أنشطة اللهو والمجون».

يتضح من خلال ما أورده بروكوب أن المور لم يتأثروا بالطعام واللباس الوندالي كما بقي ملوك الوندال في إرتداد المعاطف الأرجوانية كالملوك الجرمان الذين يقلدون بدورهم الأباطرة الرومان، ويظهر هذا عندما توجه الملك جليمر "Gelimer" إلى القسطنطينية بعد إنهزامه أمام بيزنطا مرتديا معطفا من الأرجوان وقد أجبر على خلعه بمنصة الإمبراطور جوستينيان "Justinien"، أما بالنسبة لعامة الوندال فقد كانوا يرتدون القمصان والسرراويل²، وقد فرض هذا اللباس على بعض المترومين العاملين بالقصر الوندالي خاصة خلال فترة حكم الملك هونريك "Huniric".

يبدو أن الوندال تبنا بسرعة مختلف العادات والتقاليد الرومانية³ كالفخامة والحضور للسرك والمدرج والحمامات، وأيضا الإنغماس في المذات من الشراب والخمر، كما أصبحوا يرتدون ملابس قريبة إلى الرومانية من ملابس حريرية شرقية ثمينة، بالإضافة لحلق اللحية والشعر القصير.

كان موقف الملك جنسريك إيجابي إتجاه عادات وتقاليد المور⁴، كما أنهم حافظوا على نقاء الدم الوندالي⁵ حيث منع الزواج بالأجانب خاصة من أعدائهم الرومان.

Ibid, II, VI, 5-6.

Courtois (Ch), op.cit, n^o5, p 299.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 358; Schmidt(L), op.cit, p 230-231.

Leclarcq (H), op.cit, p 171.

Coutrois (Ch), op.cit, n^o5, p 299-230.

1

2

3

4

5

ج- الحياة الثقافية والفكرية:

تمكن علماء اللغة من تصنيف اللغة الوندالية ضمن اللغات الجرمانية والتي أطلقوا عليها تسمية أوستيك "Ostique"¹، وما يؤكد على وجودها نقائش المرمديات الجنائزية بمنطقتي نيوسدروينز (Niesdrewitz) وسدزشتونز (Sedzchutz)، وكذلك نقيشة مكتوبة على رأس رمح بشرق منطقة غاليسيا روزوادوا (Rozwadow)، وتؤرخ هذه النقائش خلال القرن الثالث الميلادي²، ولكن يتضح من خلال علم أسماء الأعلام على عدم تمسك الوندال باللغة الجرمانية³، ذلك أنهم بعد إتصالهم بالإمبراطورية الرومانية الناطقة باللغة اللاتينية أصبح معظم الوندال مزدوجي اللغة.

كما كان لانتشار اللغة اللاتينية ببلاد المغرب القديم واستعمالها في الإدارة والمحاكم والعلاقات الدبلوماسية كونها لغة التعامل بين الناس، أن إضطر الوندال بعد إستقرارهم بالمنطقة إلى تعلمها واتخاذها في المراسلات والعقود الصادرة من مختلف الدواوين⁴، على أساس أن اللغة الوندالية كانت عاجزة عن تأدية بعض المعاني الدقيقة⁵، إلا أن الهدف من ذلك كان من أجل توطيد حكمهم في المنطقة.

وتجدر الإشارة إلى أن الوندال في بداية إحتلالهم لبلاد المغرب القديم كانوا يجهلون اللغة اللاتينية، ذلك أن الملك جنسريك "Genséric" كلف أحد مساعديه بالرد على الأساقفة الكاثوليك الذين كانوا يستعطفونه⁶، ولكن هناك إحتمال أن هذا الملك كان يكره لغة عدوه، كما يمكن أن هذا الملك ليس له الوقت الكافي من أجل تعلم اللغة اللاتينية⁷ لانشغاله بأمور الحكم والتوسعات.

ويبدو أنه خلال فترة خلفاء الملك جنسريك وخاصة في حالة السلم لجأ العديد من الوندال إلى تعلم اللغة اللاتينية ليس للضرورة فقط وإنما من أجل إشتغال أوقات فراغهم، ولكن هذا لا يدل على أن الوندال تخلوا عن لغتهم الجرمانية الوندالية، فقد ظلت لغة

Coutrois (Ch), p 221.

Schmidt (L), op.cit, p 52.

Courtois (Ch), op.cit, p 222.

⁴ محمد الهادي حارث، المرجع السابق، ص 260.

⁵ محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 135.

⁶ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 116.

Courtois (Ch), op.cit, p 222.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

الكنيسة كما حاولوا تطويرها في مختلف الأشكال الأدبية¹، ونلاحظ هذا من خلال الأشعار المكتوبة باللغة اللاتينية، فنجد أنّ الملك جليمر "Gelimer" نظم بقرطاجة مرثيات كثيرة باللغة الوندالية² والتي يندب من خلالها على الأوضاع التي وصلت إليها المملكة الوندالية من الضعف في أواخر عهدها.

وبخصوص تفاعل المور مع اللغة الوندالية، فإننا لا نتوفر على أي مصدر تاريخي يثبت ذلك، فاللغة اللاتينية فرضت نفسها بسرعة في الإدارة وكانت اللغة المتداولة³، ولكن بحكم الإحتكاك اليومي بين الطرفين لا نستبعد أن يكون سكان المنطقة قد تعلموا بعض الكلمات الوندالية.

2- الأوضاع الدينية:

يعتبر صاحب تاريخ الإضطهادات الدينية، المؤرخ فيكتور دي فيتا " Victor de Vita"، من أهم المصادر** التي تناولت السياسة الدينية الوندالية ببلاد المغرب القديم، والتي يبدو أنها اختلفت من فترة إلى أخرى، وذلك بحسب الملوك الذين تعاقبوا على عرش المملكة الوندالية، بحيث كانت لدى بعض الملوك أن إتسمت لديهم بالعنف والاضطهاد

¹ Schmidt (L), op.cit, p 232.

² محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 135.

³ Courtois (Ch), op.cit, p 222.

* فكتور دي فيتا: ولد سنة 440م، وأصبح أسقف مدينة فيتا "Vita" التي يبدو أنها مقر الأسقفية تقع في الناحية الشمالية من بيزاسين وربما تمثل تونس الحالية، بالإضافة إلى نوتيتيا التي تنسب إل هذه الأسقفية، ما يجعلنا نقع في الفخ؛ ذلك أن المؤشرات المختلفة تسمح لنا بالقول أن فكتور لم ينظم إلى الأسقفية في سنة 484م، فقد كان بالفعل رجل دين وعلى ما يبدو أنه كان عضو في رجال الدين بقرطاج، للمزيد، أنظر:

Lancel (S), op.cit, p 1199-1200.

** ينقسم كتاب مؤلف الإضطهادات لفكتور دي فيتا إلى ثلاثة كتب:

-الكتاب الأول: يغطي فترة طويلة من عهد الملك جنسريك، منذ مروره بإفريقيا سنة 429م إلى غاية 477م.

-الكتاب الثاني والثالث: يتعامل مع ثماني سنوات من عهد قصير للملك هونريك و ينتهي مع وفاة هذا الأخير سنة 484.

وبالتالي فإن وصف فيكتور دي فيتا لا يغطي إلا النصف الأول من الإحتلال الوندالي ببلاد المغرب القديم ، مما يوضح عدم التوازن بشكل كبير مع العهدين الأولين، إلا أنّ الكاتب برع في إختراع العنوان لمؤلفه، أنظر:

Lancel (S), op.cit, p 1199-1200.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

في حين إتسمت عند الآخرين بالتسامح الديني، مما يدل على أنّ هذه السياسة الدينية تتحكم فيها مزاج وتصرفات الملوك الوندال.

يزودنا فيكتور دي فيتا "Victor de Vita" من خلال مؤلفه بوقائع موزعة على مدى خمسون عاما من المقاومة داخل مجتمع مضطهد لأسباب دينية من أقلية مرتبطة بالإيمان بالإستشهاد وعلى وجه الخصوص من طرف الكنيسة، مما يدل على أن كتابه عبارة عن نداء للمساعدة؛ ذلك أنّه لم يصف بعض الجوانب من واقع متناقض¹، فقد إقتصر على مختلف حلقات الإضطهاد الطويل الذي شاركت فيه الجهات الفاعلة المتكونة من الوندال والمور والرومان.

ويتضح أن فكتور دي فيتا وقف في مؤلفه عند تاريخ وفاة الملك الوندالي هونريك "Huniric" سنة 484م على الرغم من إمكانية إستمراره، ولكن يظهر أن خليفة الملك هونريك غوانثاموند "Gunthamund" كان متسامحا مع الكاثوليك، وهذا لا يساعد فكتور دي فيتا على حفاظه لنفس اللهجة المثيرة للشفقة²، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن يجعل من نفسه مؤرخا يقتصر في الأساس على الإبداع من قصص الشهود والحقائق المعاصرة. وبهذا يمكننا تمييز ثلاث مراحل رئيسية للسياسة الدينية الوندالية ببلاد المغرب القديم حسب ما أشار إليه المؤرخ كلود بورجوا "Claude Bourgeois"³:

أ- في عهد الملك جنسريك "Genséric" (428-477م):

إختلفت الآراء حول السياسة الدينية لهذا الملك بين من يرى أنّ سياسته تتميز من وجهة أخلاقية أو أنّه عاطفي وبين من يعتبر هذا الملك الوندالي ذو تصاميم واسعة مستقبلية من أجل فرض السيطرة، ذلك أنّه لم يكن من قبل مباليا لأي إيديولوجية معادية للرومنة⁴، فقد حاول إستقطاب الكاثوليك عن طريق أسلوب الإقناع من أجل إعتناق المذهب الأريوسي* الذي يتدين به الوندال.

Lancel (S), op.cit, p 1209.

Ibid, p 1201.

Bourgeois (C), op.cit, p 222-223.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 362.

1

2

3

4

* الأريوسية: نسبة إلى أريوس، أحد رجال الكنيسة المصرية الإسكندرية، والذي ولد في ليبيا من أب ليبي، وقد تلقى تعليمه اللاهوتي في أنطاكية، ويقوم المذهب الأريوسي على أساس نفي صفة الألوهية من المسيح وروح القدس، ذلك أن

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

يتضح أن الملك جنسريك "Genséric" في بداية إحتلاله لبلاد المغرب القديم لم يمارس سياسة الإضطهادات الدينية على الأقل في مرحلتها الأولى التي حددت في الغالب وفقا لظروف وسلوك الكاثوليك دون المبادئ الحقيقية، حيث فضل إتخاذ قرارات التسامح¹ كما أنه كان منشغلا في إرساء قواعد مملكته وكذلك في مواجهة أخطار الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية الشرقية البيزنطية، فلم تثبت الحفريات الأركيولوجية تعرض المدن للحرق²، ولكنه مارس سياسة العداة الثابت بشكل ملحوظ فيما يتعلق بمجموعة لا غنى عنها للكنيسة وأسقفيته.

تغيرت السياسة الدينية للملك جنسريك بعد إستيلائه على عنابة (Hippo Regius) سنة 430م أين أدرك الخطر الذي تشكله الكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع الإمبراطورية الرومانية وخاصة بعد إعتراض القديس سانت أوغسطين "Saint Augustin" للأريوسية، مما دفعه إلى منع أعضاء المحكمة من ممارسة العبادة الكاثوليكية سواء كانوا من الوندال أو الرومان³، وحتى يضمن ولاء خدم قصره فقد أجبر أربعة منهم ذو الأصول الإسبانية على إعتناق المذهب الأريوسي ويتعلق الأمر بأركاديوس "Arcadius"، بشاديوس "Pashadius"، بروبوس "Probus" وأوتكيانوس "Eutycianus"، وعند رفضهم إعتناقهم للأريوسية قام بالتكيل بهم حتى الموت⁴، ذلك أن الملك جنسريك يعتبر الأريوسية أساسا إيديولوجيا للنظام⁵، ولهذا فقد عمل الملك على كسر المعارضة الملحة خاصة ضد الأرسطراطية

الأريوسية لا تعتقد بألوهية المسيح، بحيث إعتبرت أن علاقته علاقة نبوة وليس علاقة مساواة أو مشاركة في ذات الطبيعة الإلهية، ويبدو أن الآراء الأريوسية لقيت تأييدا كبيرا من طرف رجال الدين، مما دعي حضورهم إلى رفع الأمر للإمبراطور قسطنطين الكبير الذي قرر بدوره إنعقاد مجمع ديني في نيقية سنة 315م، وقد تقرر فيه بطلان المذهب الأريوسي وأنّ الإبن من نفس جوهر الأب، وأيد هذا مجمع القسطنطينية سنة 381م، وعلى الرغم من هذه القرارات فقد ظلت الأريوسية منتشرة خاصة في الشرق كما بدأت تنتشر بين رجال القصر الإمبراطوري، مما جعل قسطنطين يتعاطف مع الأريوسية، مما زاد من حدة الصراع المذهبي وانقسام الإمبراطورية إلى غربي كاثوليكي (أثناسيوسي) وشرقي بيزنطي أريوسي، للمزيد أنظر:

Gautier (E.F), op.cit, p 87.

Modéran (Y), op.cit, p 165.

Courtois (Ch), op.cit, n^o5, p 164.

Bourgeois (C), op.cit, p 222.

Martroye (F), op.cit, pp 330,333; Leclercq (H) , op.cit, p 155.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 363.

1
2
3
4
5

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

المتعاونة مع الكنيسة الكاثوليكية¹ التي جسدت العداء النظامي والذي يؤدي في نهاية المطاف إلى إستقطاب المقاومة ضد الوندال.

وعند إستيلاء الملك جنسريك على قرطاج سنة 439م قام بتحويل جميع كنائسها وممتلكات الكاثوليك إلى أملاك الكنيسة الوندالية الأريوسية بينما إحتفظ الكاثوليك بالبازيليك في ضواحي المدينة فقط، وبعدها إتخذ تدابير الطرد فيما يتعلق ببعض رجال الدين ونفي الأساقفة الجدد إلى درجة أن فكتور دي فيتا "Victor de Vita"² أكد على أن هذا العهد كان مثيرا بالشهداء، كما أنهم دمروا تماما المسرح ومعبد الذاكرة وكذلك الشارع الذي كان يسمى كايلاستيس "Rue Caelestis".

يتضح أن عمليات نفي الأساقفة الكاثوليك من طرف الملك جنسريك كانت تتجاوز العقوبات الفردية وأنها تهدف الهيكل الأسقفي، ذلك أن الأسقفية البروقنصلية التي كانت الأكثر تسييسا للمقاطعات الإفريقية قد تعرّضت للتهديد والدمار³، وهذا ما سبب الإستياء والحزن للقديس سانت أوغسطين "Saint Augustin" خلال أيامه الأخيرة من حياته، حيث رأى المدن المدمرة وذبح وقتل السكان أو طردهم وخلو الكنائس من الكهنة، فقد إستسلم البعض وآخرين قضاوا بالسيف والبقية وقعوا في الأسر ومنهم من فر نحو الغابة وسكنوا الكهوف⁴ غير أنهم تمت متابعتهم والقضاء عليهم.

وقد ذكر لنا فكتور دي فيتا "Victor de Vita"⁵ عملية نفي الأسقف القرطاجي كوندالفيتوديس "Quodvultdeus" ومن معه بقوله: «معروف عند الله والرجال، ومعه حشد كبير من رجال الدين، تم حملهم عراة وتجريدهم من القوارب في حالة سيئة، ولكن الرب تحت رحمته تكرم ليقوده إلى مدينة نابلس "Naples" في كامبانيا "Campanie"»، وأضاف أنه بعد طرد الأسقف ورجال الدين قام جنسريك على الفور بتعيين لعبادته الخاصة بكنيسة روستيتا "Restituta" التي هي المقر المعتاد للأساقفة وأخذ ثروتهم وجميع الذين كانوا داخل أسوار المدينة، كما تضاعف عدد المنفيين بعد وفاة الأسقف القرطاجي

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 363.

Victor de Vita, I, 8.

Modèran (Y), op.cit, p 166.

Bièchy, op.cit, pp 262,263.

Victor de Vita, I, 15.

1
2
3
4
5

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

دوغراتوس "Deogratias" سنة 457م¹ وأحرق أسقف أوريس (Urice) مانسويت "Mansuet" وهو على قيد الحياة، فتم تغطية الجسم كله بلوحات من حديد أحمر، واستعملوا التعذيب بالقسوة من أجل إجبار الكهنة على تسليمهم الذهب وأموال الكنائس ما يدل أن الوندال كانوا ضد الكنائس والأديرة خاصة، كما أنهم إنتزعوا الأطفال من أحضان أمهاتهم وتم سحقهم تحت أقدامهم أو تم تقسيمهم إلى جزئين².

كما أخبرنا فيكتور دي فيتا "Victor de Vita"³ عن محنة المسيحيين الأربعة وهم القس مارتينيانوس "Martinianus" رفقة إخوته الثلاث الذين نزلوا عند المور الذين سلمهم الملك جنسريك للزعيم كابسور "Capsur" الذي عاش في منطقة صحراوية تسمى كابرايكلي (Carapichi) والتي وجدوا سكانها على الديانة الوثنية⁴، وفي هذا نجد عدة إشارات من طرف القديس سانت أوغستين "Saint Augustin"⁵ الذي يشير إلى وثنية المور من خلال إشارته إلى الأرزوقيين "Arzugis" في الرسالة التي بعث بها إلى أحد الملوك الكبار بيبكولا "Publicola" التي عبّر فيها عن تخوفاته من انتشار بعض الممارسات الوثنية بإحدى المناطق التي كان له بها مزارع خاصة، كما إعتبر بروكوب "Procope" أن واحة أوجيلة (Augila) إحدى المناطق التي إستمرت بها الديانة الوثنية⁶، إلا أن هؤلاء المبعوثون الذين يسيرون في الصحراء عند وصولهم إلى مدينة قفصة (Capsa) طلبوا من الأسقف أن يعين لهذا الشعب الوثني كاهنا من أجل أي يصبحوا مؤمنين، وبالفعل فقد تم قبول الطلب وكذلك بناء كنيسة فأصبح هؤلاء يتلقون المعمودية بعدد كبير وكان الفضل لهذا القس في نشر المسيحية بينهم⁷.

Modéran (Y), " la Chronologie ", op.cit, p 165. 1

Bièchy, op.cit, 263. 2

Victor de Vita, I, 35. 3

Audollent (A), " La Diffusion Du Christianisme en Afrique au Sud des Territoire Soumis à Rome, Après le Ve Siècle ", in: C.R.A.I et Belles Lettres, 86^{eme} Année, n^o 4-6, p 207. 4

Saint Augustin, Lettre, 4,61-5. 5

يوسف عبيش، المرجع السابق، ص148. 6

Audollent (A), op.cit, p 207. 7

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ولكن حسب ما أورده فيكتور دو فيتا "Victor de Vita"¹، أن كابسور راسل الملك جنسريك ليبلغه بهذا الموقف وبالتالي أثبت بدوره كراهيته، حيث أمر بأن يهلك الجميع وذلك بربطهم من الأقدام بفريق من أربعة خيول يركضون بشجيرات شوكية، ويبدو أنه لما قرب أجل هؤلاء الذين أثاروا حماسة المور ودعوا بعضهم البعض بقولهم: «صلوا من أجلنا، حقق الله رغباتنا: هكذا نصل إلى مملكة السموات».

وقد أرسل الملك جنسريك عدد من جنوده إلى زغوان (Zeugitane) من أجل إلزام الكهنة على تسليم أغراض العبادة وجميع الكتب إلا أنهم رفضوا ذلك، فقام الوندال بنهب كل شيء وصنعوا من أقمشة القديسة القمصان والسراويل القصيرة كما قاموا بقطع الألسنة، وتم خلالها طرد الأسقف فالريانوس "Valerianus" من مدينة أبينسا (Abensa) والذي حارب بشجاعة حتى لا يتم تسليم أغراض العبادة لجنسريك².

كانت للإضطهادات التي قام بها الملك جنسريك أن جعلت من الأساقفة يفكرون في الهروب من الخطر مما دفعهم لاستشارة القديس سانت أوغسطين حول الإجراءات التي يتخذونها للإدانة بها من خلال سؤال كوندالفيثوديس "Quodvltdeus" حول إمكانية التخلي عن خدمة شعبه والانسحاب لتجنب الخطر، ف جاء رد القديس أوغسطين أنه لا يمكن للمؤمنين الهروب من الخطر أو كسر الروابط التي تعرقلهم على خدمتهم مما يدفعهم إلى الإستسلام³، وبعد نشر هذا الجواب يظهر أن الأسقف هونراتوس "Honoratus" لم يجده واضح بما فيه الكفاية وبالتالي إعترض على القديس أوغسطين وقال له الرد من كلمات الإنجيل: «عندما تكون مضطهد في مدينة أهرب إلى أخرى».

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من الخراب والاضطهاد الذي سببه الوندال فإن الجدل الديني كان قائما ولم يمنع القديس سانت أوغسطين للدفاع عن الحقيقة، فقد إستمر في التعامل مع هذا الجدل الذي قام به جوليان "Julien" ضد كتابه على الزواج وكتابه ضد الهرطقة "Hérésiarque" الذي تزامن مع محاصرة الوندال له في عنابة " Hippo Regius" والذي عمل عليه حتى وفاته، كما لديه أيضا كتاب حول مناقشات مهمة ضد

Victor de Vita, I, 37-38.

Ibid, I, 39-40.

Bièchy (A), op.cit, p 264.

1

2

3

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

الأريوسيين البيلاجيين "Pèlagiens" أو شبه البيلاجيين "Sèmi-Pèlagiens" على الغزو والحرب، بالإضافة إلى أن القديس أوغسطين ألف كتابين حول أقدار القديسين "De la Prèdestination des Saints" وهدية المثابرة "Don de la Persèverance"¹.

وفي نهاية القرن الخامس الميلادي أخبرتنا رسالتان من البابا جلاسيوس الأول "Gèlase I" تكشف لنا موقفه من الوندال، حيث كان في الأولى يستنكر الدمار الذي خلفته الحرب بين ثيودريك "Thèodoric" وأودواكر "Odoacre" نظرا للمحافظات بالقرب من روما، في حين أن الرسالة الأخرى تشير إلى مقاومته السابقة للأوامر من الأريوسي أودواكر ويقارن جلاسيوس بين موقفه في تعذيب تحمل الأسقف القرطاجي يوجين "Eugène" ورجال الدين من ضحايا الملك الوندالي هونريك "Huniric"².

وعلى العموم يمكننا أن نسجل عدة نقاط حول مراحل سياسة جنسريك الدينية، ولعلها أهمها في:

- إتسمت سياسة الملك جنسريك بالليونة والحكمة وكذلك حسن التدبير خاصة وأنه أراد منذ البداية إرساء دعائم دولته.

- إستهذفت سياسة الملك جنسريك الدينية الطبقة الأرستقراطية³، ذلك أنّ الكاثوليكية لم تستهدف كعقيدة المؤمنين، فقد كانت سياسته إتجاه الكاثوليك تزداد كلما توترت علاقته مع الإمبراطورية الرومانية، وبرز هذا لما إعتلى الإمبراطور ماجوريان "Majorianus" العرش سارع في التصعيد خوفا من مهاجمة مملكته.

- إختلفت حدة الإضطهادات من منطقة إلى أخرى، حيث إشتدت في البروقنصلية باعتبارها منطقة للممتلكات الوندالية والأكثر تمثيلا من حيث الكثافة السكانية، وقد شمل الإضطهاد فيها كبار رجال الدين من الاساقفة والقساوسة فقط في حين تخلى جنسريك عن إضطهاد الرهبان والراهبات مثل الراهب ماكسما "Maxima"⁴ بإعتبارها منطقة إقامة ممتلكات الوندال وهي الأكثر تمثيلا من حيث الكثافة، أما مناطق كل من المزاق ونوميديا والطرابلسية فإنها لم تعاني من نفس الإضطهادات، حيث أحترمت فيها أماكن العبادة وتم

Bièchy (A), op.cit, p 266 -267.

Courcelle (P), op.cit, p 36.

Modèran (Y), op.cit, p 165.

Martroye (F), op.cit, p 360.

1
2
3
4

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

عزل بعض رجال الدين المناهضين للكيان الوندالي¹، وفي المقابل نجد أن منطقة ريجيا "Regia" بولاية نوميديا قد لحق برجال الدين التقتيل والتتكيل، ولكن حدث بدون علم الملك جنسريك²، مما يدل على أنّ سياسة رجال الدين الأريوس كانت أشد قسوة من الملك نفسه، إلا أن هذا الأخير كان أكثر قسوة مع أفراد عائلته، ذلك أنّه إتخذ إجراءات قاسية في كل من حاول التخلي عن المذهب الأريوسي وحتى على من يحاول الانقلاب ضده ويبرز هذا من خلال نزع أنف و قطع أذن زوجة ابنه هونريك "Huniric" التي حاولت تسميمه.

- بالغ فيكتور دي فيتا "Victor de Vita" في تضخيم سياسة الملك جنسريك "Genséric" الإضطهادية خاصة ما ذكره حول هدم الكنائس الكاثوليكية، حيث يعتقد أنّ كل ما فعله الملك هو تسخير بعضها لخدمة المذهب الأريوسي والبعض الآخر حول إلى إضطرابات لخيول جنوده، فلم يثبت علم الآثار تهديم جنسريك لأي كنيسة³، بل وأكثر من ذلك فقد كانت هناك أحادية العمارة الدينية بين المذهبيين الأريوسيين والكاثوليك في نفس العمارة من حيث التصميم والتخطيط⁴، فقد كان الإختلاف يكمن في الرؤية إلى شخصية المسيح فقط، كما أسندت الممتلكات الدينية الكاثوليكية للوندال من أجل ممارسة شعائرهم الدينية.

- يتضح أن سياسة الملك جنسريك إتجاه الكاثوليك لم تكن سياسة تعسفية بل سياسة ناتجة عن حكمة جنسريك السياسية والدينية التي لا يشوبها أي تعصب أو تطرف⁵، ذلك أنّ فترة حكمه لم تشهد أي محاولة للثورة الدينية، سواء من طرف الكاثوليك أو من باقي المذاهب الدينية الأخرى خاصة الدوناتية، ولكن رفض الدين تركية النظام الوندالي وإعلانهم الولاء لهم تسبب في تفاقم حدة الصراع، فحاولت الكنيسة الكاثوليكية الدفاع عن الدين الرومنة معا فضلا عن مصالحها الإقتصادية⁶، وبالتالي أخذت هذه الصراعات

¹ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 32.

Martroye (F), op.cit, p 371.

Schmidt (L), op.cit, p 86.

²

³

⁴ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 48.

Schmidt (L), op.cit, p 118.

Courtois (Ch), op.cit, p 280.

⁵

⁶

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

منعرجا جديدا في عهد الملك هونريك التي كان سببها تعاون الكنيسة مع طبقة الملاكين الكبار باعتبارهم نواة الرومنة ببلاد المغرب القديم.

- يبدو أن الملك جنسريك لما شعر بدنو أجله لجأ إلى سياسة التخفيف من إجراءاته ضد الكاثوليك¹، وذلك بإعادة فتح كنيسة قرطاج وإعادة كل الأساقفة والقساوسة الذين نفاهم بموجب إتفاقية سنة 476م مع الإمبراطور البيزنطي زينون "Zéno".

ب- في عهد الملك هونريك "Huneric" (477-484م):

يتضح أن الملك هونريك بدأ فترة حكمه بسلسلة من التدابير التي تبعت الإسترخاء إتجاه الكاثوليك²، وذلك للحد من القسوة المفروضة من طرف والده جنسريك "Genséric" ضد الكاثوليك، مما يدل على أنه إحترم بنود الإتفاقية التي جمعت والده مع الإمبراطور البيزنطي زينون "Zéno" عام 476م³ رغبة منه في السلام وخدمة فكرة التسامح الديني⁴ التي جسدها في إنتخاب أسقف قرطاج أوجين "Eugène" سنة 480م⁵ وأشار يافس موديران "Yves Modèran"⁶ إلى تاريخ 478-479م، إلا أن هذا التسامح الديني لم يمتد على كل المملكة نظرا للضعف الأسقي بالبروقنصلية، وقد تم ذكر حوالي 54 أسقف في حين لما كان فكتور دي فيتا "Victor de Vita" عرفت 1641 أسقف⁷.

وكان لتباطؤ الإمبراطور البيزنطي في تنفيذ شروط الملك هونريك المتمثلة في أن يكون للأساقفة الأريوسيين بالقسطنطينية والمقاطعة الشرقية الحق في القيام بالطقوس الدينية الأريوسية وباللغة التي يختارونها وإلا سوف يتم نفي الأسقف الجديد وكل رجال الدين عند المور⁸ سبب إتخاذ الملك هونريك لقرار إضطهاد الكاثوليك والتتكيل.

ويبدو أن الملك هونريك فرض على كل موظفي الإدارة والمحاكم إعتناق الأريوسية ما دفع بالكثير من الكاثوليك إلى مغادرة وظائفهم، ومن أجل التراجع عن قرارهم قام

Gautier (E.F), op.cit, p 202.

Bourgeois (C), op.cit, p 222.

Courtois (Ch), op.cit, p 293.

Mercier (E), op.cit, XI.

Victor de Vita, II, 1.

Modèran (Y), op.cit, p 166.

Loc.Cit.

Courtois (Ch), op.cit, p 264.

1

2

3

4

5

6

7

8

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

بتجريدهم من كل ممتلكاتهم¹، غير أنّ هؤلاء الكاثوليك لم يتخلو عن مذهبهم مما أدى بهم للنفي إلى جزيرتي صقلية وسردينيا، بل وهاجم أيضا الملك الممتلكات الكاثوليكية وحولها إلى الأريوسية²، وبالتالي إضطر الإمبراطور البيزنطي زينون "Zeno" إلى إرسال سفارة ثانية إلى الملك هونريك برئاسة ريجينون "Règinon"³ للتخلي عن هذه الممارسات إتجاه الكاثوليك.

وبعد أن وجهت معاناة الديانة الكاثوليكية للإمبراطور زينون إستدعي بدوره الملك هونريك في سنة 484م إلى مجلس قرطاج أين جمع الأساقفة الأرثوذكس والدوناتيين والأريوسيين من أجل التقارب فيما بينهم إلا أنه باء بالفشل، ذلك أن الأريوسيين كانوا هم الغالبية وبالتالي تم إدانة الكاثوليك وأصدر الملك هونريك تدابير جديدة للإكراه ضد الكاثوليك⁴، وتبرز من خلال المرسوم:

-مرسوم 7فيفري 484م: ينص على نقل جميع ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية إلى الأريوسية⁵.

-مرسوم 25فيفري 484م: الذي ينص على إجبار الكاثوليك على إعتناق الأريوسية وفرض الضرائب عليهم⁶.

ومن خلال هذه المراسيم لسنة 484م تم إشتداد الإضطهاد ضد جميع الكاثوليك⁷، حيث أغلقت المباني الدينية وتم تسليمها للأريوسية ومنحت الممتلكات الكنسية لرجال الدين الوندال⁸، كما تم نفي الأساقفة بعيدا عن أبرشياتهم وطرد آخرون نحو كورسيكا، وقد تم التأكيد على هذه المؤشرات من طرف وقائع مارسيلينوس "Marcellinus" التي تضم 33 من المنفيين ونجد في نوتيتيا(Notita) حوالي 46 من الأساقفة المنفيين لكورسيكا بالإضافة إلى 302 متناثر ببلاد المغرب القديم⁹.

Diehl (Ch), op.cit, p 10.

Courtois (Ch), op.cit, p 294.

³ فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 95.

Mercier (E), op.cit, XIII.

Bourgeois (C), op.cit, p 222.

Courtois (Ch), op.cit, p 299.

Modèran (Y), op.cit, p 166.

Gsell (S), op.cit, p 129.

Modèran (Y), op.cit, p 166.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

وقد زودنا جان يانوسكي " Jean Yanoski"¹ قصة هذا الإضطهاد مكتوبة في سنة 487م من طرف فيكتور دي فيتا "Victor de Vita" الذي أورد 461 أسقف بأسمائهم بما في ذلك تلك الموجودة في الجزر بالإضافة إلى 14 مقعد شاغر وقد تم توزيعها كالتالي:

- مقاطعة البروقنصلية (Proconsulaire) : 54 أسقف.
- مقاطعة نوميديا (Numidie) : 125 أسقف.
- مقاطعة بيزاسين (Byzacène) : 115 أسقف.
- مقاطعة موريطانيا القيصرية (Cèsérienne) : 126 أسقف.
- مقاطعة موريطانيا السطيفية (Sitifiennne) : 42 أسقف.
- مقاطعة المدن الثلاث (Tripolitaine) : 05 أسقف.
- مقاطعة سردينيا : 08 أسقف.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم نجد مقاطعة موريطانيا الطنجية "Tingitane"، فمن المحتمل أن تكون هذه المقاطعة في قائمة موريطانيا القيصرية، ولكن هذا الإحتمال مشكوك فيه مما يدفعنا للتساؤل حول ما إذا لم يكن لديها أساقفة أو قبله أساقفة الأريوسية، فقد كان لحضور أساقفة الكاثوليك من سردينيا وجزر البليار ولا يمكن التصديق من موريطانيا الطنجية، وإذا كان قد تم طرح الدعوة من الملك هونريك على ذريعة إتحادهم من حيث الطاعة الكنسية فهي تنتمي بدون شك إلى الوندال خلال حكم الملك جنسريك²، ولكن كانت أول من يحارب من طرف خلفائه.

وقد تم تجميع 4976 رجل دين من الأساقفة والكهنة والشمامسة من الكاثوليك في الكاف (Sicca)³، في حين نجد أن كل من كلود بوجوا " Claude Bourgeois"⁴ وأوغست أودلون " Auguste Audollent"⁵ أشارا للعدد 4966 وهم الذين رفضوا التحويل ونفيهم نحو

Yanoski (J), op.cit, p 242 .

Loc.cit.

Mercier (E), op.cit, p 151.

Bourgeois (C), op.cit, p 222.

Audollent (A), op.cit, p 209.

1
2
3
4
5

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

المناطق الصحراوية في أرض المور¹، حيث ذكر أن هذه الهجرات إستمرت إلى الأديرة في جنوب أو غرب بيزاسين مؤرخة منذ عهد الملك الوندالي هونريك².

وبغض النظر عن سياسة النفي التي مارسها الملك هونريك فإن هناك تقدم المسيحية في الأراضي الجنوبية ما يدل على تغلغل ديني منتظم نحو الجنوب³، ومن الأساقفة الذين تم إرسالهم من طرف الملك نجد أسقف قرطاج أوجين "Eugène" الذي أرسل إلى أحد زملاء الملك الأريوسيين أنطونيوس "Antonius" بعيدا عن الصحراء من أجل إضطهاده⁴.

وكان المسيحيون الكاثوليك يطبق عليهم الملك هونريك "Huneric" القوانين التي حصلوا عليها من الأباطرة ضد الدوناتيين، وقد تلقت هذه القوانين في بعض المناطق مقاومة قوية مثل تيبازة (Tafza)، ذلك أن جميع السكان رفضوا الإعتراف بالأسقف الأريوسي الذي كان يريد أن يفرض ويشرع لإسبانيا، ويبدو أن الأفارقة إضطروا للانتظار مدة 12 عام تقريبا قبل الحصول على إذن للعودة إلى كنائسهم⁵.

وبالتالي فقد تميّزت السياسة الإضطهادية للملك هونريك بانتشار التنكيل والقتل لأولئك الذين رفضوا تنفيذ الأوامر وكان عهده مظهر للغضب الإلهي في صورة المضطهد، وعلى الرغم من أنه كان إضطهادا قصيرا إلا أنه كان عنيفا⁶ لدرجة أن جعل كل من كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁷ وفليكس غوتيه "Emile Félix Gautier"⁸ حدة إضطهاده بمثابة إضطها ديوقلسيان "Diocletianus" للمسيحيين.

Mercier (E), op.cit, X.

Lancel (S), op.cit, p 1215.

Audollent (A), op.cit, p 210-211 .

Ibid, P 210.

Gsell (S), op.cit, p 129.

Bourgeois (C), op.cit, p 222 .

Courtois (Ch), op.cit, p 295.

Gautier (E. F), op.cit, p 201.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

وتجدر الإشارة إلى أن إضطهادات الملك هونريك تزامنت مع إنتشار المجاعة والأمراض¹، مما إعتبره فيكتور دي فيتا "Victor de Vita" بأنه غضب إلهي على فساد الأريوسيين² الذي إستمر ثماني سنوات إنتهى بموت الملك هونريك في 13 ديسمبر 484م.

ج- في عهد خلفاء هونريك "Honiric" (484-533م):

خلال هذه المرحلة من السياسة الدينية الوندالية كانت القوانين لا تزال سارية المفعول ولكن لم تعد تطبق بشدة في عهد الملك غوانثاموند "Gunthamund"، وكذلك خلال عهد الملك ترازموند "Trasamund"، حيث أعيد فتح عدد من الأديرة خلال حكم هلدريك "Hildéric" الذي هو نصف روماني من طرف والدته إدوكسيا "Eudocia"، ومن بعده الملك جليمر "Gelmer" الذي لا يحدث أي تغيير، وعموما فقد تميزت هذه الفترة بتهدئة الأوضاع ومحاولة الحفاظ على السلم.

1- في عهد الملك غوانثاموند "Gunthamund" (484-496م):

إستمر الملك غوانثاموند في السنوات الأولى من توليه العرش في نهج سياسة الإضطهاد الديني³ وجعل الكنيسة الأريوسية في مقاطعة البروقنصلية الأكثر تمثيلا وكانت تتضمن 164 أسقفية ثم إنخفض العدد إلى 54 أسقفية في سنة 484م ثم إلى أسقفيات في سنة 487م⁴، إلا أن الملك إضطر إلى التخلي عن صرامته إتجاه الكاثوليك في سنة 487م، وهذا لعدة أسباب، فمن جهة كان هناك الضغط الموري على ولايتي المزاق والقيصرية، ومن جهة أخرى تدخل الإمبراطور البيزنطي المستمر وتحرك الكاثوليك لاسترجاع حريتهم خاصة بعد إنعقاد المجمع الروماني في سنة 487م، أين تحصل الكاثوليك بموجبه على بعض الحقوق مثل حرية التنقل⁵، إلى جانب أن الملك الوندالي أراد أن يكسب الهدوء من أوروبا لذلك عقد مع الإمبراطور ثيودريك "Théodoric" معاهدة حول سيادة إيطاليا التي بموجبها تخلى له عن بقية صقلية⁶.

¹ فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 98.

Mercier (E) op.cit, p 152.

Schmidt (L), op.cit, p 135.

Martroye (F), op.cit, p 358-359.

Courtois (Ch) op.cit, p 301.

Mercier (E), op.cit, XIV.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

وبالتالي فقد كان الملك غوانثاموند أكثر تسامحا ويتضح ذلك في عودة الأرثوذكس من المنفى واستيلائهم تدريجيا على ممتلكاتهم وكنائسهم ومن هؤلاء نجد القديس أوجين "Eugène" الذي إستطاع إستعادة مقعده ومقره في قرطاج¹، كما أن الملك أعلن في سنة 494م عن التسامح الديني وإعادة فتح الكنائس الكاثوليكية² والسماح لهؤلاء بممارسة طقوسهم الدينية.

ولكن يبدو أن هذا التسامح المعلن لم يدم طويلا وأحيانا كان ضعيف التطبيق، فلا شئ يسمح لإستيعاب أن عهد الملك غوانثاموند هو مرحلة للتسامح الحقيقي، ففي الواقع توقف العنف وتمكن المؤمنون من ممارسة دينهم، غير أن الأسقفية بقيت ضحية تدابير قمعية تمنعها من ممارسة دورها وتجديد نفسها، مما يؤكد على وجود إستمرار في مناهضة الأسقفيات وذلك عن طريق المنفى المطول والمتكرر خاصة الأساقفة الجدد³، ما أثر على حياة الكنيسة الكاثوليكية الإفريقية كما شكلت هذه الإستمرارية جانب أساسي لتاريخ إفريقيا الوندالية.

2- في عهد ترازموند "Trasamund" (496-523م):

إستمر الملك ترازموند في سياسة المهادنة التي بدأها سلفه، حيث لم يمارس الإضطهاد لأتباع الكاثوليك باستعمال العنف وإنما سعى في البحث عن الأسباب التي أدت إلى رفض الكاثوليك للمذهب الأريوسي⁴، ذلك أنه إستهل حكمه بمحاولة إستمالة الكاثوليك عن طريق منحهم إمتيازات ما أدى لتظاهرهم أمامه بتخليهم عن الكاثوليكية. ويبدو أن الملك ترازموند كان أكثر ذكاء من أسلافه، فقد كان يتفادى اللجوء إلى العنف في إقناع الغير حول مصداقية الرسالة الدينية الأريوسية⁵، وكان يكرم كل من أخذ بنصيحته ويهجر من يعانده⁶، كما أنه حاور الكاثوليك عوض محاربتهم⁷ وأحسن معاملتهم، ويظهر أن ذلك كان نابعا من خصاله وثقافته الواسعة خاصة في علم اللاهوت.

Schmidt (L) op.cit, p 135.

Modèran (Y), op.cit, p 168.

Ibid, p 168-172.

Bourgeois (C), op.cit, p 222.

Courtois (Ch), op.cit, p 202.

⁶ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 50.

Leclercq (H), op.cit, p 201.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

ويتضح أن الملك ترازموند لم يسمح بإعادة تنظيم الكنيسة الأرثوذكسية¹ كما منع في بعض الحالات تنصيب أساقفة جدد في مكان الذين توفتهم المنية في مقاطعة المزاق، لكن من تناقضات هذا الملك أنه لم يمنع أبدا العبادات الكاثوليكية بل شهدت فترة بناء معالم دينية جديدة أو وسع البعض الآخر كالمجمع الأسقي لمدينة سبيطة (Sbeitla) أو الأعمال التي أقيمت في الهنشير²، كما كانت سياسة النفي مستمرة إلى سنة 508م خلال هذا العهد السلمي، حيث تم نفي القديس أوجين "Eugène" قبل 499م ما يدل أن الملك ترازموند مارس عملية النفي في بداية حكمه³ وفي سنة 523م توفي الملك ترازموند، ولكن أوصى خليفته هلدريك على سياسة التسامح مع الكاثوليك⁴.

3- في عهد هلدريك "Hildéric" (523-530م):

كانت أولى رعاية للملك هلدريك أنه حاول التوفيق بين الكاثوليك والأريوس ولهذا الغرض إستدعي في سنة 524م في قرطاج لمجلس جديد إلا أن هذا الإتفاق إنتهى بجدال بين الأساقفة⁵، لكن الملك إسترد للكنيسة الكاثوليكية حريتها وأمر بعودة الأساقفة وتعيين أسقف جديد بقرطاج⁶.

ويبدو أن الكنيسة الكاثوليكية تعايشت مع الكنيسة الأريوسية وهذا راجع لمزايا الملك هلدريك الرومانية، ذلك أن أمه كانت إدوكسيا "Eudocia" الرومانية وحفيد الإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinianus III"، ما يدل على أنه نشأ في بلاط الإمبراطور لمدة 30 سنة⁷، كما أن هذا التعايش يعود أيضا إلى شروط التحالف الوندالي مع الإمبراطور جوستينيان "Justinien"، حيث أن الملك هلدريك إقترب من محكمة الشرق وكان الإمبراطور جوستينيان قد إستقر خلال إقامته في القسطنطينية "Constantinople" وقد إعتلى العرش

Mercier (E), op.cit, XV.

1

² سليم دريسي، المرجع السابق، ص 50.

3

Schmidt (L), op.cit,p 138-139.

Mercier (E), op.cit, XV.

4

Ibid, XVI.

5

Leclercq (H), op.cit, p 201 .

6

⁷ محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 128.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

مؤخرا فطلب دعمه دون تداعيات التبعية¹، كما يمكن أن يكون أيضا بسبب الضعف الذي سيطر على حكمه نتيجة مقاومة المور.

وكان للفشل الذي وصل إلى ذروة السخط العام في عهد هلدريك أن إغتم جليمر "Gelimer" حفيد جانزون "Genzon" الفرصة ليعلن من طرف الجنود نهاية الملك هلدريك والحصول على العرش مكانه، وألقي الملك هلدريك في السجن².

4- في عهد الملك جليمر "Gelimer" (530-533م):

يتضح أن الملك جليمر لم يكن لديه الوقت الكافي ليقوم باتخاذ أي سياسة دينية جديدة، فبمجرد أن إستولى على عرش المملكة أرسل إليه الإمبراطور جوستينيان "Justinien" حملة بقيادة بيلزاريوس "Belisaire" إنتقاما لما أصاب صديقه هلدريك الذي عزله وأدخله السجن³.

ومن خلال دراستنا للسياسة الدينية الوندالية ببلاد المغرب القديم نلاحظ أن الإضطهاد مس الكنيسة الكاثوليكية نظرا لرفضها للمذهب الأريوسي، في حين نجد أن الدوناتيين المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية كانوا يشتركون مع الأريوسيين⁴ وذلك بحكم العلاقات الطيبة التي تربطهم بالوندال في بداية إحتلاله للمنطقة، كما لم نلاحظ أي إضطهاد مارسه الأريوسيين ضد المور الذين حافظوا على عقيدتهم الوثنية ولم يحاول الوندال نشر الأريوسية بينهم⁵، ذلك أن كل ما يهتمهم المصلحة السياسية على المصلحة الدينية.

والراجع أن المور رفضوا المذهب الأريوسي وقد قاوموا هؤلاء سواء الموجودين داخل المدن أو الخارجة عن سلطة الإدارة الوندالية الأريوسية، وما يدل على ذلك هو إستقبال الزعيم ماستياس "Masties" الموري سنة 484م للمسيحيين الذين نفاهم الملك الوندالي هونريك إلى جانب رحلة كابوون "Cabaon" من قرطاج إلى ولاية الطرابلسية لمقاومة

Mercier (E), op. cit, XVI.

Ibid, p 155.

³ محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 129.

Wahl(M),op.cit, p 81.

⁵ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 294.

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

الوندال الذين عاثوا بإحدى الكنائس الفساد، وبالتالي سارع رجال كابوون إلى تنظيفها وبعد إنتهائهم انحنوا إجلالا لأساقفتها وتصدقوا ببعض الأموال للفقراء¹.

من الواضح أن الوندال كانوا يهدفون من سياستهم الدينية الإضطهادية لضرب الأساقفة الكاثوليك المنحدرين من العائلات النبيلة مما مكنهم من تقوية نفوذهم داخل المدن منذ نهاية القرن الرابع الميلاد ذلك أنّ لهم دور كبير في التدخل بالمشاكل القضائية، وبالتالي فإن أتباع المذهب الكاثوليكي غالبا ما يتوجهون للتدخل لدى المسؤولين في الإدارة الرومانية لقضاء طلباتهم، مما يدل على تدخل هؤلاء الأساقفة في الشؤون السياسية والإدارية وكذلك في الشؤون الداخلية للمدن وطرق تسييرها.

كانت الكنيسة الكاثوليكية تعمل في وظيفة إعتبارات سياسية أكثر منها دينية، لذا كانت دائما القوة القاتلة للوندال من خلال مقاومتها النظامية²، كما أنها إستعملت ذريعة الأريوسية للدفاع عن القضية الرومانية مما أدى إلى حرب دينية ، هذا من ناحية، و من ناحية أخرى فالأزمة الداخلية لبلاد المغرب القديم ولدت من إستبداد الأرسقراطية أصحاب الأراضي الرومانية الكثيرة³، وبهذا دافعت الكنيسة عن نفسها على إعتقاد أنها من الضروري تناول قضية السيناتور.

وبالتالي فإن السياسة الوندالية المعادية للكاثوليكية لا تهدف مباشرة المؤمنين و نادرا ما أخذوا شكل الإضطهاد العنيف لضرب الهيئة الأسقفية من أجل الحد من دورهم السياسي⁴، ومنه فالوندال إستهدفوا من ذلك العنصر الوحيد بين النخب الإدارية التي يمكن أن تعيق الكيان الوندالي.

وفي صفة القول حول هذا الفصل يتضح أنّ الوندال حافظوا إلى حد كبير على الحضارة الرومانية منها اللغة اللاتينية في تعاملاتهم الإدارية والسياسية بل وعملوا على تمازج العناصر الوندالية، الرومانية والمورية، وذلك من خلال إستعانتهم بالعنصر الروماني في النظم الإدارية والسياسية رغم العداوة معهم كما تحالفوا مع العنصر الموري خاصة خلال فترة حكم الملك جنسريك.

Procope, I, 20.

Modèran (Y), op.cit, p 164.

Bourgeois (C), op.cit, p 223.

Modèran (Y), op.cit, p 175.

1

2

3

4

الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.

على الرغم من السيطرة الجزئية للوندال على بلاد المغرب القديم يتضح أن المور كان وضعهم أحسن مما كانوا عليه أواخر عهد الإمبراطورية الرومانية خاصة في من الناحية الإقتصادية، فقد كان لإيقاف الوندال من التموينات (القمح خاصة) التي كانت ترسل نحو روما أن ساهمت في تحسين الوضع المعيشي للسكان برواج هذه المادة في السوق المحلية وانخفاض أسعارها، كما كانت الضرائب أخف مما كانت عليه من قبل وتبرز ألواح ألبرتينى أنّ الوندال لم يقوموا بمصادرة أملاك الفلاحين التي تعتبر مصدر الحياة الإقتصادية وإنما قاموا بنزع أراضي كبار رجال الإقطاع من الرومان.

ويبدو أن الوندال لم يرتكبوا وحشية أكثر مما كان يرتكبه غيرهم في عهدهم، وأنهم أبرياء من تهمة تهديم وتخريب المعالم المعمارية الحضارية، فكل هذه التهم كانت من طرف الكتاب الكاثوليك أعدائهم الذين إتهموهم بالتعصب الديني وإحراق المدن والمنشآت الكنسية والتكيل برجال الدين بمختلف أنواع التعذيب، وما ساعد على تكريس هذه التهم هو عدم تدوين الوندال لتاريخهم بأنفسهم.

وعلى الرغم من الدور الحضاري الوندالي ببلاد المغرب القديم والذي كان لا يرق للدور الحضاري الروماني إلا أن هؤلاء الوندال أظهروا تعايشا مع الثقافات الأخرى من ناحية الآداب واللغة؛ فليس هناك ما يدل على أنّهم قاموا بتدمير المعالم وحرق المكتبات أو أنّهم إضطهدوا الأدباء ومؤلفي هذه الفترة، وهذا ما يفسر سماحتهم على الرغم من أنهم حاولوا فرض بعض مقوماته الحضارية على المجتمع الموري في الميدان الديني واللغة وكذلك العادات والتقاليد.

كانت الدوافع السياسية وراء إنتهاج الوندال للسياسة الدينية الإضطهادية ضد رجال الدين الذين ساندوا سياسة روما الهادفة إلى قمع الوندال في المنطقة، وبما أن التاريخ الوندالي كتب على يد رجال الدين هؤلاء فإنه لم يتم إنصافهم ما يدل على أن إرتباط إسم الوندال بالدمار والخراب ناتج عن تأثير الكنيسة ورجال الدين.

الفصل الرابع : موقف المور من الإحتلال الوندالي.

أولا-موقف المور من جنسريك أثناء الزحف الوندالي.

ثانيا-موقف الممالك الغربية من الإحتلال.

ثالثا-ثورات الممالك الشرقية ووقوفها أمام الزحف الوندالي.

1- مملكة أورتياس

2- ثورة الأوراسيين

رابعا- ثورات ممالك ولاية الطرابلسية والمزاق

3-ثورة كابوون

4-ثورة أنطلاس

خامسا-مقاومة القبائل للحكم الوندالي.

1-ثورة قبائل موريطانيا الطنجية

2-ثورة قبائل الكورسنسيين

3-ثورة القبائل المجهولة

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

كان لمحدودية الحكم الوندالي ببلاد المغرب القديم الذي تركز خاصة بشمال قرطاجة وجزء كبير من نوميديا وعدم إهتمام الملك جنسريك "Genséric" باللمس وتفكيكه لتحسينات المدن حتى لا تكون ملجأ لحركات التمرد المحتملة أن جعل السلطة الفعلية لهذه الأراضي تمارس من طرف ملوك المور أو الملوك الأقل رومنة والتي تمكنت بجمع عدد من القبائل لتشكيل ممالك حقيقية مستقلة.

شاركت الوحدات المورية القوات الوندالية في معظم حروبها ضد الإمبراطورية الرومانية الغربية والشرقية البيزنطية، ولكن بعد وفاة الملك جنسريك ضعفت المملكة الوندالية بالتدرج فكان على هؤلاء الملوك والقبائل المورية ضرورة الحفاظ على أراضيهم وذلك عن طريق قيامهم بثورات عبرت عن رفضهم للوجود الوندالي في كل من موريطانيا، نوميديا، بيزاسين، ومن طرف الأوراسيين الموجودين بالجنال وكذلك بدو الطرابلسية بزعامة كابوون الذين إستوعبوا الأراضي الرومانية القديمة.

ويبدو أن مصادر الفترة المتأخرة خاصة ما تعلق بالمؤرخ بروكوب "Procopé de Césarea" صاحب الحرب الوندالية "Bellum Vandalorum"* والمراجع الحديثة أمثال يافس موديران "Yves Modéran" وكريستيان كورتوا "Christian Courtois" التي تناولت مراحل المقاومة المورية ضد الإحتلال الوندالي إختلفت حول أهمية هذه الثورات في إضعاف الحكم الوندالي ببلاد المغرب القديم، واعتبرت أن هذه الثورات لم تتوسع في كامل المنطقة

* تشكل مؤلفات بروكوب المصدر الأساسي لدراسة جزء هام من تاريخ بلاد المغرب القديم خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ومن أهم مؤلفاته كتب الحروب الثمانية التي تتطرق في إحداها للحرب الوندالية "Bellum Vandalorum" الذي تابع فيه كل أطوار حرب البيزنطيين بالمنطقة، وذلك على إعتباره الكاتب الرسمي للجنرال بليزاريوس، وقد ركز فيه على تاريخ الشعب الوندالي وزحفه لبلد المغرب القديم مع إستعراض وجيز لملوك الوندال والأحداث الهامة التي ميّزت وجودهم في المنطقة إلى جانب تقاليده وعاداته، وقد إعتبرهم السبب الأساسي في خراب إفريقيا واضطهاد مسيحيها، كم تطرق أيضا لوضعية الإمارات المورية التي أبرزها على أنها تتقبل الهيمنة الرومانية، لدرجة أن جعلت الأستاذ عيش يوسف يقر على أنه من الأجدد تسمية الكتاب بالحرب المورية كون أن هذه الأخيرة تحتل النسبة الأكبر في عملية السرد التاريخي، وعلى الرغم لما تتسم كتاباته بالجدية والدقة، فالمسألة المورية بالنسبة له ليست سوى إجتراح الموقف الرسمي للإمبراطورية. للمزيد أنظر، يوسف عيش، المرجع السابق، ص 13.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

وشملت المناطق الجبلية وبالتالي فإنها لم تهدد الكيان الوندالي، مما دفعنا للبحث عن مدى تهديد الثورات المورية للحكم الوندالي وتمهيدها للإحتلال البيزنطي.

أولا-موقف المور من جنسريك أثناء الزحف الوندالي:

من خلال دراستنا لموقف الإمبراطوريتين، الغربية الرومانية والشرقية البيزنطية، من الزحف الجنسريكي وكذلك مراحل الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم نستشف أن الوندال كانوا على علاقة ودية مع المور على طول مسارهم من الغرب نحو الشرق، حيث كان لنزول الوندال على أرض هذه المنطقة أن إنعكس على معنوية الثوار الدوناتيين والموريين، مما يدل على مدى مساهمة المور في الدخول الوندالي وتكوينه لمملكته في المنطقة، كما عرف بدوره الملك الوندالي جنسريك "Genséric" كيف يحافظ على علاقاته مع الموريين في إطار الإحترام المتبادل التي إستغلها لصالحه.

ومن خلال الرسالة التي بعث بها القديس سانت أوغسطين "Saint Augustin"¹ إلى الكونت بونيفاص "Boniface" سنة 429م في قوله: « وبعد ذلك ومن جهة أخرى ماذا عساني أن أقول حول إجتياح إفريقيا التي لم يظهر فيها الأفارقة أي مقاومة» يتضح أن هذا الزحف الجنسريكي لم يتلق أي مقاومة تذكر من طرف المور، كما كان للملخص الذي كونه المؤرخ بروكوب "Procopé"² حول تاريخ العلاقات ما بين الوندال والمور طيلة فترة بقائه بالمنطقة التي دامت ثلاث سنوات (533-536م) أن أكد فيه على أن الملك الوندالي جنسريك كان قادرا على إحتواء المور حين ظل هؤلاء هادئين لخوفهم من بطشه لكن عندما توفي أساؤوا كثيرا إلى الوندال³، وهذا ما دفع كل من كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁴ وجان يانوسكي "Jean Yanoski"⁵ وكذلك فرانسوا مورتغراي "François

Augustin (St), Epistolae, CCXX, 7, P.L; XXXIII, Col 995,d'Après:

1

محمد اللبار، «الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م»، ص 31.

Procopé, I, V, 22-23.

2

Modèran (Y), « De Julius Honorius », p 269.

3

Courtois (Ch), op.cit, p 340.

4

Yanoski (J), op.cit, p 11.

5

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

Martroye¹ إلى إستخلاص وجود تحالف ثنائي يربط هؤلاء المور بالوندال خلال فترة حكم الملك جنسريك (429-477م).

وما يؤكد على علاقة التعاون السائدة بين المور والملك جنسريك أن هؤلاء الأهالي لعبوا دور المرشدين للوندال لمختلف الطرق والمسالك المؤدية نحو الجهة الشرقية للمنطقة من أجل القضاء على العدو المشترك، إلى جانب أن رجال الدين الدوناتيين كانوا يرددون على أن الإجتياح الوندالي لبلاد المغرب القديم هو عقوبة إلهية² ضد الرومان وكبار الملاك وكهنة الكنيسة الكاثوليكية.

كما شارك المور تحت لواء الوندال في عدة إغارات وحملات على مختلف جزر البحر المتوسط وضمها إلى ممتلكاته، حيث قاموا بالإغارة لجزر البليار سنة 425م إلا أن هذا لا يعني إخضاعها للسيادة الوندالية ذلك أنها ظلت خاضعة لإسبانيا حتى سنة 449م³، وأشار فيكتور دي فيتا "Victor de Vita"⁴ أن إستيلاء الملك جنسريك عليها عقب وفاة الإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinien III" سنة 455م.

إلى جانب الحملة التي نظمها الملك جنسريك على جزيرة صقيلية وذلك في ربيع 440م، ولم تسفر هذه الحملة إلا عن إلحاق الدمار بالجزيرة وانسحاب الوندال في نهاية نفس السنة إلى الشمال الإفريقي، وتجدر الإشارة إلى مساندة الأريين من سكان صقيلية للغزاة الوندال وحسب ما أشار إليه هيداس "Hydace"⁵ في حوليته كان على رأس هؤلاء زعيم يدعى مكسيمينوس "Maximinus"، وقد كان إجتياح الوندال للجزيرة سنة 455م، وكذلك جزيرتي كورسيكا وسردينيا التي ظلت تحت السيادة الرومانية لغاية وفاة الإمبراطور فالنتينيان الثالث سنة 455م⁶ حيث إحتلها جنسريك مدعيا أنها من أملاكه.

Martroye (F), op.cit, p70 .

² محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 294.

³ Hydace, Chronico, dans M.G.H.a.a, t XI, p 21, d'après :

فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، رقم12، ص 11.

⁴ Victor de Vita, I, 13.

⁵ Hydace, Chron ; 120, dans M.G.H.a.a, t XI, p 23, d'après :

فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، رقم13، ص 11.

⁶ Victor de Vita, I, 13.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

بالإضافة إلى غزوهم لإيطاليا على إثر سلسلة من الإغارات، وكانت الإغارة الأولى في ربيع 458م، وبينما قام الوندال بأعمال السلب والنهب كان المور ينتظرون في سفنهم الغنائم التي سيحملها إليهم الأسرى، ثم شن الوندال إغارة ثانية في خريف 461م وثالثة في سنة 463م، إلا أنّ هذه الحملات خفت فاعليتها منذ سن 468م بسبب قلة أعداد الجنود¹.

كما كان لغزوهم على مدينة روما سنة 455م² أن أمر على إثره الملك جنسريك بنفي القس مارتينيانوس "Martinianus" وإخوته الثلاث لدى أحد أمراء المور بمملكة كبسور "Capsur" الذي يبسط نفوذه على جانب من الصحراء³، وكذلك مشاركة المور إلى جانب الوندال في عمليات حربية ضد المصالح الرومانية في إيليريا، الإغريق والجزر المجاورة لها⁴، ومن أهم الحملات التي شارك فيها المور إلى جانب الوندال، الحملة على سهل كمبانيا سنة 458م، فقد ذكر سيدوان أبولينير "Sidione Apollinaire"⁵ أن المور كانوا ينزلون من سفنهم ويهاجمون المدن والقرى ويضرمون النيران في المنازل والأسواق ثم يتم نهبها، ويتم تقسيم الغنائم والرهائن بين المور والوندال بعد عودتهم إلى قرطاجنة، مما يدل على العلاقة بين الحلفاء التي كانت تربط هذين الشعبين ضد عدوهم الوحيد في روما.

كما تجسدت العلاقة المورية الوندالية الودية بين المور والوندال في المسحيين المضطهدين الذين سلمهم الملك جنسريك لأحد ملوك المور كابسور، مما يدل على عمق العلاقة ومتانتها بين الملكين.

ومن أهم القبائل التي تعاملت مع الوندال نجد الجيتول، النوميديون، الجرامنت، الأوطولول، الأورزوج، المرمريد، البسيلي والناسمون وكذلك الدوناتيون، وقد كان هؤلاء المور يرون في الوندال على أنّهم المنقذين من البطش الروماني خاصة ما تعلق

¹ فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، رقم 14، ص 12.

Morazzani (A), op.cit, p 455.

³ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 35.

⁴ Courtois (Ch), op.cit, p 232 ; Morazzani (A), op.cit, p 553.

⁵ Sidoin, V, 336, P195-196,d'Après :

فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 29

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

بالضرائب¹، حيث سئمت هذه القبائل من الظلم الجبائي الروماني ومن الإستغلال الروماني لخيرات وثورات المنطقة، كما سئمت أيضا من فساد الإدارة الرومانية²، وبالتالي لم تسجل المصادر التاريخية ولو إشارة ضمنية يستفاد منها أنّ هؤلاء الموريين قد إصطدموا مع الوندال طيلة عهد الملك جنسريك إلى غاية وفاته مطلع سنة 477م.

ولكن يتضح أن الملك الوندالي جنسريك بعد تحطيمه لكل الأسوار الدفاعية للمدن ما عدا سور مدينة قرطاج*، وكذلك عدم إهتمامه بإقامته لخط اللمس أن مهّد الطريق للموريين في تقوية نفوذهم مستغلين بذلك قلة عدد الوندال مما جعل هؤلاء يواجهون خطر سكان المور من جهة والخطر البيزنطي من جهة أخرى، بالإضافة إلى سياستهم إتجاه الكاثوليك التي تتميز في الغالب بالإضطهاد العنيف بعد سنة 429م قد ساعد على ضعف الوندال بالمنطقة³، وبهذا تغيّرت علاقات الممالك والقبائل المورية الوندالية بعد وفاة الملك جنسريك سنة 477م إتجاه الوندال، مما أدى إلى إعلانها للاستقلال نهائيا عن السلطة الوندالية.

وكان هذا الإعلان بداية للمقاومات المورية للإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم التي بدأت مع قبائل الأوراس خلال نهاية عهد الملك هونريك "Huniric" سنة 484م⁴، إلا أن هذه الثورات لم تلق أي إهتمام لدى بعض المؤرخين القدامى وحتى لدى الدراسات الحديثة، حيث كان كوريب "Corippe" مهملًا لثورات المور قبل 544م، ذلك أنها لم تهدد مدن الرومان فقد تفادى ثورات المور 534م و535م⁵، في حين أعطى لثورة

¹ Martroye (F), op.cit, p 70.

² محمد اللبار، «الوندال، التعريف التاريخي»، مجلة المصباحية، سلسلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، دار المنظومة، المغرب، 2007، ص34.

* لقد دلّت بعض القرائن المصدرية وبعض الحفريات أنّ بعض المدن دون قرطاج، لم تتعرض أسوارها للهدم وتتمثل في تمقاد، سبتة، قيصرية وعنابة، مما يدل أنّ الهدم لم يكن شاملا لكل المدن، فهو مجرد إجراء إستراتيجي إقتضته الضرورة العسكرية آنذاك، أنظر، محمد اللبار، «الوندال بين التاريخ والوندالية»، ص175.

³ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 66.

⁴ Modèran (Y) , op.cit, p 269.

⁵ Modèran (Y) « Corippe et l'occupation Byzantine de l'Afrique : pour une nouvelle lecture de la Johannide », in : Ant.afr, n^o22, 1986, p 197-202.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

أنطلاس "Antalas" مكانة بارزة، كما أن يافس موديران "Yves Modèran"¹ إعتبر أن محاولات المور للاستقلال عن الكيان الوندالي كانت في البداية محدودة واقتصرت على المناطق الجبلية لذلك لم تهدد هذا الكيان، وأن غاراتهم وتحالفاتهم مع المناطق الداخلية ميّز تاريخ المور خلال فترة الإحتلال البيزنطي، أما صاحب كتاب إفريقيا الوندالية كريستيان كورتوا "Christian Courtois"² -حسب ما أشار إليه يافس موديران-²، فقد إتبع كوريبوس "Corippus" في ذلك، ويظهر هذا من خلال إشارته إلى قنوفان "Guenfan" والد أنطلاس الذي كان مصدر لجميع المآسي التي حلّت بمقاطعات بلاد المغرب القديم.

وتجدر الإشارة أيضا إلى المقارنة التي قام بها يافس موديران "Yves Modèran"³ بين جوهانيد وحرب الوندال والتي طرحت بعض المشاكل من خلال التسلسل الزمني الوارد بينهما ذلك أنها لا تتزامن تماما، ما إستدعى تركيز الدراسة حول موضوع الثورات المورية من بداية القرن السادس الميلادي 546م، وهي الفترة الوحيدة التي لم يكن فيها التناسب بين المصدرين مستحيلا، وهذا ما يوضّحه الجدول التالي:

جوهانيد		حرب الوندال	
التاريخ	التلخيص	التاريخ	التلخيص

Modèran (Y) , " La Chronologie ", p 140.

1

Modèran (Y) , " Corippe et l'occupation Byzantine d'Afrique ", p 179-202.

2

Ibid, p 197-198.

3

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

إفريقيا تحت السيطرة الوندالية. I, 1-9.	-429 532		500
الغزو البيزنطي لإفريقيا والنضالات ضد القبائل المورية المتمردة حتى مجيء جون تروجيلتا. I, 10-11 . I, 28-45.	546	ثورات المور في أواخر ملوك الوندال والبيزنطيين حتى عهد جون تروجيلتا. II, 1-267 . III, 54-460 .	546
حملات جون تروجيلتا. II , 28-45. II, 28-52.	548	حملات جون تروجيلتا ضد المور المتمردين. I,417-481. II , (في مجملها) IV-V, 248-171. VI, VII , VIII, (في مجملها)	548

الجدول رقم 03: الفترات الزمنية والمواضيع المذكورة بالجوهانيد عن دخول الوندال لشمال إفريقيا.

وبالتالي فإن دراسة هذه الاختلافات يمكن أن يكون لها فائدة مزدوجة، فقد يكون هناك السهو في الدراسة أو التطورات المفردة، وإلا فإنه يكرس لحقيقة تحديد وجهة نظر الكاتب وتحديد الأهداف التي يسعى بها في عمله.

وعلى العموم فإن هذه الثورات المورية خلال الفترة الوندالية والتي قللت أهميتها مختلف المصادر والمراجع الحديثة، يدفعنا للتساؤل حول مدى خطورتها في زعزعة وإسقاط الكيان الوندالي سواء ما تعلق منها بثورات الممالك الغربية أو ثورات الممالك الشرقية وحتى ثورات التي قامت بها قبائل موريطانيا الطنجية والكوريسنيس، ثم ما هو دافع المصادر التاريخية خاصة مصادر القرن السادس الميلادي من إهمال دور هذه الثورات المورية، أم أنّ البيزنطيين بدورهم يقللون من شأن هذه الثورات.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

ثانيا-موقف الممالك الغربية من الإحتلال الوندالي:

تجدر الإشارة أنه خلال القرن الخامس الميلادي الذي أسس فيه الملك الوندالي جنسريك مملكته ببلاد المغرب القديم قد وجد إمارات مورية لم تكن وليدة عن ضعف السيطرة للكيان الوندالي¹ التي وإن تمكن منها الملك جنسريك للحد من عزيمتها إلا أنّ الأوضاع تغيرت إتجاه الوندال بعد وفاته، وذلك بظهور إمارات على شكل كونفدراليات القبائل القوية²، مما أدى إلى بروز ممالك مورية مستقلة أهمها مملكة ماصونا "Masuna" بأولاد ميمون "Altava".

تمثل نقيشة ألتافا "Altava" مصدر معرفتنا لمملكة ألتافا (بداية القرن 5م إلى 535م) التي من الأرجح أن تكون تكريما لملكها ماصونا "Masuna"³ والتي تؤرخ بسنة 508م⁴ ما يدل على أنّ هذا الملك عاصر الملك الوندالي ترازموند "Trasamund" (496-523م)، حيث كانت لمملكته قلاع ومدن على رأسها حكام أقاليم ذكرت أسمائهم على هذه النقيشة التي أضيف لها السطر الأخير من طرف حاكم المدينة ماكسماس "Maximas"⁵ حتى يبين دوره في بناء هذه النقيشة.

يتضح أن نقش ألتافا يتضمن عدة إشكاليات خاصة وأن نصه جاء بكتابة لاتينية، ما يفسّر إستمرار مظاهر الرومنة في المنطقة⁶، وهذا ما دفع بول فيفري "Paul Abert" إلى إجراء مقارنة بين هذه النقيشة ونقيشة تذكارية للإمبراطور قسطنطين "Costantinus" تعود لنفس المدينة تؤرخ في حدود 349م و350م والتي إستعملت نفس أسلوب نقيشة ألتافا في ذكرها للإمبراطور قسطنطين، وقد طابقتها في نفس

Camps (G), "Rex gentium", p 183. 1

Courtois (Ch), op.cit, p 333. 2

Carcopino (J), op.cit, p 110. 3

Fevrier (P.A), "Masuna et Masties", p 133. 4

⁵ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 38.

Benabou (M), op.cit, p 231. 6

Fevrier (P.A), op.cit, p-p135-138. 7

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

الوقت بالنصوص القوطية، مع إمكانية وجود جذور لهذا الأسلوب في النصوص المورية القديمة نفسها¹، والتي تحدثنا عن قبائل البافار (Bavares) والبقواط (Baquatin).

النص الأصلي :

PRO*SAL*ET*INCOL*REG*MASVNAEGENT*
MAVR-ET*ROMANOR*CASTRUM*EDIFIC*A*MAS*
GIVINI*PREF*DE*SAFAR*R*IIDER*PROC*CAST*
RA*SEVER*IAN*QVEM*MASVNA AL TAVAPOSVIT*
ET*MAXIM*PROC*PP*CCCCLXVIII*

الترجمة باللغة الفرنسية:

Pour le salut et la sécurité de Masuna, roi des peuples maure et romain. Forteresse établie par Masuna à Altava construite par Msgivin , prefet de safar, et Iider, procureur de Castra severiana, et qu'acheva. Maximus, procureur d'Altava en l'an 469 de la province.

الترجمة باللغة العربية :

" من أجل سلام وأمن ماصونا، ملك الشعبين الموري والروماني، أقام ماصونا هذا الحصن بألتافا. وشيد من طرف ماسيفن عمدة سفر وإيدير حاكم كاسترا سيفريانا، وأتم بناءه ماكسموس حاكم ألتافا في سنة 469 من تاريخ الولاية".

الصورة رقم 07: نقيشة ألتافا للملك ماصونا، فاطمة منقاشي، المقاومة الأمازيغية للإحتلال الوندالي والبيزنطي (429م - 643م)، ص 82.

¹ يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 235.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

اختلفت الدراسات حول شخصية ماصونا وطبيعة حكمه، حيث نجد أن جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"¹ يربط شخصية الملك ماصونا "Masuna" بشخصية ماسوناس "Massonas" حليف البيزنطي سليمان "Solomon" في عام 535 م على أنهما شخصية واحدة، بينما إعتقد غابريال كومبس "Gabriel Camps"² أنهما شخصيتان مختلفتان، حيث عاش ماصونا خلال فترة الإحتلال الوندالي سنة 508م، أما ماسوناس "Massonas" حكم في المنطقة الشرقية للأوراس أكثر منها الغربية التي كانت فيها ولايات فارتيا أورتياس "Ortaias" وماستيناس "Mastinas"، كما أنه شارك في الحروب ضد البيزنطيين عام 535م، وهذا ما أكد عليه كريستيان كورتوا "Christian Courtois"³ من خلال إشارته أنّ الملك ماصونا عاش خلال الفترة الوندالية لبلاد المغرب القديم وأنّ حكمه كان على الأقل في سنة 508م، أما ماسوناس "Massonas" فقد كان يقوم بدور عرضي فقد شارك في الحروب المورية ضد بيزنطا.

ويعتبر ماصونا "Masuna" زعيم محلي يتمتع بالحكم الذاتي للقبائل المورية⁴ التي تمّ تجميعها في إتحاد البافاري الغربية⁵، وبخصوص طبيعة حكم هذا الملك علينا أن ننظر للعنوان الذي يحمله هذا الملك :

Reg(is) Masunae, gent(is)ou (ium) et Romanor (um) , Gentis ou gentium.

وحسب ديبل "Diehl(Ch)"⁶ فإنّ مصطلح "Reg" يعني "Reguli" وهو الأمير، واعتبر بول فيفري "Paul Abert Fevrier"⁷ شخصية ماصونا من أحفاد رؤساء القبائل المتحالفة مع الرومان خارج اللمس الموريطاني إلاّ أنّه لم يندمج في الإمبراطورية الرومانية كلية، أما غابريال كومبس "Gabriel Camps"⁸ فقد تناول الموضوع من جانب آخر، حيث إقترح ترجمة عبارة: « Reg (is) ume Gent (ium) Mourorum et Romanorum »

Carcopino (J), op.cit , p 110.

Camps (G) , op.cit, p 198.

Courtois (Ch) , op .cit , p 334.

Ibid, p 109.

Camps (G) , op.cit, p 195.

Diehl (Ch), op. cit , p .

Février (P.A), op.cit , p 141.

Camps (G), op.cit , p 195-196.

1

2

3

4

5

6

7

8

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

على أن ماصونا "Masuna" ملكا لشعوب المور والرومان، عوض ملك القبائل المورية المتحالفة مع الرومان، فقد إستحسن غابريال كومبس "Gabriel Camps"¹ القول: « ملك القبائل المورية » على أن تقرأ العبارة "ملك المور والشعب الروماني"، وبالتالي فإن إعلان ماصونا "Masuna" ملكا على القبائل المورية والرومانية يعتبر تأكيدا على السلطة التي ورثها من أجداده، فحينما يتحدث كان يبدأ بالمور وليس الرومان²، ما يدل على أنه إختلف مع ماستياس "Masties" الذي كان يستبق بالرومان قبل المور، وينص هذا النظام المزدوج الموري-الروماني على العدالة التي يخولها للجناحين اللذين يطبعهما³.

وكان لإعلان ماصونا نفسه ملكا على المور والرومان لدليلا على التأكيد للسلطة التي ورثها عن أجداده وقد إعترف بسلطته سواء المور والرومان⁴ ووضع نفسه في مرتبة الملك ثيودريك "Théodoric" ملك القوط والرومان⁵، كما كان هذا الإعلان بمثابة تحدي للسلطة الوندالية وعدم الإعتراف بكيانها في المنطقة، ويبرز هذا التحدي من خلال شساعة المساحة التي يستحوذ عليه الملك ماصونا⁶ والتي تمتد من الساحل المتوسطي شمالا إلى الهضاب العليا جنوبا، ومن موريطانيا القيصرية شرقا إلى وهران غربا دون إمتدادها إلى ويلي كما إمتدت سلطته إلى ما وراء خط اللمس⁷ بالرغم من أنه كان يستقر داخل ممتلكات الإمبراطورية.

والراجح أن رغبة الملك ماصونا في الإستقلال عن الكيان الوندالي خلال هذه الظروف العصيبة التي تمر بها منطقة بلاد المغرب القديم هو تأكيد على عدائه للسلطة الوندالية واستعداده لمواجهتها، وتظهر لنا نوايا هذا الملك الموري في التأريخ الذي وضعه

Camps (G), op.cit , p 196. 1

Fevrier (P.A), op.cit , p 138. 2

Carcopino (J), op.cit, p 109-110. 3

Ibid, p 195. 4

Fevrier (P. A), op.cit, p 138. 5

⁶ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 40.

Courtois(Ch), op.cit, p 334. 7

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

في النقيشة وذلك حسب اليومية الإفريقية التي تعتمد على التأريخ بسنة الولاية عوض التأريخ بسنوات حكم ملوك الوندال¹.

ثالثا-ثورات الممالك الشرقية ووقوفها أمام الزحف الوندالي:

1-مملكة أورتياس "Ortias" (؟-539 م):

يتضح من خلال جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"² أن أورتياس دي بروكوب "Ortais de Procope" يدمج مع فارتيا "Vartia" في نقش أريس "Aris"، ومن خلال النسخة اللاتينية لبروكوب "Procope" في طبعة بون أو أعمال الباحثين أمثال شارل دييل "Charles Diehl" وشارل أندري جوليان "Charles André Julien" نجد الإختلاف في تسمية لهذا الملك الموري، حيث نجده بتسمية أورتياس "Ortaias" وأرثياس "Orthaias".

يبدو أن أول إحتكاك تم بين مملكة الحضنة والوندال لما أخضع الملك الوندالي هونريك "Huniric" (477-484م) عددا من الكاثوليك للعبودية باتفاق مع الوندال، حيث تم نفيه سنة 484م قرابة خمسة آلاف (4996) كاثوليكي إلى كل من طبنة (Tubnae) وماكري ونيبيس (Nippis)، وهذه الأخيرة لا يعرف موقعها سوى أنها منطقة بشط الحضنة وقريبة من ماكري وطبنة، وهي التي جاء ذكرها باسم نيبا (Niba)، غير أن هذه العلاقة ساءت بينهما فيما بعد، خاصة بعد إشتداد الصراع بين أمراء الأوراس والملك هونريك³ بسبب النزاع حول السيطرة على الأراضي الزراعية الممتدة شمالي الأوراس.

إعتبر أورتياس "Ortaias" نفسه بمثابة ماصونا "Masuna"⁴، فقد تحدى السلطة الوندالية وتصرف بكل حريته كحاكم مستقل غير معترف بوجود سلطة قرطاج، ذلك أنه ضم منطقة شاسعة في كل من غرب نوميديا وموريطانيا السطيفية ثم موريطانيا

¹ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 40.

² Carcopino (J), op.cit, p 111.

³ سعاد سليمان، المرجع السابق، ص 41-42.

⁴ Carcopino (J), op.cit, p 118.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

القيصرية¹، كما أنه خلال الفترة الأخيرة من حكم الوندال سنة 533م ثار ضد إيوداس "Iaudas" ملك الأوراس وحلفائه من أتباع ماستيناس "Mastinas" رغبة منه في التخلص منهم قبل أن يستولوا على أراضيهِ وإمارته الممتدة شمال الأوراس في حين كانت إمارة إيوداس بالجزء الجنوبي منه².

وبالتالي إذا كان الملك ماصونا "Masuna" قد عبّر عن رفضه للإحتلال الوندالي بإعتماده على التاريخ بسنة الولاية عوض سنوات حكم الوندال، فإن إجراء الملك أورتياس "Ortais" يعدّ سابقة خطيرة في تاريخ المملكة الوندالية بتحديه لها.

2- ثورة الأوراسيين (؟-548م):

يتضح أن الملك ماستياس "Masties" الذي كان على مملكة الأوراس لم تشر إليه المصادر الأدبية سواء ما تعلق منها بالجوهانيد لكوريبيوس "Corippius" أو الحرب الوندالية لبروكوب "Procope"، ويمكن أن يعود هذا الصمت للخطورة التي كانت تشكلها هذه المملكة تحت حكم هذا الملك، إلا أنّ ذكره جاء في نقيشة أريس "Arris" التي أكتشفت سنة 1941م³، حيث أشار بيير موريزوا "Pierre Morizot"⁴ إلى أنّ الحجر الذي كتبت عليه النقيشة قد أعيد إستخدامه في منزل صغير والذي بني منذ وقت قصير في منطقة لارارا (Larara) التي تقع على بعد حوالي 1500م جنوب أريس، وقد تم وضع هذا الحجر أفقياً على الأرض بجوار هذا المنزل إلى جانب عدّة ذخائر جنائزية تبدو في حالة جيّدة، وحسب جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"⁵ فإنه يعود إلى ما بين 516م و535م أو أقرب بكثير، وكانت تكلفته 100 سيليكاً وليس 100 منكرون وهو سعر إعتبره بيير موريزوا "Pierre Morizot"⁶ طبيعياً جداً ومناسب في ذلك الوقت، وقد وردت النقيشة كالتالي:

¹ فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 41.

² سعاد سليمان، المرجع السابق، ص 44.

³ Carcopino(J), " Encore Masties l'empereur Maure inconnu ", R . Afr, T100, 1956, p 340.

⁴ Morizot (P), op.cit, p 268.

⁵ Carcopino (J), "Un empereur maur inconnu ", p 118.

⁶ Morizot (P), op.cit , p 264 .

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

النص الأصلي:

D.M S EGO MASTIES DUX
ANN LXGI ET IMPR ANN XI q VI NUM
Q V A M PERIVRAVI NEqVE FIDE
FREGI N E q V E DE ROMANOS NEqVE
DE MAVROS ET IN BELLV PARVI ET IN
PACE ET ADVERSVS FACTA MEA
SIC MECV DEVS EGIT BENE
EGO VARTAIA HUNC EDIFICIVM CVM FRARIB Me
IN GUOD EROGAVIT X ISPECI

الترجمة باللغة الفرنسية:

Aux Dieux Manes, Consécration, C'est moi, Masties, dux pendant 67 ans, imperator pendant 40 ans, qui jamais ne me suis parjuré, qui, point, n'ai rompu la foi que j'avais engagée, ni envers les Romains, ni envers les Maures, qui me suis révélé dans la guerre et dans la paix et qui ainsi, vu mes hauts faits, ai été béni de dieu qui était avec moi, Moi Vartaia, J'ai élevé cet édifice avec mes frères.

Pour lequel il a dépensé cent denier.

الترجمة باللغة العربية:

" إلى أرباب أرواح الموتى وقف (...) أنا مستياس، ملكا لمدة 67 سنة، و إمبراطورا لمدة 40 سنة. لم أحنث قط اليمين، ولم أخلف أبدا الوعد الذي قطعته إتجاه الروم ولا إتجاه المور. كشفت عن قدوراتي في مجالي الحرب والسلم، وبالنظر لإعمالي القيمة باركني الرب الذي كان معي. أنا فارتيا شيدت هذا الصرح مع إخوتي وصرفت من أجله 100 دينيق ."

الصورة رقم 08: نقيشة مستياس، فاطمة منقاشي، المقاومة الأمازيغية للإحتلال الوندالي والبيزنطي (429م - 643م)، ص 83.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

ومن خلال هذا النقش تتضح لنا الوظائف السياسية التي مارسها ماستياس "Masties" من منصب الدوقية وكذلك توليه عرش مملكة الأوراسيين بل وإعلانه ملكا للرومان والمور، إلا أنه تجدر الإشارة إلى إختلاف المؤرخين والباحثين حول تحديد فترة تولية ماستياس لهذه المناصب، حيث نجد أنّ تعيينه في منصب الدوقية "Dux" كان سنة 449م من طرف الإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentienien III" حسب ما أشار إليه جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"¹، مما يدل على أن هذا المنصب عبارة عن مهمة رسمية أوكلت له من طرف الإدارة الرومانية ، ولكن يرجع كريستيان كورتوا "Christian Courtois"² حسب ما أشار إليه بيير موريزوا "Pierre Morizot"³ في قراءته الجديدة أن تعيين ماستياس دوقا كان قبل الغزو الوندالي في حدود سنة 428م من طرف كونت إفريقيا بونيفااص "Boniface" الذي كان بحاجة إلى شخصية محلية قوية تراقب اللمس للحفاظ على مصالح الرومان في إقليم الحضنة ذات الموقع الإستراتيجي⁴، ولهذا إعتبر بول فيفري "Paul Albert Février"⁵ أن ماستياس لم يكن سوى قائدا بمنطقة اللمس.

وعن منصب الإمبراطور فقد أشار كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁶ إلى أن إعلان ماستياس نفسه إمبراطورا كان سنة 455م وهي السنة التي رجحها غابريال كومبس "Gabriel Camps"⁷ وذلك إثر إستيلاء الملك الوندالي جنسريك "Genséric" على جزيرة رودس والذي تزامن مع مقتل الإمبراطور فالنتينيان الثالث، ولذلك ربط كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁸ تحوّل ماستياس من منصب الدوق إلى منصب الإمبراطور بتفاعلات المملكة الوندالية في عهد جنسريك، مما يدل على رغبته في بسط النفوذ على كامل المقاطعة الإفريقية بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، في حين نجد جيروم

Carcopino(J), Leschi (L), " Inscription d'Arris ", p14; Carcopino " Un Empereur " ,¹
p 116- 117.

Courtois(Ch), op.cit, n^o3, p 337.²

Morizot (P), op.cit, pp 265, 266.³

⁴العقون أم الخير، المرجع السابق، ص 179.

Février (P.A), op.cit, p 140-142.⁵

Courtois(Ch), op.cit, p 338.⁶

Camps (G), op.cit , p198.⁷

Courtois(Ch), op.cit, p 334.⁸

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

كاركوبينو "Jérôme Carcopino"¹ قد أقر أن إعلان ماستياس "Masties" نفسه إمبراطورا كان سنة 476م وذلك بعد إبعاد رمولوس أوغستول "Romulus Augustule" من طرف أوداكر "Odoacre" في أكتوبر من نفس السنة، وقد مثل هذا الإعلان نوع من الدعم إتجاه الإمبراطورية الرومانية وكذلك بمثابة تحدي للوندال وإعطاء إشارة إلى تمرد المور ضد الهيمنة الوندالية.

وكان لإعلان ماستياس في النقيشة عن المدة التي قضاها سواء في منصب الدوقية أو في منصب الإمبراطور أن آثار العديد من التساؤلات، ذلك أنه عند القيام بعملية الجمع للمدة التي قضاها في منصب الدوقية المقدر ب 67 سنة مع مدة توليه منصب الإمبراطور ب 40 سنة نتحصل على 107 سنة وهذا من غير المعقول أن يمارس هذه المناصب على التوالي، وهذا ما جعل بيير موريزوا "Pierre Morizot"² إلى إعتبار أن منصب الدوق يمثل سلطة قبلية وحتى وإن كانت حياة ماستياس المهنية كدوق بدأت في سن مبكرة جدا فلا يمكن تقبله مما يستوجب النظر في معنى مصطلح الدوق على أنه مجرد إمارة قبلية نتيجة إنتقال وراثي للسلطة مثلما جسده أنطلاس "Antalas" من والده قنوفان "Guenfan" أو أنه يكون عن طريق الإنتخاب من طرف المحاربين مثلما حصل مع كاركسان "Carcasan" الذي أعلن دوقا على جميع القبائل المتمردة ضد السلطة البيزنطية، بالإضافة إلى أن كوريبوس "Corippus" إستعمل هذا المصطلح لنعته أمراء المور أمثال أنطلاس "Antalas"، إيوداس "Iaudas" وأورثياس "Orthaias".

أما ما يتعلق بمدة توليه لمنصب الإمبراطور الذي يعتبر بمثابة تأكيده على رغبته الشخصية في بسط نفوذه بكامل المقاطعة الإفريقية بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية فقد قدرها بيير موريزوا "Pierre Morizot"³ في قراءته الجديدة بعشرة (10) سنوات عوض 40 سنة وكان ذلك بعد تقهقر الحكم الوندالي أي بعد 523م مع نهاية حكم الملك الوندالي ترازموند "Trasamund" ووصول الملك هلديريك "Hildéric" إلى الحكم باعتباره حفيد الإمبراطور فالنتينيان الثالث "Valentinien III" الذي كان على علاقة جيّدة مع

Carcopino (J), op.cit, p 115-116.

Morizot (P), op.cit, p 275.

Ibid, p 278-279.

1

2

3

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

القسطنطينية، إلا أن يافس موديران "Yves Modéran"¹ إعتبر التاريخ الأنسب لإعلان ماستيياس نفسه إمبراطورا كان مع قيام ثورة سكان الأوراس منذ 485م وإعلان إستقلالهم عن السلطة الوندالية.

يفهم من بيير موريزوا "Pierre Morizot" أن بداية عهد الملك ماستيياس "Masties" كانت سنة 476م وامتد لغاية سنة 486م، وذلك على إثر سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية التي خلّفت فراغا سياسيا في الغرب والذي من شأنه أن يسمح بظهور أقاليم مورية مثل أولاد ميمون (Altava) التي هي من الأكتوماني (Uctumani) بالمناطق النائية بجيجل (Igilis)، وهذا ما تخوف منه الملك الوندالي جنسريك الذي كان يسيطر على الحوض المتوسط.

يتضح من خلال نقيشة أريس أن ماستيياس لم يكن فقط ملكا على المور بل وعلى الرومان أيضا وأكثر من هذا فقد استبق في ذلك شعب الرومان على المور، حيث حملت هذه الازدواجية تبلور نموذج جديد من الكيانات المورية تسعى لمحاولة إحتواء التركيبة الرومانية وإدماجها في النفوذ التقليدي الموري² مما يجعلنا نعتقد أنّ ماستيياس قد أعلن نفسه وريثا للسلطة الإمبراطورية ببلاد المغرب القديم.

وكان لتأكيد في النقيشة على أنه ظلّ ثابتا في مواقفه في أوقات الحرب وفي السلم أن دل على خوضه لعدة حروب قد يكون بعضها ضد الوندال باعتباره العدو المشترك للمور والرومان، حيث أشار جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino"³ أنه عندما ظهر جيش سليمان "Salomon" مرت على وفاته 19 عاما ذلك أن تاريخ وفاته ثابتة في 516م، الذي هو تاريخ لا يتناسب مع تطور الحقائق التي تحدّث عنها بروكوب "Procopé"، ويعتقد بيير موريزوا "Pierre Morizot"⁴ أنّ قبره هو القصر الميكليتي الموجود على الطريق الرابط بين بسكرة وواد الأبيض جنوب شرق الحمرة أو غير بعيد عنه.

Modéran (Y), Les Maures et l'Afrique Romaine, p 405.

1

² يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 230.

Carcopino (J), p,p 111,116.

3

Morizot (P), op.cit, p 270 .

4

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

كانت لإشارة الملك ماستياس "Masties" في النقيشة على أن الرب باركه في أعماله القيمة -حسبه- يجعلنا نقر على الخلفية المسيحية للملك وقد أكد لنا ذلك بيير موريزوا "Pierre Morizot"¹ من خلال وجود رمز الصليب في النقيشة، كما بينت لنا الدراسات الأثرية آثار كنسية بمنطقة الأوراس، وهذا ما جعل كل من جيروم كاركوبينو "Jérôme Carcopino" وكريستيان كورتوا "Christian Courtois" في طروحاهما إلى دمج إستمرار التدين بالمسيحية بفكرة الوفاء لروما وجعلا من توسع الممالك المحلية إحياءا لحضارة روما، وقد جسدا ذلك في ممالك الجهات الشرقية والوسطى والغربية من المنطقة الأوراسية، وهذا ما أوقعهما في تناقض من خلال جزمهما بفكرة ولاء المسيحي لروما لمعرفتهما أن المقاومة المورية ضد روما كانت مقاومة مسيحية في الأساس²، حيث إستمر المور في المقاومة على الرغم من إعتناق روما للمسيحية تحت راية الدوناتية وكانت منطقة الأوراس معقلا لها.

يبدو أن علاقة ماستياس مع الملك الوندالي جنسريك "Genséric" كانت مثلها مثل الممالك المورية الأخرى، حيث قامت على إحترام مصالح الطرفين فقد تميزت في البداية بالمسالمة والتعاون، وذلك من خلال إمداد الملك الموري بفيالق من الجنود المور من أجل مشاركتها في الحملة التي خاضها جنسريك ضد الإمبراطورية الرومانية، كما إستمرت هذه العلاقة مع الملك هونريك خليفة الملك جنسريك، حيث أن الملك ماستياس إستقبل على أراضيه 4000 مسيحي منفي من طرف الملك هونريك "Huniric"³، ويفترض أن الوندال عقدوا معه معاهدات سلم وحسن الجوار⁴، مقابل إعترافيهم بنفوذه مما أدى إلى الإعلان عن أي وصاية.

ولكن تغير موقف الملك الموري ماستياس إتجاه الوندال من علاقة التعاون والتحالف إلى رفض وجودهم بعد زوال آخر أباطرة الإمبراطورية الغربية رومولوس

¹ Morizot (P), op.cit, p277 .

² محمد العربي عقون، « المنطقة الأوراسية في القرن السادس الميلادي من خلال المصادر » ، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، مجلد6، العدد 12، ص 13-18.

³ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 36.

⁴ يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 231.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

أوغسطول "Romulus Augustule" في سنة 476م من طرف أودواكر "Odoacer" الذي بذل ولاءه للإمبراطورية الشرقية وارتبط بالتبعية لها كما طلب من إمبراطور الشرق زينون "Zéno" تفويضا بحكم إيطاليا في ظل التبعية للقسطنطينية، وكان لترحيب زينون بذلك نهاية أليمة لأمجاد روما وعهدها السالف وبقي غرب أوروبا بدون إمبراطور حتى توج شارلمان سنة 800م¹.

وهذا ما يدل على أنّ الملك ماستياس "Masties" تحصل على لقب الدوق من طرف فالنتنيان الثالث كان سنة 449م²، ففي عام 476م كانت إحتجاجات الملك ماستياس على اللقب الإمبراطوري أكثر عرضة للإفلات من العقاب، ذلك أنّه بعد أربعة أشهر من تنحية رومولوس أغسطول الذي تزامن مع وفاة الملك الوندالي جنسريك "Genséric" أعطى إشارة التمرد الموري ضد الهيمنة الوندالية في 25 يناير 477م³، إلا أن بروكوب "Procopé"⁴ يذكر أنّ ثورة الأوراسيين كانت بعد وفاة الملك الوندالي هونريك "Huniric" في بداية سنة 485م، وذلك من خلال إشاراته في الفقرات الثلاث كالتالي:

- الفقرة الأولى: « خلال حكم هونريك لم يحارب المملكة الوندالية إلا مور (جبال الأوراس)، وقبل ذلك كان هؤلاء هادئيين من بطش جنسريك، لكن عندما توفي أساؤوا كثيرا للوندال »⁵.

-الفقرة الثاني: « ...، بعد وفاة هونريك من جراء مرض ألم به في السنة الثامنة من حكمه، ثار الأوراسيون ضد الوندال خلال هذه الفترة، ليحصلوا على إستقلالهم، ولم يستطع الوندال سيطرتهم لأنهم عجزوا عن محاربتهم داخل هذه الجبال الصعبة الوصول إليها والشديدة الإنحدار »⁶.

¹ محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 34.

² Carcopino (J) ; Leschi (L) , "Inscription d'Arris (Aurés) en l'honneur de Masties ", p13-14.

³ Carcopino (J), "Un empereur maur inconnu ", p 116.

⁴ Procope , I, VIII , 1.

⁵ Ibid, I, VIII,2

⁶ Ibid, I, VIII ,1.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

-الفقرة الثالثة: «... منذ أن إستقل مور جبال الأوراس من أيدي الوندال لم يتجرأ أحد أن يهاجمهم أو يشيع الخوف بينهم»¹.

ويتضح من خلال هذه الفقرات أن الأوراسيين تغيّرت علاقاتهم مع الوندال على إثر وفاة الملك جنسريك "Genséric"، مما دفعهم إلى أن ثاروا ضد الملك هونريك سنة 484م، حيث أنّ الوندال لم يستطيعوا إخضاعهم، بل و لم يحاولوا التوجه نحو جبالهم، في الوقت الذي إستطاع فيه هؤلاء المور من تهديد للسيطرة الوندالية، ويمكن أن نرجع أسباب ثورة الأوراسيين هذه إلى ما أحدثته الإحتلال الوندالي من تصدع في إقتصاد بلاد المغرب القديم، مما نتج عنه إضطراب في النظام الإجتماعي واستغلال الفلاحين للقلائل التي حدثت خلال القرن الخامس الميلادي وتعسف رجال السلطة للدوناتيين والمتمردين على حد سواء²، وكذلك سياسة الإضطهاد التي إنتهجها الملك هونريك والتي أثّرت سلبا على العلاقات القائمة بين الطرفين، الوندالي والمور، كما كان للمجاعة التي أهلكت العديد من الناس خلال صائفة سنة 484م³ دافعا أدى بالموريين للقيام بالثورة بمملكة الأوراس.

ومما زاد من إضعاف قوة الوندال بالأوراس إفتقارهم إلى التحصينات في تلك المنطقة ذلك أنهم دمروا هذه المعسكرات، وبالتالي كانت من بين أسباب هزيمتهم ، حيث لم يعد لديهم أي وسيلة دفاعية تمكنهم من رد هجمات الأوراسيين أو على الأقل محاربة تحركاتهم، لذلك إكتفوا بإرسال فرقهم العسكرية ضمن حملات تأديبية غير منتظمة⁴، حيث أشار بروكوب إلى أن الوندال لم يستطيعوا إخضاع الأوراسيين بعد الملك هونريك، حيث كما عجزوا عن ملاحقتهم داخل مرتفعات جبال الأوراس، وهذا ما شجّع الأوراسيين إلى النزول من أعالي الجبال إلى السهول، فاستولوا على الكثير من المدن مثل مدينة

Procope I, XIII, 2.

1

² حفيضة العياضي، المرجع السابق، ص 168.

³ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 55-56.

⁴ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

تيسة (Theveste)، تيمقاد (Thamugadi)، باغاي (Bagai) وتازولت (Lambaesis)، كما وصلوا إلى حدود قسنطينة (Cirta)¹.

وقد تطرق العديد من الباحثين أمثال كريستيان كورتوا "Christian Courtois"² عن الحرق والتدمير التي تعرّضت لها كل من مدينة تيمقاد وباغاي، حيث هاجم هؤلاء على المدينتين بعد ثورة الجبليين ودمروها، ثم رجعوا إلى الجبال حاملين رايات النصر، إلا أنّ هذا يبق محل الشك، ذلك أنّ البيزنطيين حاصروا المقاومين المور في هذه المنطقة، وقد إستطاع هؤلاء الصمود طوال فترة الحصار، لذلك لا يمكن أن ننسب أمر تدميرها للأوراسيين، كما أنّ الحفريات التي وجدت في هذه المدن لم تثبت وجود أي آثار للحرق والدمار³.

كما أنّ الأوراسيين لم يكن لهم المصلحة في هذا التدمير، حيث كان الكثير منهم مرتبط بمعالم الحضارة الرومانية كما كان منهم الفلاحين الذين هم على دراية بثمن القمح وأهميته، والذين يستفيدون من منتوجاتهم الفلاحية لسكان المدن.

ويبدو أن الملك ماستياس "Masties" حاول توسيع نفوذه على المناطق المجاورة بما فيها المناطق التابعة للمور والرومان من ملاكي الأراضي والمزارعين القاطنين فيها، ويمكن أن يكون المجال مفتوحا لهذا الملك الموري خاصة بعد تفهقر النفوذ الوندالي على الأقل بمنطقة الأوراس في الربع الأول من القرن السادس الميلادي، أن يعلن تبنيه للإرث الروماني بضمه للرعايا الرومان⁴، وقد يكون ذلك أيضا نتيجة حتمية للجوء أفواج كبيرة من المسيحيين الكاثوليك الذين فضلوا أن يكونوا تحت حكم ملك موري مسيحي على الحكم الوندالي.

¹ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق، ص 246-247.

² Courtois (Ch), op.cit, p 341.

³ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، صص 45،46.

⁴ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 231.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

وبالتالي يتضح من خلال مختلف الدراسات أنها إتخذت من سنة 485م تاريخ التحول في منطقة الأوراس بإعلان إستقلالهم عن السلطة الوندالية، إلا أن الإشكال يبقى مطروحا حول شخصية الملك ماستياس "Masties" الذي لم يذكره بروكوب "Procopé" رغم إشارته لهذا التحول بقيام ثورة الأوراسيين التي سادها الصمت في مصادر الفترة المتأخرة مثل فيكتور دي فيتا "Victor de Vita" على الرغم من معاصرته لهذه الأحداث من خلال تأريخه لفترة الملك الوندالي هونريك "Honiric" (477_484م)¹ حول زعيم هذه الثورة والإطار الزمني لها أو حتى أسباب وقوعها وكذلك بروكوب الذي إكتفى بإشارات إليها فقط، في حين أشارت معظم الدراسات الحديثة إلى أنّ ثورة الأوراس ضد الوندال كانت بزعامة الملك إبوداس "Iaudas"* على خلفية أن ثورته إستمرت ضد البيزنطيين إلا أن هذا يطرح إشكالية المدة الزمنية التي قضاها في مقاومته ضد الوندال ثم من بعدهم البيزنطيين

Courtois (Ch), op.cit, p 34.

1

* يبدو أنّ إسمه كان مكتوبا "Iabdas" على بعض المخطوطات الحرب الوندالية لبروكوب "Procopé" ولكن تسمية إبوداس "Iaudas" هي التسمية الوحيدة التي إحتفظها بها الشاعر الإغريقي كوريبوس "Corippus" (Johannid,II,32,VII,277, V,126.) ، وهذه الشخصية تظهر في مصادرنا خلال السنوات 533-535م، أي مع نهاية الفترة الوندالية وبداية الفترة البيزنطية ببلاد المغرب القديم، وقد إعتبر بيير موريزوا "Morizot (P)" أنّ إبوداس "Iaudas" كان مجرد زعيم شرق الأوراس، ولكن على ضوء عرض نشاط "Iaudas" في السنوات 530-540م فإنّه سيطر على كل الكتلة الأوراسية الحالية ، ونجد أنّ بروكوب كان يعزوا له بلاد غرب الأوراسيين (Aurasion) الواسعة والمزدهرة ويذكر أنّه في سنة 539م سيطر على منطقة تيمقاد "Thamugadi" وأشار كوريب "Corippe" أنّه في سنة 546م وصل إلى مور أرزقاس (Maurus D'Arzugis) منطقة جنوب تونس (Chott) ، وإحتمال كبير أنّها الحدود الصحراوية لإفريقيا الرومانية)، ومور باديس (Vadis) قد تبعوه. ويبدو أنّ حدود مملكته بقيت غير مستقرة وذلك نتيجة لخلافه مع بقية الزعماء المور، وكونه من المتمردين ضد الوندال في بداية القرن السادس الميلادي وبعد ذلك حروبه المتكررة مع البيزنطيين، ولإشارة فقد ورد في إحدى المنحدرات الموجودة بجنوب الأوراس، شمال سغيدا (Saghida) قرب ثنية بردود (Teniet Berdoud) إسم أكدي عبدوس الذي هو إسم لأحد الزعماء المحليين القدماء الذين عاشوا خلال الإحتلال البيزنطي، وفي إعتقادهم أنّ هذا الإسم ليس موريا ولا عربيا، كما أنّ كلمة أكدي "Ikdi" أو أكوني "Agouni" التي تسبق كلمة عبدوس هي التي تعوض حرف "I" الذي يبدأ به اسم إبداس "Ibdas" ، ومع مرور الزمن فقد تحولت كلمة إيبداس إلى عبدوس، أنظر،

Modèran (Y), " Iaudas (Iabdas) ", in: En.B, n^o23, 2000, p 1-3.

Rinn (L), " Géographique ancienne de l'Algérie : localités Désignée par l'histoire Procopé en son récit de la deuxième expédition de Solomon dans le Djebel Aurès ", in : R.Afr, 1893, P 324.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

حتى لو إعتبرنا أنه قاد الثورة في سن مبكرة جدا مثلما يتضح مع أنطلاس "Antalas" الذي قاد الثورة وهو في السن السابعة عشرة من عمره.

وهذا ما جعلنا نعتقد أن مملكة إيوداس "Iaudas" كانت إمتداد لمملكة ماستياس "Masties"، خاصة وأنّ نقيشة أريس حملت العديد من أسماء الأمراء-ربما- كانوا ورثة لماستياس في عبارة: « أنا فارتيا شيّدت هذا الصرح مع أخوتي » ، حيث كانت لأراضي ماستياس الممتدة من حدود الأوراس إلى الشلف أن جعل كل من الملك ماصونا "Masuna" القادم من الغرب وفارتيا "Vartaia" من الشرق إلى محاولة تغطية هذا الفراغ، وأمام منافسة ماستيناس "Mastinas" أقام فارتيا تلك الذكرى مطالبا بحق أو جزء من خلافة الحضنة¹، وهي الصراعات التي غذتها الإدارة البيزنطية فيما بعد.

تمحورت طموحات زعيم القبائل الأوراسية إيوداس في التوسع على كل الجبهات السيادية حيث تمكن من الإستيلاء على السهول الخصبة التي تحد من الكتلة الشرقية والغربية وفي نفس الوقت توغل على حافة النل، كما أنه تزعم ثورة الأوراسيين ضد الوندال ومن بعدهم البيزنطيين إلا أنّ سليمان "Solomon" قمع نجاحاته وذلك بعد أن تحالفت معه الممالك المورية المجاورة للقضاء على الملك إيوداس، حيث تلقى سلمون المساعدة الأولى من الملك ماصونا وكانت المساعدة الثانية من طرف الملك أورتياس "Ortaias" الذي طرده من قبيلته²، وكانت ذريعتهم في ذلك الإنتقام من إيوداس الذي قتل غدرا والد ماصونا مفنياس "Mephanias"، وهذا ما جعلهم يضغطون على سلمون بشن حملة عسكرية للقضاء على منافسهم³، ورغم ذلك فرض إيوداس هيئته الكبيرة على سكان الصحراويين القرويين من المنحدرات الجنوبية⁴.

وبهذا إستمرت ثورة الأوراسيين بزعامة إيوداس ضد السلطة الجديدة البيزنطية بزعامة سليمان، وقد كانت هذه الحرب شاقة إستلزم فيها حملتين تخللتها أزمة داخلية كاد

¹ سعاد سليمان، المرجع السابق، ص 44.

² Carcopino (J), op. cit, p111.

³ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 69.

⁴ Yanoski (M.J), op.cit, p305 ; Gautier (E. F), op.cit, p283 ; Julien (Ch. A) , op.cit, p347.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

أن يكون فيها سليمان "Salomon" ضحية مؤامرة من جنده، وقد تسلح إبوداس في الحملة الأولى التي كانت بين 534م و535م، حيث تقدم لمقاومة سليمان بالأوراس "Aurès" وذلك بعد الترحيب بالناجين من التمرد مثل كوتزينا "Coutzinas"¹، وكانت خطة إبوداس في هذه الحملة أن يجر عدوه نحو المسالك الوعرة في الجبال وعدم مواجهته في السهول، ولهذا تيقن سلمون أنه من الأفضل النجاة بجنوده للمعارك اللاحقة، مما دفعه إلى الإنسحاب وبالتالي إنتصار إبوداس².

وبدأت أطوار الحملة الثانية بعد إختفاء إبوداس في الجبال إنخرط ما بين 536م و537م جنبا إلى جنب مع ستوتزاس "Stotzas" الذي يعتبر من زعماء التمرد في الجيش البيزنطي، مما أعطى لهذه المرحلة القوة وكانت بداية نكسات هذه الحرب في عام 539م في قلب الأوراس³ أين قامت المعركة الحاسمة.

ويظهر أن إبوداس إعتد خلال هذه المرحلة على خطته التي تمحورت حول تراجعها إلى مرتفعات الجبال وهو يقود 20 ألف مقاتل، وقد أراد من خلالها أن يجذب العدو إلى الجبال الأوراسية وبهذا تحصن في منطقة زريولي ولكن بعد فترة من التدريبات إتجه العدو إلى ضواحي تموقادي لنهب المحاصيل الزراعية حتى يربع إبوداس، وقد إغتتم هذا الأخير فرصة تواجد العدو في هذه المنطقة ليلتحق بموقع تومار ويتحصن فيه، ما يدل على أن الحصار كان صعبا خاصة وأنه تزامن مع فصل الصيف ونقص المياه، إلا أن الحظ كان بجانب سليمان ذلك أن جنوده تمكنوا من تسلق الجبال وخرق الخطوط الدفاعية المورية التي إنهزمت⁴.

ويبدو أن إبوداس بعد أن فقد المزيد من ثروته خلال هذه الثورة إضطر للبحث عن ملجأ في موريطانيا، وبعد خمسة سنوات يظهر بقوات جديدة مع كوتزينا وسوف ينظمان إلى أنطلاس "Antalas" والمتمردين البيزنطيين المستوحى من الخائن ستوتزاس

Modèran (Y), op.cit, p 2.

1

Janon (M), op.cit, p 351.

2

Modèran (Y), op.cit, p 2.

3

⁴ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 73.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

"Stotzas"¹، ما يدل على أن هذا الإرتباط بين المصالح وضع خليط غير متجانس ضد السلطة البيزنطية.

ويظهر أن إيوداس "Iaudas" شارك مع هؤلاء المتمردين في شتاء 545م-546م للتفاوض مع معارض بيزنطي آخر، وهو المغتصب غوانثريس "Gontharis" وقد شنوا حربا ضد الجنرال الجديد جان تروجيليتا "Jean Troglita"* الذي أرسله الإمبراطور جوستينيان "Justinien"، وبالتالي فقد إنتصر هذا الأخير ووضع حدا لهذه الفترة في عام 546م، وبهذا إضطر إيوداس إلى قبول الوصاية البيزنطية وحتى متابعة جيشه عام 548م، فقد كان عليه أن يقوم بهجوم جديد من قبائل الطرابلسية²، ذلك أنه شارك إلى جانب جان تروجيليتا في عام 548م ضد أنطلاس "Antalas" وكاركاسان "Caracasan"³،

Janon (M), op.cit,p 351.

1

*جان تروجيليتا "Jean Troglita": يعتبر بطل قصيدة جوهانيد للمؤرخ كوريب، وهو جنرال بيزنطي، وقد لقب بتروجيليتا نسبة إلى أن اصوله التراقية "Thrace"، ولد في حوالي 500م، خدم مثل أخيه "Pappos" في الجيش البيزنطي تحت قيادة بليزاريوس، وقد شهد في خريف 533م الإتصالات الأولى بين رؤساء الموريين وبليزاريوس ومن المسلم به عموما أنه أمر بالوحدة، وبعد أن غادر بليزاريوس بلاد المغرب القديم بقي جان تروجيليتا تحت قيادة سلمون "Solomon"، وقد وجد نفسه متورطا في معظم الصراعات مع المور، وبالتالي فقد كانت أهمية مهامه لم يعد موضع الشك ذلك أنه كان واحدا من ثلاثة القادة من الفرسان التي أيدت جرمانوس "Germanus" ابن شقيق الإمبراطور، مما يشير أنه كان في ذلك الوقت يحمل لقب الدوق "Dux" أي الحاكم العسكري في بلاد المغرب القديم، وقد ظهر بهذه التسمية ببلاد ما بين النهرين "Mésopotamie" سنة 541م وإحتفظ به حتى سنة 546م، وهي السنة التي عاد فيها إلى بلاد المغرب القديم وأصبح فيها قائدا عاما "Magister Militum Per African"، وكان سبب إختيار جوستينيان لجان تروجيليتا بسبب تجربته الكبير في المنطقة كما أنه كان الخبير الإستراتيجي الذي سمح له في أشهره الأولى من القيادة، فقد أحرز عدة إنتصارات ضد المور، كما أنه حاول بعد سنة 548م دون نجاح في نزع سردينيا من القوطي توتيل "Totila" الذي إستولى عليها سنة 552م لكن الجنرال وعد نفسه إستئناف الهجوم في ربيع 552م، ويبدو أن كوريب يجعل جان تروجيليتا نموذجا لتقوى المسيحية، ذلك أن عملياته العسكرية تمثل في مظهر صليبي فقد كان الكثير من مور الداخل قد أصبحوا مسيحيين بالفعل وهذا خاصة خلال سنوات 546م-548م مما يدل على أنه أكثر من كونه رجل حرب خلال قيادته لبلاد المغرب القديم، أنظر:

Modèran(Y), "Jean Troglita", in : En. B, n^o25, 2003.

Modèran (Y), "Iaudas", p 2.

2

Janon (M),op. cit, p 351.

3

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

إلا أنّ المهزومين الكبيرين هما أنطلاس وإيوداس الذي إضطر أن يكون من أتباع جان تروجيليتا¹.

ولكن ليس لدينا المزيد عن بروكوب حول ما أصبح عليه طموحات إيوداس فيما بعد، إلا أنه من الواضح أنّ مقاومة منطقة الأوراس سوف تبرز مرة أخرى مع أكسيل "Aksel" أو كسيلة "Kociela"² الذي يبرز في مقاومة ضد العرب.

كانت أهم نتيجة لثورة الأوراسيين ضد الإحتلال الوندالي يتمثل في الإستقلال النهائي عن سلطة الوندال، وإذا كانت هذه الثورة أهم ما ميز عهد الملك الوندالي هونريك "Huneric"، فإنها إستمرت أيضا بعد وفاته ليس فقط بالأوراس وإنما داخل مناطق متعددة من شمال إفريقيا وتحت قيادة زعماء آخرين خاصة كابوون "Cabaon" وأنطلاس "Antalas"، فلم يقف زحف تلك الثورة بالأوراس إلا على حدود سرتا، وبالتالي فإنّ ثورة الأوراس تعد حدثا أساسيا في مملكة الوندال، لا لأنها مست الوندال في قوتهم الأساسية، ولا لأنها سببت لهم هزيمة كبرى، وإنما معها بدأت الممالك المورية في إستقلالها³، وكانت مقاومة الأوراسيين رافضة للحكم الأجنبي على أراضيها، فلم تتوقف عند مقاومتها للوندال فقط وإنما إستمرت ثورة الأوراسيين بزعماء إيوداس ضد السلطة البيزنطية وبعدها ضد العرب مع أكسيل.

رابعا-ثورات ممالك ولاية الطرابلسية والمزاق:

لم تقتصر ثورات المور ضد الإحتلال الوندالي على منطقة الأوراس فقط، فقد إمتدت لتشمل القبائل البدوية القادمة من الجنوب الشرقي بقيادة كابوون "Cabaon" التي إستعملت الجمل في تنقلاتها وفي معاركها فسميت بذلك بالقبائل الجمالة، بالإضافة إلى ثورة أنطلاس "Antalas" الذي كان ملكا على المزاق، وهذه الثورات لم تتوقف بوفاة الملك الوندالي هونيك (477-484م) بل إشتدت في عهد خليفته غوانثاموند "Gnthamund"

Modèran (Y),op.cit , p 2.

Janon (M), op.cit , p 351.

Martroye (F), op.cit, p 333.

1

2

3

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

(484-496م)، وقد تكون غاراتهم وراء إختفاء ألواح ألبيرتيني لاحقا (21 أبريل 496م)¹، ونظرا لشدة هذه الثورات أن إضطر القديس فولجانس "Saint Fulgence" لمغادرة المونستير (Monastere) إلى المدينة القديمة (Thelepte)، وأمام هذا الخطر المتزايد قرر هلدريك "Hildéric" إرسال قوات تحت قيادة هلدмир "Hildimir" الذي برهنت هزيمته على أن أنطلاس كان سيد الموقف، ولم يعد بإمكان الوندال التصدي لثورات المور التي عمت مختلف المناطق وحصرت الوندال في البروقنصلية ومناطق محدودة من المزاق²، وهو ما سهل دخول البيزنطيين.

1- ثورة كابوون "Cabaon" بولاية الطرابلسية (؟ - ؟):

يعتبر الزعيم كابوون كباقي الزعماء الموريين حيث مثل القيادة السياسية والعسكرية في مقاطعة الطرابلسية أين إمتدت مملكته إلى المناطق الداخلية من لبدة (Leptis Magna) وطرابلس (Oea)، وخلال عهد الملك ترازموند "Trasamund" في حوالي 520م³، قاد ثورة ضد الوندال والتي سميت بثورة الجمالة ذلك أن كابوون إستعمل في هذه الثورة سلاح الجمال*.

¹ حفيظة العياضي، المرجع السابق، ص 169.

² نفسه.

³

Hadi (S), et d'autres, op.cit, P 379.

* يعتبر وجود الجمال ببلاد المغرب القديم منذ الإمبراطورية العليا يطرح العديد من التساءلات، فإذا لم يتم إدخالها عبر الموانئ السرتية "Syrtiques" في بداية القرن الثالث بفضل مبادرة الأباطرة الرومان مثل سيبتيموس سيفروس "Séptémus Sèvèrus"، أو عن طريق تجار صبراتة (Sabratha) أو طرابلس (Oea) أو لبتس "Lepti"، فمن أين وكيف دخلوا المنطقة؟، ويبدو أن هذه الجمال تعتبر كنوع من الهدية التي كانت من روما للأفارقة، فإن لم تكن من طرف الإمبراطور سيبتيموس سيفوريوس فقد كانت من طرف "Mèharistes Syrien"، وقد أرسلتها الحكومة الإمبريالية إلى مراكز اللمس الإمبريالية المتقدمة من القرن الثالث الميلادي، فمن المؤكد أن اللمس الروماني في الجنوب كما في الغرب من نومديا يتبع الحد من البدو، وكان ليمس الجمال "Limes du Chameau" مكون بشكل جيد خلال عهد ديوقلسيان "Diocletianus" من أجل إغلاق السهول العليا المتمردة في سطيف (Sitifis) وقسنطينة (Cirta)، وفي الوهرانية (Oranie) خاصة ترك الإنسحاب خلال القرن الرابع السهول الغربية للمور "Maures"، وهذا ما يعني أن البدو الذين بقوا أصبحوا سائقي الجمال، ولكن يمكننا أن نلاحظ أن المور من نومديا قمع في موريطانيا الغربية فضلا عن مور البروقنصلية وتمكنوا من إستقبال جمال القبائل الصحراوية وإحضارها لهم، وبالتالي تمكن المور من التدرب على الإبل، ويبدو أن البربر حملوا الإبل من الجنوب ولكن من الشرق مع القوافل التي

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

إستغلت هذه القبائل كل الوسائل المتوفرة لديها لتجعل مقاومتها فعّالة حيث إتخذت من جمالها وسيلة لترهيب خيول الأعداء وحتى على الظروف الطبيعية القاسية للمنطقة خاصة حرارة الصحراء لإرغام المحتل على التراجع، بالإضافة إلى تحالف بعض القبائل المنتمية لمقاطعة الطرابلسية (Tripoli) مثل لواتة (Laguatan)، الأسترياني (Austuriani)، الأفوراكسيس (Ifuraces)، الأستريكس (Astrice)، الأملاكس (Imaclas)، الأركلياني (Ureceliani)، والأناكوتاس (Anacutas) وحتى من باقي القبائل الأخرى في ثورتها ضد الوندال التي مرت بمرحلتين:

أ-المرحلة الأولى (مرحلة التجسس):

إعتمد كابوون "Cabaon" خلال مرحلته الأولى على أسلوب التجسس، حيث أرسل عيوننا إلى قرطاج بهدف مراقبة الوندال في تحركاتهم، وذلك بعد أن علم أنّ الوندال يستعدّون للحرب ضده، وبالتالي تتبّع رجال كابوون الوندال خلال مسيرتهم من قرطاج نحو الطرابلسية أين راقبوا إستعداداتهم الحربية¹، مما يدل على أنّ كابوون كان على دراية بأساليب التجسس ذلك أنّه من جهة لم يقدّم بتكشير خطة الوندال بمهاجمتهم لقرطاج، حيث أراد من ذلك -ربما- إستدراج القوات الوندالية إلى الطرابلسية (Tripoli) أين سينفذ خطته، ومن جهة أخرى نلاحظ أنّ كابوون أمر جواسيسه بالتخفي بملابس بالية لكي لا

غادرت الإسكندرية "Alexandrie" أو "Bèrènikè" الذين إتبعوا المسار الساحلي إلى السرت الصغرى، مما يدل على أنّ الجمال تتحرك ببطئ غربا أولا، من مصر إلى برقة ثم من برقة إلى طرابلس، وإلى البروقنصلية في وقت مبكر من القرن الأول ميلادي، ولا شك أن هناك جمال أخرى منذ العصور القديمة إتخذت مسار غدامس (Cydamus) وفزان (Phasania)، ومع ذلك فقد كانت القوافل الإسكندرية الأكثر عددا وأهمية، وخلال القرنين الثاني والرابع الميلادي يمكننا أن نلاحظ إستخدام أكثر للجمال العربي في المناطق الجنوبية مثل جفارا "Djaffara" وفي منطقة "Tahouine" لتثبيت إستقرار الرومان، وفي بداية القرن الخامس الميلادي (405-411م) نجد أنّ أسقف "Synesios" قد إشتكى من اللصوص المتواصلة من طرف الأسترياني، أنظر:

Demougeot (E), " Le chameau et l'Afrique du Nord romaine ", in :Annales. Economies, Sociétés, Civilisations, 15^{ème} Année, n^o2,1960, p 209-247.

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 62-63.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

يثيروا إنتباه الوندال ويكشفوا خطتهم¹، وهو ما يمثل دليل آخر على إطلاع كابوون على فنون الحرب والتجسس.

وتجدر الإشارة إلى أن الوندال خلال مسيرتهم من قرطاج نحو الطرابلسية كانوا يمارسون سياستهم الإضطهادية لرجال الدين وتدنيس الكنائس حيث قاموا بتطهير آثار التدنيس وأشعلوا المصابيح في الكنائس ثم إنحنوا لرجال الدين إحتراما وتقديرا لهم كما أنهم تصدّقوا بالأموال للفقراء بمجرد أن غادر الوندال هذه الكنائس²، ومن خلال هذا التصرف يعتقد أنّ كابوون يهدف إلى مساندة الكاثوليك المعنوية³، وبالتالي نيّله رضى الرب والمسيحيين من أجل ضمان مساندتهم له في الحرب ضد الوندال⁴، مما دفع بالملك ترازموند إلى تكثيف عمليات الإضطهاد ضدهم ولم يكتف بذلك بل أصدر منشورات منعهم بموجبه من تعيين أساقفة جدد عوض الذين توفوا⁵.

ويبدو أن المور لم يتوقفوا في تتبع أعدائهم الوندال عند الكنائس الكاثوليكية وإنما تابعوا طريقهم في مراقبتهم، غير أنه بمجرد أن إقترب الوندال حيث يوجد كابوون "Cabaon" سبقهم الجواسيس من المور من أجل إخبار قائدهم بتنفيذ المرحلة الأولى من الخطة، وأخبروه بوجود أعدائهم الوندال على مقربة منه، ويتضح أن بروكوب "Procope"⁶ لم يحدد المكان الذي كان يوجد فيه كابوون إلا أنه يفهم منه أن الوندال دخلوا منطقة الطرابلسية، وبهذا تبدأ أطوار المرحلة الثانية من المعركة بينهما.

ب-المرحلة الثانية (مرحلة المواجهة):

بعد إقتراب جنود الملك الوندالي ترازموند "Trasamund" نحو المور بمجموعة من القوات تتألف من الفرسان بأعداد معتبرة أمام الطرابلسية⁷، سارع كابوون إلى الإستعداد

¹ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 53

Procope, I, VIII, 3 .

Schmidt (L), op. cit, p 144.

Modéran (Y), "Cabaon", in : En. B ,T11, 1992, p 1686-1687.

⁵ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص54.

Procope, I, VIII, 2-3.

Mercier (E), op.cit, p 153.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

للمعركة، حيث إعتد فيها على إستراتيجية ورثها عن أجداده المقاومين للرومان، حيث كانت خطته أن يضرب جنوده العدو بمجرد رؤيتهم¹، كما أنه إستخدم إستراتيجية سوف تعتمد عليها القبائل العربية في وقت لاحق، حيث رسم دائر في السهل الذي حدد فيه مكان معسكره، ووضع جماله منحرفة بجوانبها تشكل دائرة لحماية المعسكر، وجعل جبهته تواجه العدو وأثنى عشرة جملا، ثم وضع في وسط هذه الدائرة الأطفال والشيوخ والنساء وممتلكاتهم²، ثم أمر جنوده بأن يجلسوا بن قوائم الجمال³ من أجل أن يتخذوها كدروع لحماية أنفسهم.

وبالتالي فإنّ المور إعتدوا في معركتهم على الوسائل المتوفرة لديهم والتي تتلائم مع بيئتهم والمتمثلة في الإبل الذي شكل وسيلة للدفاع لدى المقاومين، وكذلك السهام بحكم أنّه السلاح المفضل لدى المور الصحراويين، ويلاحظ أنّ الزعيم كابون "Cabaon" قاد هذه المعركة بنفسه، حيث أنّ زعماء المور إعتادوا قيادة المعارك بأنفسهم حتى يحافظوا على وحدة جنودهم خاصة وأنّ الخطة التي وضعها تعتمد على حضوره حتى يضمن تنفيذها ويشرف على أطوارها شخصيا⁴، ويلاحظ أنّ بروكوب لم يتطرق لتحديد موقع المعركة بدقة ولا لعدد جنود المور، حيث إكتفى بذكره الوسائل التي إستعملها وخطته الحربية.

ويتضح من خلال بروكوب أنّ الوندال ذهلوا من تنظيم جيش المور على هذا الوضع، كونهم لم يكونوا يحسنوا إستعمال النبال ولا الأقواس، حيث كانوا يعتمدون على فرسان دون المشاة يستخدمون الرماح والسيوف، وبالتالي لم يستطيعوا أن يلحقوا الأذى من بعيد لأعدائهم⁵، مما أثار سلبا على نفوس القوات الوندالية وإحباطها، وهذا ما دفع بروكوب "Procope"⁶ يقر بأنّ هذه المعركة حسمت لصالح المور قبل أن يرموا بسهامهم.

Mercier (E), op.cit, p153-154.

1

² علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص142.

Gautier (E.F), op.cit, pp 210,214.

3

⁴ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 57.

⁵ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 142.

Procope, I, VIII ,2-3.

6

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

ويبدو أن كابوون إعتد على أسلوب الخدعة خاصة عنصر المفاجأة، وذلك بمهاجمة الوندال بمجرد رؤيتهم، وأمام عجز الوندال من إستخدامهم للنبال والأقواس وكذلك هروب خيولهم بعد أن أزعجها منظر الجمال ورائحتها¹، فقد تفادت الإنقياد بإتجاه العدو، مما سهّل جنود كابوون من النيل على أعدائهم وخيولهم دون عناء، حيث إكتفوا من مواقعهم بإطلاق سهامهم في إتجاه الجيش الهارب، مما أدى بهلاك العديد منهم ووقع بعضهم أسرى عند المور²، مما أدى إلى تراجع الوندال وسط ذهول جنود ترازموند "Trasamund" من تنظيم القوات المورية.

كانت معركة كابوون "Cabaon" من أهم المعارك التي خاضها المور ضد الوندال، بل وجعل من إنتصار هؤلاء بزعامة كابوون أن عجلّ من وفاة الملك الوندالي ترازموند حسرة بعد إنهزامه سنة 523م³، ما يدل على أنّ المور كانوا على دراية بالخطط الحربية العسكرية المحكمة والمنظمة.

وتجدر الإشارة إلى أن عشية الإحتلال البيزنطي حرض بودانتيوس "Pudentius" الذي لعب دور فعّال خلال الفترة البيزنطية، أهالي الطرابلسية (Tripoli) على القيام بالثورة ضد الوندال مستعينا في ذلك على القوات العسكرية التي كان ينتظرها من الإمبراطور جوستينيان، حيث أرسل له رسالة يلح فيها على هذا الطلب، ويؤكد له بإعطائه هذه المقاطعة حين النصر النهائي⁴، كما أنّه تمكن أيضا لاحقا من إقناع الدوق سرجيوس "الذي تم تنصيبه سنة 543م باستقبال وفد من الأعيان يمثل القبائل الصحراوية الطرابلسية التي تم حشدها بزعامة لواتة "Laguatan" جيشا ضخما نحو لبدة "LeptisMagna" من أجل الإحتجاج أمام الدوق الجديد، نظرا لإنتهاك الجيش البيزنطي للأراضي الزراعية والمحاصيل المورية وكذلك لتجديد التعاهد مع الإدارة البيزنطية وتأكيد السلم بين الطرفين.

Mercier (E), op.cit, p 154.

Courtois (Ch), op.cit, p 350 .

³ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 58.

⁴ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 57.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

ولكن مع إشتداد المفاوضات أقدم الدوق سرجيوس على قتل كل أعيان الوفد الموري إلا واحد تمكن من الفرار ونقل ما جرى للقبائل المتمركزة خارج أسوار المدينة التي سارعت بدورها إلى إعلان الحرب سنة 544م والتي دامت لغاية 548م في إطار ما يسمى بالحرب المورية الكبرى، والتي يتضح من خلالها أنّ هذه القبائل لم تكف ببسط نفوذها على الطرابلسية فحسب وإنما كثيرا ما أصبحت مقاطعتي المزاق والبروقنصلية ساحة لمعاركها خاصة وأنها إتحدت في إطار كونفدرالي¹ هدد الوجود البيزنطي ببلاد المغرب القديم.

وكانت أولى معاركها في جوان 544م بالقصرين وذلك بعد أن تحالفوا مع بيزاسين، وتمكنو من تحقيق إنتصار على القائد البيزنطي سلمون "Slomon"² الذي قتل على إثرها، مما جعلها تواصل زحفها حتى أسوار مدينة لاريبوس "Laribus" التي تحصن بها اجيش البيزنطي وبعد حصارها لبضعة أيام عادت إلى أقاليمها بالطرابلسية بعد أن فرضت على المدينة غرامة مالية تقدر ب 3000 قطعة ذهبية.

ومع بداية سنة 545م نجد التحالف ثانية بين المزاق والقبائل الطرابلسية بزعامة يارنا "Ierna" الذي يجمع بين السلطة الدينية كون أنه حامي الإله غرزيل "Gurzil" والعسكرية وإنظم إليه القائد البيزنطي المتمرد ستوتزاس "Stotzas" وتمكنوا بذلك من الإستيلاء على مدينة سوسة (Hadrumetum) بل وواصلت زحفها حتى أسوار قرطاجة، حيث إنهزم البيزنطيون ثانية بموقعة برج مسعود (Thacia) على بعد 35 كلم من الكاف، بينما قتل ستوتزاس.

ومن أجل القضاء على تحالف القبائل الصحراوية الطرابلسية بزعامة لواتة ام الإمبراطور البيزنطي جستنيان بتعيين القائد جان تروجيلتا "Jean Troglita" على رأس القوات البيزنطية الإفريقية، وقد تفاوض هذا الأخير مع قوات التحالف الموري ووعدهم بالعفو والسلم مقابل إطلاق سراح جميع الأسرى وأن تعود القبائل إلى مواطنها وأن يدخل

¹ يوسف عيش، المرجع السابق، ص214.

2

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

أنطلاس تحت النفوذ البيزنطي، إلا أنّ الحرب تم إستئنافها سنة 547م بالقرب من مدينة سوسة بزعامة يارنا "Ierna" الذي إنتهج الإستراتيجية المعروفة لدى هذه القبائل الصحراوية بوضع الجمال على شكل دائري كبير من أجل تكسير هجمات الفرسان البيزنطيين متقمصا في ذات الوقت خادم الإله غرزيل¹، وعلى إثر هذه المعركة لاذ يارنا بالفرار بعد أن تحطمت قوته حاملا معه صورة معبوده غرزيل إلاّ أنّه سقط وسط آلاف من القتلى²، مما ألزم القبائل المورية الإنسحاب نحو الطرابلسية (Tripoli).

ولكن سرعان ما عادت القبائل الصحراوية الطرابلسية في ظل تحالف جديد بزعام الأمير كاركسان "Carcasan" ملك الإيفوراس (Ifuraces) الذي تمكن من حشد وإثارة مشاعر السكان بضرورة المقاومة مستعينا بذلك بتنبؤات المنجمين بدخول قرطاجة وإنصياح سكانه، مما يدل على طموحات هذا الأمير الواسعة في إقامة مملكة بزعامته.

وأمام هذا الخطر لجأ جان تروجيلتا إلى تحالف مضاد بتحالف قواته مع قوات مجموعة من الأمراء المور مثل الأمير كوتزينا "Coutzinas" على رأس 30000 رجل والأمير إيفيسداياس على رأس 10000 رجل وكذلك ملك الأوراس إيوداس "Iaudas" الذي بعث بإبنه على رأس 12000 رجل³، الذين إعترضوا القبائل الطرابلسية في عبور برزخ قابس لذلك لجأ كركسان لأسلوب إرهاب الجيش البيزنطي وحلفائه من المور من خلال التنقل من مكان لآخر وجرهم لمناطق تفتقر للماء والإمدادات بعيدا عن المدن، مما جعل جان تروجيلتا يحاول إنتزاعه المبادرة وقطع الطرق أمامها من مدينة لاريبوس "Laribus"⁴.

ولكن كانت هزيمة المور هذه المرة أثقل من سابقتها ونتاجها أخطر، حيث لم يكتف البيزنطيون بقتل الأمير كاركسان "Carcasan" بل أصروا على طرد القبائل الصحراوية بعيدا عن مناطق النفوذ البيزنطية، وبالفعل لم نجد أي إشارة لهذه القبائل في المصادر بعد هذا التاريخ إلاّ مع بداية القرن السابع الميلادي أين ساهمت في الحملة التي نظمها بطريق

¹ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 215.

² فلفيوس كريسكونيوس كورييوس، المصدر السابق، ص 125.

³ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 216.

⁴

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

المقاطعة الإفريقية هرقليلوس "Heraclius" سنة 609م على القسطنطينية من أجل الإطاحة بالإمبراطور فوكاس "Phocas"¹ لتحتل فيما بعد مكانة أثناء المراحل الأولى من الفتوحات الإسلامية على بلاد المغرب القديم.

2- ثورة أنطلاس "Antalas" (530-548م):

يعتبر أنطلاس "Antalas" من أحد القادة العسكريين المور والذي عاش خلال نهاية الفترة الوندالية وبداية الفترة البيزنطية، فقد لعب دورا هاما خلال الصراعات في منتصف القرن السادس الميلادي، وكان هذا الأمير محل إهتمام لدى معاصريه خاصة بروكوبيوس "Procopius" صاحب حرب الوندال، وكوريبيوس "Corippus" الذي يعتبره سبب البلاء والإضطرابات التي عرفتها بلاد المغرب القديم.

كان والد أنطلاس يسمى قونفان "Guenfan" زعيم الفراكسيس (Frexes) التي تحتل الحدود الجزائرية التونسية الحالية، بين قصرين، تالة (Thala) وتبسة (Theveste)²، وقد أشار بعض الباحثين³ أنّ سنة ولادة هذا الأمير كانت في 500م، إلا أنّ كريستيان كورتوا "Christian Courtois"⁴ وغابريال كومبس "Gariel Camps"⁵ أشارا إلى ما بين 493-500م.

ويبدو أنّ كوريب "Corippe"⁶ ذكر أنّ ميلاد أنطلاس إستقبل باحتفال خاص ذلك أنّ والده قنوفان توجه إلى معبد الإله أمون محملا الهدايا والقرايين من أجل أن يتبرك بإبنه، ومعرفة ما يخفيه له المستقبل، وهذا الإحتفال لا يستفيد منه إلا من كان في مرتبة ولاية العهد وهو ما حدث أيضا مع حنبعل "Hannibal" الذي أخذه والده هميلكار "Hamilcar" ببرقة (Cyrénaique) إلى المعبد، وبالفعل فقد صرّحت كاهنة هذا المعبد: « بأنّ الأيام المقبلة ستشهد سقوط الوندال وتحرير المور، وأنّ أنطلاس سوف يلعب دورا إستراتيجيا في ذلك » .

¹ يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 217.

Camps (G), " Antalas ", in : En. B, n^o5, 1988, p 1.

Schmidt (L), op.cit, p 143; Diehil (Ch), op.cit, p 312.

Courtois (Ch), op.cit, p 306.

Camps (G), op.cit, p 1.

Corippe, VI, chant III.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

اكتسب الأمير أنطلاس سمعة كبيرة سمحت له أن ينجح ويتزعم الفراكسيس (Frexes) في حوالي 510 و515م، وكانت إمارته في الجنوب الغربي لمقاطعة المزاق "Byzacène"¹ وإعتبره كريستيان كورتوا "Christian Courtois"² أمير مملكة الظهر التونسي، كما تعتبر مملكته من أقل الممالك قوة إلا أنها تمثل أخطر مملكة واجهت الوندال، وتعتبر من الإمارات التي تشكلت خلال الفترة الوندالية وقد اتخذ أنطلاس "Antalas" من تالة "Thala" عاصمة له، وذلك نظرا لكثرة التحصينات فيها مثل تبسة "Theveste" حيدة "Ammaedara" وكذلك المدينة القديمة لاريبوس "Laribus"³، وقد كان هؤلاء المور ضد كل ما يرمز للكيان الوندالي.

ويتضح أن منذ عهد الملك الوندالي غوانثاموند "Gunthamund" (484-496م) تعرّضت سهول بيزاسين إلى مجموعة من الغارات المتكررة موجهة من طرف القبائل المورية المنحدرة من جبال الغرب، ما أدى إلى إنعدام الأمن خلال القرن الخامس الميلادي⁴، وقد تكون هذه الغارات وراء إختفاء ألواح ألبيرتيني في 21 أبريل 496م⁵، وهي الفترة التي كان على الملك أن يدافع فيها أيضا على السكان لدرجة أنّ القديس فولجانس "Saint Fulgence" اضطر إلى مغادرة المونستير (Monastere) إلى المدينة القديمة (Thelepte).

كان لتعرض سهول المزاق (Byzacène) للغارات باستثناء المناطق الساحلية أن أدى إلى تحالف القبائل من أجل تشكيل كونفدرالية تحت إشراف قونفان "Guenfan"، الذي إنتصر على الوندال عام 510م⁶، إلا أن كوريب لم يتناول بداية هذه الثورة التي تزعمها قونفان وإنما تتطرق فقط إلى تحميل هذا الأخير مسؤولية المصائب التي حلت بالمنطقة بعد أن ساد فيها السلم وقد كان هذا بمشاركة ابنه أنطلاس⁷.

Camps (G), op.cit, p 1-2. 1

Courtois (Ch), op.cit, p 346. 2

Camps (G), op.cit, p 1-2. 3

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 378. 4

5 محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 248.

Hadi (S), et d'autres, op.cit, p 379. 6

Camps (G), op.cit, p 1,2. 7

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

ويبدو أن أنطلاس كانت بداياته الأولى في الثورة ضد الوندال لما كان في السن السابعة عشرة (17 سنة) من عمره وذلك بقيامه بمجموعة من الغارات التي ذاع صيته من خلالها¹، وذلك من خلال عمليات نهب قطعان الماشية والثيران، وهذا ما أشار إليه بروكوب "Corippe"² عند سرقة أنطلاس لحمل وقتله ثم أكله قائلا: « كان أنطلاس قد أكمل سن السابعة عشرة من عمره حينما تعاطى للنهب، حيث سرق في إحدى جولاته الليلية الكبش الذي يقتاد للقطيع، بعد ذلك توجه بسرعة وهو يحمل فريسته فوق عنقه إلى إحدى المخابئ الطبيعية، هناك خنقه بعد أن شد بكلتا يديه حول عنقه، سقط هذا الكبش محتضرا بين رجلي أنطلاس الذي كان يلهث، وعن طريق سيفه تخلص من جلده، وقطع هذا الحيوان إلى قطع كبيرة ثم ثبت السفايد بأعضائه التي كانت لا تزال تخفق أكلت النار المشتعلة لحم هذا الكبش ثم إفترسها بطريقة وحشية، منذ هذه اللحظة كبر أنطلاس وسط السلب والنهب وأصبح مساندا لكل من يتعاطى لعمليات السرقة » .

ونلاحظ من خلال وصف كوريب "Corippe" أنه جعل من أنطلاس لصا وقاطع طريق، ولكن يمكن أن نستنتج أن هناك إحتمالين لهذه السرقة على أن كوريب يعتبر شاعرا :

- قد يكون الكبش صورة مجازية لأحد القادة العسكريين الوندال وربما هذا دفعه ليجعل فريسته الكبش الذي يتقدم القطيع، كما يمكن أن يكون قد قصد من هذا القطيع الجنود الوندال المرابطين بولاية المزاق (Byzacène)، ذلك أن عملية الخطف والقتل التي قادها أنطلاس شملت أيضا القادة الوندال، حيث فاجاهم و ذبحهم بسيفه، أما بخصوص الطريقة التي أكل بها أنطلاس فريسته، فقد أبدع فيها كوريب فهذه صورة شعرية مجازية لعملية قتله للأعداء³، وإلا كيف نفسر هذا الوصف الدقيق وكأن كوريب كان حاضرا أثناء عمليات الخطف.

Diehl (Ch), op.cit, p 312 ; Camps (G), op.cit, p 1.

Corippe, op.cit, chant III.

1

2

³ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 67.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

- قد يكون كوريب قصد فعلا من خلال هذه الفقرة عملية إختطاف أنطلاس لقطعان الماشية، ولكن يبدو أن هذه العملية كانت الهواية المفضلة لدى المور¹، كما أنه كانت من ضمن العمليات الجريئة²، وتدخل في إطار الإستعدادات العسكرية ويجب على القائد الشاب القيام بها على أساس الإختبار، ونجد هذه الظاهرة ببلاد المغرب القديم والبلدان المتوسطية وسردينيا وكذلك بين سكان المناطق الصحراوية³، فهي عمليات تشريفية للشباب الذي يقوم بها.

ويبدو أن أنطلاس كان يقوم بهذه الغارات مع أتباعه مما أدى إلى توسيعه لحدوده⁴، ذلك أنهم قاموا بهجمات على بعض المدن وعلى كل ما يرمز للكيان الوندالي فنجد مثلا مدينة روسب (Ruspe) التي لم تتجوا من ضرباتهم، فقد أحرقوا معالمها و قتل العديد من سكانها وهم بداخل أماكن العبادة⁵، إلا أن يافس موديران "Yves Modèran"⁶ قلل من شأن هذه الغارات التي إعتبرها أنها إقتصرت على مزارع من بيزاكينا دون أن تشكل خطورة على الوندال، ولكن هذه المرحلة هي التي مهّدت للمرحلة الحاسمة التي كانت خطيرة بالنسبة للوندال⁷، نظرا لعمليات المباغته والقتل التي إستهدفتهم وسببت إضطرابات في صفوف جنود الوندال .

وبالتالي سوف يكون من الضروري أن نفترض بأن المجموعات المورية إستطاعت في وقت مبكر منذ 526م أن تنهب في جميع المزارق (Byzacène) بما في ذلك المناطق الساحلية الغنية⁸، وهذا ما أشار إليه كوريب "Corippe"⁹ بقوله: « أحرق أنطلاس المدن والقرى ونهب المنازل، وبعدها إنسحب إلى الجبال القريبة خوفا من رد فعل الوندال » ، فقد عرفت هذه الأحداث منعطفا حاسما، ذلك أن سكان المدن والقرى إضطروا إلى مغادرة

Diehl (Ch), op.cit, p 343. 1

Courtois (Ch), op.cit, p P 347. 2

Camps (G),op.cit, p 2. 3

Diehl (Ch), op.cit, p 343. 4

Lapeyre (P), Saint Fulgence de Ruspe, Un évêque Catholique Africain sous la 5

Domination Vandale , Paris, 1929, p 323-326.

Modèran (Y), « La chronologie », p 140. 6

فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 67. 7

Modèran(Y), op.cit, p 139. 8

Corippe, op.cit, VI, Chant III, p 457. 9

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

منازلهم وحقولهم نظرا لخوفهم، فما إن حلت سنة 529م أو 530م حتى توترت الأوضاع في بيزاكيما أمام الضغط الذي مارسه المور على مدن وسواحل الولاية¹، ما يدل على أنّ تحركات أنطلاس "Antalas" أخذت منعطفا جديدا بتحولها إلى هجمات واسعة على المدن والحقول بل حتى ضد الجيش الوندالي في معارك مفتوحة² بعدما كانت عبارة عن هجمات خاطفة.

وأمام الخطر الموري المتزايد فقد كان على الملك الوندالي هلدريك "Hildéric" إرسال قوات تحت قيادة هلدмир "Hildimir"³، إلا أنّ الملك الوندالي أخطأ الإختيار وذلك لنقص تجربته الحربية⁴، ويبدو أنّ هذا القائد حاول أن يهاجم أنطلاس "Antalas" وأتباعه داخل الجبال والغابات وهي مناطق تواجدهم، فقد إستغلوا صعوبة تضاريس المنطقة ومعرفتهم الجيدة لمسالكها، وبالتالي قاموا بالتخفي وراء صخورها الحادة وأوديتها العميقة، وبعدها قرر هلدмир أن يحارب أنطلاس داخل المنحدرات الصعبة.

كما كانت لدرجات الحرارة أن ساهمت في الحد من طموح القائد الوندالي هلدмир في مطاردة أنطلاس وأتباعه، ذلك أنّ الجيش الوندالي لما أحس بالعطش إنصرفوا للبحث عن المياه، وحتى حامل الراية خالف قائده هلدмир الذي أمره بالتزام مكانه لمراقبة العدو، لكنّه نزل من أعلى الجبل متبوعا بكل وحدات الجيش الوندالي وتوغلوا داخل هذه الجبال، وهذا ما إعتقده المور أن أعدائهم يفرون منهم فنزلوا من الجبال لملاحقتهم.

وهذا ما أحدث الذعر والخوف والفوضى في صفوف الجنود الوندال الذين إنسحبوا بعد أن طاردتهم وحدات جيش أنطلاس وتعثر معظمهم ما بين الصخور مما تسبّب في مقتل العديد منهم، وبالتالي فقد كانت صعوبة التضاريس كافية في إلحاق الهزيمة ضد

Modèran (Y), op.cit, p 140,141.

1

² يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 219.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 248.

4

Procope, I ,IX 2.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

الوندال دون لجوء أنطلاس إلى إستخدام الأسلحة التي لم يشر إليها كوريب "Corippe"¹، كما أن قوات الوندال ضعفت نتيجة أسلوب التخويف والترهيب.

ويبدو أن الهزيمة التي تلقاها القائد الوندالي هلديمير أمام جيش أنطلاس تتدرج ضمن التوسع الذي بدأت تحققه هذه الإمارة ، حيث أكد بروكوب "procope" أنها كانت السبب في ثورة الوندال على ملكهم هلدريك خلال (523-530 م) والإطاحة به بزعامة جليمر "Gèlimer"²، فقد كان لهذا الفشل أن وصل إلى ذروة السخط العام مما أثار بالفعل من طرف الحماية الممنوحة للكاثوليك من طرف التمزق مع القوط الشرقيين "Ostragoths" ومع ذكرى الخضوع للإمبراطورية، ذلك أنّ جليمر حفيد جانزون "Genzon" إستفاد من هذه الظروف، وتسليح لمحاربة المور وقد تفوق عليهم في بعض المزايا التي زادت من هيمنته على الجيش، وبالتالي إغتتم هذه الفرصة ليعلن من طرف الجنود إنحلال هلدريك "Hildèric" والحصول على العرش في مكانه، وقد سار في قرطاج وألقى بالملك هلدريك في السجن عام 531م³، ولكن إذا كان تاريخ هذا الانقلاب معروف في 5 جوان 530م⁴ فإن ذلك يجعلنا نبحث عن الإنتصار الموري في الفترة ما بين 527م و529م.

ومن خلال قصيدة جوهاند "Johannide" نجد أن كوريب "Corippe" يصف الزعيم أنطلاس ومراحل الإنتفاضة المغاربية في بيزاكيينا التي تقتصر في البداية على المساعدة في منطقة جبلية على هامش المقاطعة فلم تتوسع ولم تهدد المدن الرومانية⁵، ويبدو أنّ الملك هلدريك كان عدوا للحروب وبالتالي ترك الشؤون العسكرية بصفة مطلقة لإبن عمه هوامر "Hoamer" الذي يلقب ب "Achille Vandale" وكان هذا الأخير من أشجع القادة العسكريين الوندال، فبعد أن وضع المور أنفسهم في حالة تمرد كان عليه حماية سكان المنطقة من النهب فقام بمسيرة ضدهم⁶، إلا أن هذه المعركة باءت بالفشل، ذلك أنّ

Corippe, op.cit, Chant III.

1

² يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 219.

3

Mercier (E), op.cit, p 155.

⁴ يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 219.

5

Modèran (Y), op.cit, p 140.

Mercier (E), op.cit, p 153-154.

6

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

هوامر لم يستطع الصمود أمام المور بالرغم من خبرته العسكرية، حيث هزم أمام القائد الموري أنطلاس "Antalas" الذي سيطر على المدن الواقعة على سواحل المزاق (Byzacène)¹.

وبالتالي فقد تمكّنت قبائل المزاق من جيوش الوندال أكثر من مرة، وكانت كل هذه الثورات وراء إرهاب إمكانيات الوندال وإضعاف جيوشهم والحد من من نفوذهم الذي بدأ ينحصر شيئاً فشيئاً²، وتجدر الإشارة إلى أنّ أنطلاس تحالفت معه عدة قبائل مورية لصد الوندال، ومن أهمها قبائل الفراكسيس (Frexes) التي ينحدر منها أنطلاس، وكذلك قبائل النفور التي تقع بجنوب شرق المزاق وبالتالي فهي جارة لقبائل الفراكسين³، كما الطرابلسية كانت ضمن القبائل المتحالفة مع أنطلاس وعلى رأسها قبائل لواتة والأسترياني، فلا نستبعد أن تكون قبائل لواتة قد شاركت أنطلاس في مقاومته للوندال سنة 530م، ذلك أنّها أعلنت رفضها لسلطة الوندال عن طريق هجومها على مدن الطرابلسية، وقد إستمرت ثورتهم إلى عهد جليمر "Gèlimer" آخر ملك وندالي والذي قمع ثورتهم في جنوب بيزاكينا⁴، كما إستمرت مقاومتهم إلى غاية مجيء البيزنطيين.

والجدير بالذكر أن أنطلاس قد تحالف مع ثيودريك "Théodoric" ملك القوط الشرقيين والوصي على القوط الغربيين بإسبانيا وكان شقيق أمالافريدا "Amalafride" زوجة ترازموند "Trasamund" التي لم تعترف بالملك هلدريك "Hildèric" كملك على العرش الوندالي⁵، وجاءت محاولته هذه بعد فشله في التقرب إلى البيزنطيين الذين كانوا على علاقات طيبة مع الملك هلدريك خلال هذه الفترة.

ويبدو أن أنطلاس إستغل ظروف تدهور العلاقات الوندالية القوطية بعد التقارب البيزنطي الوندالي، وكان سبب هذا التدهور هو إتهام الأسرة القوطية في أمالافريدا بالإطاحة بالملك الوندالي هلدريك، مما دفع بالملك إلى أسرها بعد أن إكتشف أمر هروبها

Mortroye (F), op.cit, p 215.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 266.

Diehl (Ch), op.cit, p 304.

Gautier (E. F), op.cit, p 298.

Procopé, I, IX, 5.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

من قرطاج، ولذلك إقترح أنطلاس على ثيودريك ضم قواتهما لمحاربة الوندال، إلا أن الملك القوطي عجز عن جمع السفن الكافية لإرسالها من أجل الإنتقام للملك الوندالي¹، وبالتالي إغتيال أمالافريدا زوجة الملك الوندالي ترازموند² .

والرأجح أن التحالف الموري القوطي قد تم سنوات قبل إنتصار أنطلاس "Antalas" على الوندال، فمادام أنه تم في عهد الملك ثيودريك "Théodoric" وبما أن هذا الأخير توفي سنة 526م، ومنه أن هذا التحالف قد تم قبل سنة 526م³، وبالتالي فإن أنطلاس لم يكتف بالتحالف مع القبائل المورية، بل لجأ حتى إلى خارج بلاد المغرب القديم إستعدادا لمواجهة العدو الوندالي.

وعلى العموم فقد كانت لثورة أنطلاس نتائج أثرت على مجريات الأحداث ببلاد المغرب القديم، من أهمها:

- إن هزيمة الوندال أمام الأمير أنطلاس "Antalas" تدل على أن هذا الأمير أصبح صاحب النفوذ على مرتفعات الظهير الاوسط⁴، وأنه سيد الموقف ولم يعد بإمكان الوندال التصدي لثورات المور التي عمت مختلف المناطق وحصرت الوندال في البروقنصلية ومناطق محدود من المزاق (Byzacène)⁵، كما أن أنطلاس سيواصل عملياته عبر السهول والتي توجت بمملكة مورية في مركز الدولة الوندالية⁶، وهذا ما دفع سكان سوسة (Hadrumantum) التي هي أغنى مدن المزاق إلى تأمين أنفسهم قبل 533م وذلك ببناء سور دفاعي مستعنين في ذلك على بقايا مواد البناء لسور المدينة وبعض الحجارة المأخوذة من منازلهم، كما شرع في شهر سبتمبر 533م معمرى مدينة المملكة بالقيام بنفس إنجاز سكان سوسة حتى يتحصنوا من الخطر الموري⁷.

¹ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص 64.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 266.

³ Corippe, III, chan II.

⁴ Courtois (Ch), op.cit, p 347.

⁵ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 248.

⁶ Courtois (Ch), op.cit, p 347.

⁷ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 58.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

-على الرغم من الإنتصارات التي حققها أنطلاس "Antalas"، إلا أن مقاومة مور بيزاكينا والطرابلسية إستمرت طيلة فترة حكم جليمر "Gèlimer" (530-533م)، فقد زادت حدة ثورات هذه الولاية بقيادة أنطلاس، وقد هددوا المصالح الإقتصادية والعسكرية ، كما هددوا المدن أيضا مثل مدينة سولكتوم (Sellectum) والتي كانت في سبتمبر 533م محصنة تحسبا لأي هجوم موري¹، ومست هذه الهجومات المدن الداخلية أيضا مثل ماما (Mamma)، كولوليس (Cululis) والمدينة القديمة (Thelepte) وكان الهدف منها زرع الخوف بين الوندال لإرغامهم على مغادرتها و ليس الإساءة إلى سكان المدن²، ويبدو أن كل محاولات جليمر لمحاربة هذه القبائل باءت بالفشل، مما إضطره إلى عقد الصلح معهم³، كما تسببت هزيمة الوندال في المزاق في إستيلاء الجيش وإبعاد الملك هلدريك "Hildéric" وبالتالي تولي جليمر "Gelimer" الحكم، وهو ما تسبب في إنقسام عميق بصوف الوندال وتدخل الدبلوماسية البيزنطية⁴، مما يعطي للإمبراطور جوستينيان "Justinien" الإرادة في إسترداد إمبراطورية أجداده.

-حاول كوريب "Corippe"⁵ التقليل من أهمية هذه الثورة، لذلك نجده أنه أرجع نجاحها إلى تدخل القدر فيه بقوله: « لم تكن شجاعة العدو هي المسؤولة عن هزيمة الجيش الوندالي بل شاء القدر أن يقضي على الوندال » .

ولكن تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من تحالف القبائل والممالك المورية مع بليزاريوس سنة 533م أمثال الملك أنطلاس الذي أصبح صاحب النفوذ على مرتفعات الظهير الأوسط⁶ مؤسسا بذلك مملكة مورية في قلب الدولة الجرمانية، وقد إعترف البيزنطيون بسلطته على القبائل المحيطة به والتي ظل يمارسها حتى سنة 544م، كما كان أيضا الأمير كوتزينا "Cusina" ضمن الأمراء الذين شاركوا في المفاوضات مع القائد

Procope, I, XVI, 9.

¹ فاطمة منقاشي، المرجع السابق، ص، 73-74.

² محمد صالح العود، المرجع السابق، ص 88.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 265.

⁴ Corippe, VI, Chant III.

⁵ Courtois (Ch), op.cit, p 347.

⁶

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

والتي توجت باتفاق بين الطرفين¹، إلا أن هذه التحالفات لم تمنع القبائل والممالك المورية من إستمرار مقاومتها ضد رومانو-بيزنطيين بمجرد رحيل بليزاريوس من القبائل المورية الأخرى من بيزاسين ونوميديا، ويبدو أن العناد الموري كان أشد صرامة من القوة الوندالية، فقد كان لملوك المور الذين أعلنوا ولائهم للإمبرطور البيزنطي خلال الحروب الوندالية أن إنقلبوا عليه عام 534م²، وبالتالي قامت عدة ثورات مورية خاصة وأن كانت أعنفها في بيزاسين ونوميديا.

وخلال هذه الفترة كانت مهمة التحكم في أمور بلاد المغرب القديم قد أسندت للقائد سليمان "Solomon" الذي جمع بين السلطة العسكرية بصفته القائد الأول والسلطة المدنية كون أنه الحاكم أو الوالي على كل الإدارة في المنطقة وذلك بعد توجه بليزاريوس إلى القسطنطينية لتسليم الملك الوندالي جليمر للإمبرطور البيزنطي جوستينيان³.

ويبدو أن بليزاريوس قد عزز نفوذ مستخلفه بعدد كبير من الجنود والضباط من حاشيته كما دعمه الإمبرطور البيزنطي بجيش ثاني، حيث وصل عدد جيوشه بذلك 18 ألف مقاتل لمواجهة التحالف الموري الذي تشكل من أربعة أمراء، كوتزينا "Cusina"^{4*}، أسديلاس "Esdilisas"، أيوفروتاس "Iouphroutes"، مدسينيساس "Medsinisas"، من

¹ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 221-222.

² Richardot (Ph), "La Pacification del' Afrique Byzantine 534-546", Institut de Stratègie Comparée, n°93- 96, 2009, p 130-135.

³ Diehl (Ch), op.cit, p 48-49.

* كوتزينا "Cusina": زعيم موري منذ بداية العصر البيزنطي وقد تم الإشارة إليه من طرف كوريب في قصيدته جوهانيد وكذلك من خلال كتاب حرب الوندال للمؤرخ بروكيبوس، ونسخ إسمه بشكل "Koutzinas" في النصوص اليونانية، لتظهر على شكل "Coutsina" التي إعتدها الكثير من المؤرخين المحدثين، وكان هذا الزعيم معروفا من جميع زعماء المور الآخرين في عصره، وكانت آثاره بداية من القرن 6م، إلا أن بروكوب يعتبره مثل بقية البربر الآخرين، وكان كوريبوس يسعى بكل الوسائل لجعله شخصية المور الخير "Bon Maurs" على حساب إخفاء منهجي لثوراته من 534م، 535م و546م، أما ديبل "Diehl(Ch)" صاحب كتاب إفريقيا البيزنطية يشير في صورة كاريكاتورية مصر على إنقلابه للتحالف لتقديمه كتوضيح واضح لخداع المور، وكان كورتوا "Courtois(Ch)" بدوره سلبي جدا ذلك أنه يشير في جيوش كوتزينا عام 534م قطيع الجمال وعادات الرجل ويقدمه كواحد من العناصر القيادية للبدو والرجل السابقين لجمال الطرابلسية، إلا أن المصادر توضح أن كوتزينا لديه العديد من الخيول إلى جانب الجمال. أنظر:

Modèran (Y), "Cusina", in :En. B, n°14, 1994, p 1-3.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

مقاطعتي نوميديا والمزاق على رأس حوالي 50 ألف موري¹ للحد من التوسع البيزنطي من خلال قيادتهم لتمردين بين 534م و535م².

قاد هذا الأمير جيشا من المحاربين سنة 534م تتبعهم نساؤهم وأطفالهم إلى جانب قطعان الماشية خاصة الجمال التي إستعملها في معركة ماماس "Mammes" (على بعد 30كلم غرب القيروان) وإنتهج نفس إستراتيجية القبائل الصحراوية الطرابلسية³، وفي المقابل نجد أن القائد سليمان "Solomon" إستعادة سلمون زمام الأمور بتخليه عن الخيول بخصوص معركة على الأقدام محتميا بالدروع، وبالتالي فرق الجدار الدفاعي للمور وانقلبت مسار المعركة حيث قتل 200 جمل وحوالي 10000 موري، غير أن إنتصار سلمون لم يحد من عزيمة المور، وهذا ما دفعهم للقيام بمعركة ثانية سنة 535م بعد أن علم بغزو المور لبيزاسين تحرك الجيش البيزنطي إلى مرتفعات جبل بورغاون (Burgaon) وحصر العدو من قمة الجبل ومن سفحه مما مكنه من تحقيق إنتصارا كبيرا⁴، وبعد هذه الهزيمة الرهيبة للمور فر كوتزينا مع شعبه إلى نوميديا⁵، حيث وجد اللجوء عند زعيم بلاد المور في الأوراس إيوداس "Iaudas".

ونفترض أن قراره باللجوء إلى هذه المنطقة ناتجة عن وجود علاقة بينه وبين أمير الأوراس وهذا ما يؤكده إستقراره النهائي بالمنطقة، إلا أنه غير من سياسته في التعامل مع السلطة البيزنطية سنة 544م، حيث أشار كوريبوس⁶ أنه أصبح حليفا للبيزنطيين على رأس قوات قبائل الماسيليا "Massylian"، وفي سنة 548م قاد ثلاثين أميرا موريا أثناء تحالفه مع القائد البيزنطي جان تروجيلتا "Jean Troglita" ضد القبائل الطرابلسية⁷ المتحالفة مع أنطلاس.

¹ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 68.

Modèran (Y), op.cit, p 1.

² يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 224.

³ سليم دريسي، المرجع السابق، ص 68.

Modèran (Y), op.cit, p 1.

⁴ فلفيوس كريسكونيوس كوريبوس، المصدر السابق، ص 137.

⁵ يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 225.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

وتجدر الإشارة إلى أن أنطلاس إنقلب تحالفه إتجاه الإدارة البيزنطية، ويرجع هذا التحول إلى السياسة البيزنطية التي حرمتها من حصته التقليدية من القمح التي كانت تسلم له تكريما وتقديرا لموالاته منذ عهد بليزاريوس وبتزكية من الإمبراطور جستنيان، فضلا عن مقتل شقيقه غاريزيلا "Guarizila"، وبالتالي تم عقد سلسلة من التحالفات بين الأمير أنطلاس وبين القبائل الصحراوية الطرابلسية وكذلك مع بعض القوات البيزنطية التي كانت مع العناصر المتمردة لستوتزاس "Stotzas" أو الحاكم غونثاريث "Guntharith" أو حتى مع العناصر الموالية للإمبراطور مثل ماركنتيوس "Makentius"، حيث أصبح أنطلاس الحليف الطبيعي في أغلب معارك القبائل الصحراوية الطرابلسية¹ إثر الحرب المورية الكبرى (544-548م) رفقة الزعيم يارنا ومن بعده كاركسان.

ويلاحظ من خلال تغيير التحالفات بين الأمير أنطلاس وكوتزينا على وجود علاقة الكراهية والحقد بينهما، والتي يمكن أن نفسرها بالصراع الإقليمي بين هاتين الإماراتين نظرا لتجاورهما جغرافيا، فمن الممكن أن تمتد هذه الإمارة في النطاق الجنوبي الغربي لمنطقة الشطوط أو غرب الطريق الرابط بين مدينة قفصة "Capsa" والمدينة القديمة (Thelepte)، وهو ما جعل كوتزينا يستغل أي فرصة للإطاحة بأنطلاس.

إستمرت علاقة كوتزينا مع البيزنطيين لغاية سنة 563م على إثر مقتله سنة 563م على يد الحاكم جون روقاثينوس "Rogathinos"، وذلك بعد تدمير أغلب الإمارات المورية الناشئة أو على الأقل إضعافها²، مما يوحي أنه لم يكن سوى وسيلة إستعملته السلطة الرومانية خلال محطاتها لضرب أبناء جلدته.

¹ يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 221-223.

² نفسه، صص 225، 227.

خامسا- مقاومة القبائل للحكم الوندال:

شهدت بلاد المغرب القديم إلى جانب الثورات التي قادها زعماء الممالك المورية مثل كابوون "Cabaon" وأنطلاس "Antalas" ثورات تزعمتها القبائل المورية ضد الحكم الوندالي إلا أنه لم يتم التطرق إلى تحديد أسماء الزعماء الذين قادوا هذه الثورات، ذلك أن المصادر إكتفت بذكر الأضرار التي ألحقتها على الوندال، وتمحورت هذه الثورات في ثورة قبائل موريطانيا الطنجية، ثورة قبائل الكوريسنسييس (Curbissensis) وكذلك ثورة القبائل المجهولة.

1-ثورة قبائل موريطانيا الطنجية:

يبدو أن هذه القبائل ساعدت الوندال في إرشادهم للوصول إلى قرطاجة كما أنها شاركت الملك جنسريك "Genséric" في حملاته على أوروبا¹ ولا نستبعد أيضا أنها تحالفت مع الوندال ضد البيزنطيين.

ويتضح أنها كسائر الممالك والقبائل الأخرى فقد ثارت ضد خلفاء الملك جنسريك كما يتضح من لائحة الولايات والمدن الإفريقية تعود إلى سنة 484م²، وقد تمكنت موريطانيا الطنجية بفضل مقاومتها من تحرير المناطق الممتدة من مضيق قانس إلى مدينة القيصرية، فأجبروا بذلك الوندال من التخلي عن هذه المنطقة³ التي يبدو أنها حافظت نهائيا على إستقلالها إلى مجيء العرب، مما يدل حسب ما أشار إليه بروكوب "Procope"⁴ على أن الوندال سيطروا فقط على مدينة سبتة (Septim) التي إستمرت تحت سيطرتهم إلى مجيء البيزنطيين الذين إستردوها عام 534م.

Courtois (Ch), op.cit, p 159.

1

² فاطمة مناقشي، المرجع السابق، ص 75.

3

Schmidt (L), op.cit, p 203.

Procopé, II, V, 6-7.

4

2- ثورة قبائل الكوريسنسييس "Curbissensis":

شكّلت قبائل الكوريسنسييس "Curbissensis" بضواحي قرطاج تهديد لصالح الوندال والبيزنطيين، فلا نستبعد أن تكون قد ثارت ضد السلطة الوندالية وقاومت تدخلها في ولاية الطرابلسية كما يمكن أن تكون قد هدّدت مدنها مثل باقي القبائل بهذه الولاية وعلى رأسها قبائل لواتة، فقد إعتبر شارل دييل "Charles diehl"¹ أن هذه القبائل قاومت الإحتلال الوندالي ومن بعده الإحتلال البيزنطي ذلك أنّها إحتفظت باستقلالها الجزئي وقامت بعمليات السلب والنهب في حق السلطات الحاكمة التي توالى على المنطقة مما دفع قوات الإحتلال إلى مهادنتها لتجنب إنتفاضتها.

ويمكن أن تكون قبائل الكوريسنسييس قد تسالت إلى بيزاكينا "Byzacène" وتحالفت مع القبائل المنتشرة هناك، فقد قطعت مسافات طويلة خلال مقاومتها للبيزنطيين ذلك أنّها وصلت إلى قرطاج وهددتها².

3- ثورة القبائل المجهولة:

أشار بروكوب "Procopé"³ إلى أنّ الملك الوندالي غوانثاموند شن حملة ضد المور: « شنّ غونثاموند عدة معارك ضد المور أكثر من هونريك وأساء معاملة المسيحيين أكثر من هذا الأخير » .

وبالتالي فهي إشارة خاطفة إلى هذه الثورة للقبائل المجهولة، ذلك أن بروكوب لم يذكر ماذا يقصد بالمور ولا تاريخ هذه الثورة ، كما أنّ الباحثين المعاصرين لم يقدموا الشيء الكثير عن هذه الثورة، إلا أن شميدت "Ludwig Schmidt"⁴ نقلنا عن القديس فولجانس "Saint Fulgentii" أشار إلى أنها تتعلق بقبائل الأراضي لولاية بيزاكينا التي هاجمتها، مما إضطر بالسكان إلى مغادرتها فيما إحتفى البعض الآخر بداخل المنازل

Diehl (Ch), op.cit, p 304.

Courtois (Ch), op.cit, p 349 .

Procopé, I, VIII, 6.

Schmidt (L), op.cit, p 135-136.

1
2
3
4

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

التي حولها إلى معاقل ضد المقاومين، وأشار كريستيان كورتوا " Christian Courtois " ¹ إلى أن هذه الثورة تركزت شمال شرق بلاد المغرب القديم.

ويعتقد شميدت " Ludwig Schmidt " ² أنّ الثورة إنطلقت من ولاية المزاق " Byzacène " وحسب نقيشة عثر عليها بالفتيريا " Elephantaria " موزيفيل " Mouzaiville " تؤرخ بسنة 495م وامتدت هذه الثورة إلى جنوب مدينة تترموسو (Thanaramusu) بموريطانيا القيصرية.

ويبدو أنه في سنة 498م نجت سواحل المزاق من أضرار هذه الثورة، إلا أن المصادر والمراجع التي أرخت لهذه الثورة لم تخبرنا عن سبب إنتقالها إلى هذه المنطقة ولا كيف تم ذلك، كما أنها لم تتطرق عن الدوافع التي جعلتها تختار ولاية موريطانيا القيصرية دون غيرها من الولايات القريبة منها خاصة نوميديا والطرابلسية، فهل يعني هذا أنّ الثورة إنطلقت قبل 487م، وهي السنة التي غير فيها غوانثاموند سياسته الإضطهادية إتجاه الكاثوليك من بيزاكينا ثم أخدمت بها لتشتعل في سنة 495 بولاية موريطانيا القيصرية، إلا أنّه سنتي 497م و498م زادت هجمات هذه القبائل على ولاية بيزاكينا لدرجة أن إضطر القديس فولجانس " Saint Fulgentii " إلى مغادرة ديريه بالمدينة القديمة " Thelepte " ³.

وبالتالي فإن هذه الثورة شملت كل من المزاق وموريطانيا القيصرية، وقد إرتبط ذلك بسوء معاملة خلفاء الملك جنسريك لها ولباقي المور، فقد تكون إنطلقت سنة 477م من بيزاكينا وتوسعت خلال سنة 495م لتشمل ولاية القيصرية، وربما إنتقال جزء من الثوار إلى هذه الولاية الأخيرة ومع ذلك إستمرت بولاية المزاق إلى ما بعد سنة 500م ⁴.

ويبدو أن هذه الثورة هددت بشكل مباشر السلطة الوندالية ومصالحها في الولايتين، وهذا ما دفع الملك الوندالي غوانثاموند " Gunthamund " إلى تغيير سياسته سنة 487م

Courtois (Ch), op.cit, p 343.

Schmidt (Ch), op.cit, p 136.

Courtois (Ch), op.cit, n⁰9, p 343 .

Ibid, p 343.

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

إتجاه الكاثوليك حفاظا على الأمن الداخلي وبالتالي التفرغ لتهدئة هذه الثورة، وقد أرسل جيشا لقمع المقاومين¹.

وبعد إنتصار الجيش الوندالي تمكن المقاومون المور من مضاعفة هجماتهم على المدن و الأرياف، ما دفع بالسكان إلى المغادرة وإضطر الملك غوانثاموند إلى أن يقود جيشه في 2 أفريل 496م، وقد تمكن من طرد المقاومين إلى خارج ولاية بيزاكيينا دون أن يحقق إنتصار ضدهم².

ومن خلال هذه الثورات التي قادتها سواء الممالك أو ثورات القبائل المورية فقد عبّرت عن رفضها للإحتلال الوندالي وأعلنت الإستقلال عنه، وعلى الرغم من أن المؤرخين قلّوا من شأن هذه الثورات إلا أنها شكّلت خطرا كبيرا على الوجود الوندالي ببلاد المغرب القديم، ذلك أن ثورة كابوون "Cabaon" عجّلت ب وفاة الملك الوندالي ترازموند "Trasamund" كما أنّ ثورة أنطلاس "Antalas" تسبّبت في المشاكل السياسية داخل العرش الوندالي حيث أطاح جليمر "Gelimer" بالملك هلدريك "Hildéric"، مما يدل على أنّ هذه الثورات تعتبر السبب الرئيسي لإنهاء الوجود الوندالي في المنطقة، وهذا ما مهّد للدخول البيزنطي.

يتضح أنه رغم مساندة المور للوندال أثناء زحفهم للضفة الجنوبية للبحر المتوسط، إلا أنهم غيروا من سياستهم إتجاه الوندال ذلك أن هؤلاء لا يختلفون عن سياسة الرومان الإستغلالية لبلاد المغرب القديم ما أدى بالكيانات السياسية المورية أن إنقلبت ضد الوندال وقاومتهم سواء من الناحية الحضارية أو العسكرية، ومن الواضح أنّ بداية تحرر المور بدأ من موريطانيا الطنجية بعيدا عن تمركز الحكم وعند وفاة الملك هونريك سوف ينتشر شرقا وقد وصلت بالفعل إلى الأوراسيين، فقد تلقى الملك ترازموند هزيمة من طرف قوات كابوون والتي عجّلت من وفاته، كما تسببت ثورة أنطلاس في مشاكل سياسية للوندال ذلك

Schmidt (L), op.cit, p 135.

1

Courtois (Ch), op.cit, p 343 ; Schmidt (L), op.cit, p 135,136 .

2

الفصل الرابع: موقف المور من الإحتلال الوندالي .

أنّ جليمر أطاح بالملك هلدريك، مما يدل على أنّ الثورات المورية حققت إنتصارات مهّدت للخول البيزنطي.

وبالفعل فقد أصبحت بلاد المغرب القديم خاضعة للإحتلال البيزنطي منذ عهد جوستينيان "Justinien"، فلم يدم الصراع بينهم وبين الوندال سوى بضعة أشهر، وقد عيّن القائد سليمان كأول حاكم بيزنطي وإتخذ البيزنطيون قرطاجة عاصمة لهم، إلا أنهم واجهوا بدورهم مقاومة عنيفة من المور خاصة وأنّ مختلف عناصر السكان من اليهود وأتباع دوناتوس وأريوس إنقلبوا ضدهم بحرب دينية عنيفة .

وبالتالي مهما كانت مكانة الإندماج السياسي لدى الكيانات السياسية المورية التي تتضح خاصة من خلال النصوص والنقائش على النموذج الروماني، إلا أنها ظلت مرتبطة بمنطق القبيلة من خلال إستمرار التنظيمات الإجتماعية التقليدية التي تعتبر أبعد من أن تحمل الموروث الروماني بمختلف مميزاته.

الخاتمة

بعد دراستنا لموضوع المقاومة المورية ضد الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم والتطرق إلى نماذج الثورات البارزة التي قامت ضد الكيان الوندالي وسياسته في المنطقة، توصلنا إلى عدة نقاط أساسية من أهمها:

شهدت الفترة المتأخرة من الحكم الروماني لبلاد المغرب القديم، الكثير من التغيرات والأزمات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وحتى تطورات دينية غيرت وقلبت الكثير من موازين المجتمع في هذه الفترة، وكل هذا أدى إلى قلب وتغيير القوى في غرب البحر المتوسط.

يلاحظ على القرن الخامس الميلادي تطور التركيبة البشرية، وتصدر مصطلح المور جميع صفحات المصادر التي تناولت الفترة الوندالية، كما أن العديد من القبائل التي كانت تذكر خلال العهد الروماني لم يعد لها وجود أو بالأحرى غاب ذكرها في المصادر، وظهرت قبائل وكنفدراليات لم تكن تذكر أثناء العهد الروماني كلوادة على سبيل المثال لا الحصر، ناهيك عن الإمارات المورية التي بدأ تكوينها وظهورها في نهاية القرن الرابع الميلادي.

تعتبر سنة 429م منعطفاً جديداً في تاريخ بلاد المغرب القديم، وسنة مرور من أيدي المحتل الروماني إلى المحتل الوندالي، حيث نزل الوندال في شهر ماي بموريطانيا الطنجية، ومن ثمة انتقلوا إلى البروقنصلية بفضل مساعدة المور الذين عرفوهم بالطرق والمسالك التي تسهل مسيرتهم، وتمكن جنسريك من دخول قرطاج سنة 439م.

لفهم طبيعة الوندال لابد من القيام بعملية الغرلة وتمحيص المعلومات ومقارنة المعلومات خاصة ما يتعلق بكتابات بعض المؤرخين المتعصبين من رجال الدين الكاثوليك بالأخص فيكتور دي فيتا وبروكويوس وحتى كتابات بعض المؤرخين المعاصرين الذين لازالو يركزون فقط على هجوم الوندال على الكنيسة الكاثوليكية.

ساهمت العوامل الداخلية والخارجية في إرساء دعائم المملكة الوندالية ببلاد المغرب القديم، خاصة مع بروز مؤشرات حادة عجّلت من إضعاف الإمبراطورية الرومانية الغربية ببلاد المغرب القديم ما دفعها لفتح باب التعاون والإتفاق في إطار سلسلة من المعاهدات التي أبرمت بين الطرفين، مما يدل على تدعيمها لنفوذ الوندال وتقويته.

تقوية النفوذ الوندالي واتساع دائرة سيطرته ببلاد المغرب القديم، كان مرهونا بوجود ملك محنك كجنسريك نظرا لخبرته السياسية والعسكرية، ومعرفته كيفية التعامل مع المور وكسبه لتأييدهم ومساعدتهم له؛ ورغم الرفض ومحاولة التصدي لهذا الاحتلال من الإمبراطورية الغربية أو الشرقية إلا أن جنسريك استطاع إرساء دعائم مملكة ببلاد المغرب من 429 إلى 477م، غير أن خلفاؤه عجزوا عن الحفاظ على ما تمكن من تحقيقه طيلة فترة حكمه، وأثاروا ضدهم المور ودفعوهم للثورة عليهم.

انتهج الوندال ببلاد المغرب القديم سياسة امتزجت بين الحفاظ على الموروث الروماني والمحلي، ومحاولة مزجه بمقومات جديدة خاصة بهم في المنطقة، وهو الأمر الذي نلمسه في بعض المظاهر الحضارية الرومانية كاللغة اللاتينية واستعمالها في العلاقات السياسية والنظام الإداري وكذلك في مختلف التعاملات والخطابات، إلى جانب توظيف العنصر المحلي والروماني في مختلف المناصب رغم العداء الشديد، وهذا ما تجلّى خاصة في عهد الملك جنسريك، بهدف كسب الحلفاء إلى جانبه، واستمالتة للعنصر الموري وبخاصة شيوخ بعض القبائل وملوك الامارات المورية.

كانت أوضاع المور خلال الفترة الوندالية أحسن مما كانوا عليه أواخر عهد الإمبراطورية الرومانية، خاصة ما يتعلق بالجانب الإقتصادي، حيث أدى توقيف الوندال لتموين روما بالقمح وغيره من المنتجات والمحاصيل الزراعية، لتحسين المستوى المعيشي للسكان، كما أن الضرائب أصبحت أخف مما كانت عليه أيام الرومان.

كان للوندال دور حضاري ببلاد المغرب القديم وإن كان لا يرقى للدور الحضاري الروماني، فلم نلتمس أي دليل يؤكد أنهم قاموا بتدمير المعالم وحرق للكتب، أو أنهم اضطهدوا الأدباء والمؤلفين، بالرغم من محاولتهم لفرضهم بعض المظاهر الحضارية بالمنطقة.

ارتبطت السياسة الدينية للوندال واضطهادهم للكاثوليك بالسياسة الرومانية الهادفة إلى قمع الوندال ببلاد المغرب القديم، حيث لعبت الكنيسة الكاثوليكية دوراً في اتخاذ القرارات السياسية، ولذلك وقف الوندال لرجال الدين الكاثوليك بالمرصاد لإيقافهم عن ذلك وأكبر دليل على ذلك اعتراض الكنيسة الكاثوليكية على تعيين هلدريك خلفاً لهونريك لأسباب غير معروفة، مما اضطره لجمعهم وتهديدهم بالنفي في حال استمرارهم بإظهار الرفض، دون أن ننسى شراكتهم في مؤامرة 481م (التي اشتركوا فيها مع ابن أخ الملك هونريك ضد العرش)، مما يدل على أن أسباب الاضطهاد الديني للكاثوليك مختلفة وليست دينية فقط كما تحاول أن تظهرها أغلب الدراسات التاريخية.

بالرغم من الصبغة التي طبعت الدخول الوندالي لبلاد المغرب القديم ومحاولة كسب تأييد المجتمع الموري نتيجة سياسة التسامح التي اتبعتها الوندال اتجاه العناصر المحلية بالمنطقة، إلا أن ذلك لا يستبعد ولا ينفى وجود رغبة وندالية ملحة في إحكام السيطرة وبسط نفوذها في المنطقة، مما أدى إلى بروز كيانات سياسية مورية دفاعية عارضت الوندال وقاومته بعد وفاة الملك جنسريك، وقد برزت مظاهرها جليا في قيام ثورات قادتها أغلب القبائل المورية ضد الحكم الوندالي بالمنطقة، بداية من موريطانيا الطنجية واتسعت بعد وفاة الملك الوندالي هونريك شرقا حتى الأوراس وتلقى الملك ترازموند هزيمة من طرف قوات كابوون، كما سببت ثورة أنطلاس مشاكل سياسية للوندال وأطاح جليمر بالملك هلدريك، مما

عجّل من نهاية الاحتلال الوندالي ومهّد للدخول البيزنطي إلى بلاد المغرب القديم بداية من عهد جوستينيانوس والذي بدوره سوف يواجه مقاومة مورية في المنطقة.

قائمة المصادر

والمراجع

1-المصادر:

أ-المصادر العربية:

ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، تقديم تركي فرحات المصطفى، ج6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.

بروكبوس القيصري، كتاب العمائر، تر، زكريا بن سعيد، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، 2016.

حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر، محمد حاجي ومحمد الأخضر، ج1، ط 2، الرباط، بيروت، 1983.

فلقبوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية أو مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، ترجمة وتحقيق محمد الطاهر الجاربي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية العربية الليبية، 1988م.

هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر، عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي، 2001.

يوسبيانوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، القمص مرقس داوود، ط 3، مكتبة نوبراس، القاهرة، 1998م.

ب-المصادر الأجنبية:

Ammien (M), Histoire Romain, trad, Nizard(M), Firmin, didot, frères, Paris.

Cod. Theo, XVI, 5,52, éd, Mommsen (Th) et Meyer (P), Berlin, 1903.

Corippe, La Johannide, T.V-VI, trd. Alix (J), R. Tun, Organe de l'institut de Carthage, Association Tunisienne de Lettres Sciences et Arts, 1899, N^o22, 23 et 24.

Corippe, La Johannide, T.VII, trd, Alix (J), R. Tun, Organe de l'institut de Carthage, Association Tunisienne de Lettres Sciences et Arts, 1900, N^o25.

Corippe, La Johannide, T.VIII, trd. Alix (J), R. Tun, Organe de l'institut de Carthage, Association Tunisienne de, Lettres Sciences et Arts, 1901, N^o30-31.

Corippe, La Johannide, T.IX, trd. Alix (J), R. Tun, Organe de l'institut de Carthage, Association Tunisienne de, Lettres Sciences et Arts, 1902, N^o33.

Hérodote, Histoire D'Hérodote, trd, Larcher, T2, éd, Charpentier, Paris, 1850.

Isidore de Séville, Historia Wondalorum, 74, M.G.a.a, T.XI.

Jordan, Histoire des Goths, 33,173, Trd, Devillies, Paris, 1995.

Optât De Milev, De schismate Donatistarum, Libri VII, Ziwsa (C), XXVI, 1893.

Pline L'ancien, Histoire Naturelle, trd, Desakgbs (J), éd, Belles Lettres, Paris, 1980.

Polybe, Histoire Romaine, trd, Denis Roussel, éd, Gallimard, Paris, 1970.

Possidius, Vie de Saint Augustin, Vita Augusti, Trd, Plazamet (N), et Siarri Migune, Paris, 1994.

Procope, Histoire de la Guerre des Vandales, trd, Dureau De La Malle, éd, Librairie de Didot Frères, Paris, 1852.

Qudvultdeur, Sermo II, De Tempore Barbarico Latina(S), T60.

Saint Augustin, Les Lettres de Saint Augustin, découvertes par Divjak (J), coll, des études Augustiniennes, Paris.

Saint Augustin, Contra Cresconium Libiri, IV, De unico baptismo, texte de Petschenig (M), trd , Finaert (G), " Bibliothèque Augustinienne ", Paris, 1968.

Salluste, Guerre de Jugurtha, trd, Ernout(A), éd, Les Belles Lettres, Paris, 1974.

Sidoine Apollinaire, Carmina, texte établi et traduit par A.Loyen, éd, Les Belles lettres, Paris, 1961.

Strabon, Géographie De Strabon, trd, Amédée (T), T1, Librairie de Hachette (L), Paris, 1867.

Tacitus, Germany, trd, Mattingly (H), the penguin classic, 1954.

Tertullianus , Apologétique, trd, Waltzing (J.P), Paris, 1929.

Tite Live, Histoire Romaine, Trad, Lasser (E), éd, Libraire Garnier Frères, Paris, 1950.

Victor de Vita, Histoire de la persécution vandale en Afrique, trd, Lancel (S), éd, les Belles Lettres, Paris, 2002.

2-المراجع:

أ-المراجع العربية:

إسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 43.

إسكندر فايز نجيب، الحياة الاقتصادية في الشمال الإفريقي في عهد الوندال (429-534م)، اقتصاد إفريقيا في عهد الوندال، دراسات في التاريخ الاقتصادي، القاهرة، 2003.

أكبر عبد العزيز، تاريخ المغرب قبل الإسلام، الممالك المورية الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني، قراءة جديدة، 1975.

أندريشة أحمد محمد، التاريخ السياسي للمدن الثلاث، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، 1993.

أندريه إيمار، جانين أوبويه، تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، تر، فريد داغر وفؤاد أبو ربحان، مجلد 2، ط 2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1986، ص 533.
بازامة مصطفى، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، مؤسسة تواليث الثقافية.

بن غوريون يوسف، تاريخ يوسفوس، تر، زكريا بن سعيد، ط1، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، 2016.

تشارلز وورث، الإمبراطورية الرومانية، تر، رمزي عبده جرجس، سلسلة الأعمال الفكرية، القاهرة، 2003.

جنير شارل، المسيحية، نشأتها وتطورها، تر، الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، المكتبة العربية، بيروت.

جيبون إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر، محمد علي أبو درة، ج1، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

- جيفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الغفار مكاوي، العدد 137، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، 1993.
- حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى غاية وفاة يوبا الأول، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين، ج1، دار الرشاد الحديثة، 2000.
- حسين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1983م.
- الحوري محمود محمد، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995.
- خشيم علي فهمي ، نصوص ليبية، تامغناست للنشر.
- الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها، أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- ديفانيه بيبير وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، تر، أحمد عبد الباسط، مراجعة فايز يوسف، ج2، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
- رابح لحسن، الملوك النوميدي والمور، دراسة أثرية وتاريخية، مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميديية - المورية المشيدة منذ القرن 4 ق.م إلى غاية عشية الفتح الإسلامي في القرن 7م، دار هومة، الجزائر، 2004.
- روبيه دانييل، التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى، تر، سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، 1999.

- روستونزف.م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي، ج1، القاهرة.
- سعيد علي حامد، دور بعض العلماء الإيطاليين في الاكتشافات الأثرية في ليبيا، المركز الوطني للمحفوظات، 2010م.
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة البشير بن سلامة ومحمد مزالي، ط 4، الدار التونسية ، 1983.
- شارن شافية وآخرون، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي، الجزائر، 1984.
- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري، اللمس الموريطاني ومقاومة المور، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- شنيتي محمد البشير، موريطانيا القيصرية، دراسة حول اللمس ومقاومة المور ، 1990.
- شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
- شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الإحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، 2012.
- صقر أحمد، الإقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا، مدينة المغرب في التاريخ، ج 1، دار بوسلامة للنشر، تونس.
- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، 1996.

- عقون محمد العربي، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- غانم محمد الصغير، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- غانم محمد الصغير، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج 4، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 2011.
- قزال ستيفان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد التازي العودي، ج5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.
- كومبس غابريال، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
- ليتمان روبرت، التجربة الإغريقية بين حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي (880-400 ق.م)، تر، منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
- المبكر محمد، شمال إفريقيا القديم، حركة الدواوين وعلاقتها بالدوناتية (305-429 م)، ط1، الرباط، 2001.
- المحجوب عبد المنعم، معجم تانيت (معجم في الحضارة الليبية - الفينيقية في شمال إفريقيا والحوض المتوسط).
- محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف الجامعية، القاهرة، 1994.

- محمود سعيد عمران، مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف، القاهرة، 1985.
- المشرفي محمد محي الدين، إفريقيا الشمالية في العصور القديمة، ط4، دار الكتب العربية، لبنان، 1969م.
- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966.
- ناردوتشي غوليام، استيطان برقة قديما وحديثا، تر، إبراهيم أحمد المهداوي، ط1، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي.
- الناصرى أحمد علي، الإغريق، تاريخهم وحضارتهم، من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976.
- الناصرى أحمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991.
- النّجار نهى، موسوعة الأديان السّماويّة و الوضعيّة، الدّيانة المسيحيّة، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1995.
- ويل ديورانت، قصة الحضارة، م3.

ب-المراجع الأجنبية:

- Albertini (E), L'Afrique Romaine, Alger, 1950.
- Audollent (A), Carthage Romaine, 146 avant jusu-christ – 698 après jusu-christ, éd, Abert Fontenoing, Paris, 1901.
- Benabou (M), La résistance Africaine à la romanisation, Paris, 1976.
- Benseddik (N), Les Troupes auxiliaires de L'armée romaine en Mauritanie Césarienne sous le Haut empire, Alger, 1978.
- Berthier (A), L'Algérien et son passé, éd, Picard, Paris, 1951.

Bièchy (A), Saint Augustin ou l'Afrique aux Cinquième Siècle, éd, Longe barbou Frères, 1852.

Boissière (G), Esquisse d'une histoire de la conquête et de l'administration Romaines dans le nord de l'Afrique et particulièrement dans la Province de Numidie, Paris, 1878.

Cagnat (R) , l'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique saus les empereurs , T1, Paris , 1912.

Camps (F.H), L'Olivier et L'huile dans l'Afrique Romaine, Alger, 1953.

Camps (G), Berbères aux marges de l'histoire, éd expéride, Toulouse, 1980.

Carcopino (J), Aspects mystique de la Rome païenne, Paris, 1942.

Chabot (J.B), Recueil d'inscription libyque, éd, Imprimerie nationale, Paris, 1940.

Chastagnol (A), Le Bas- Empire, Paris, 1969.

Courtois (Ch), Les Vandales et l'Afrique, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1955.

De la malle (D), et Yanoski (D.J), Carthage (Afrique Ancienne), T2, éd, Fermain Didot Frères, Paris.

De la Malle(D), Algérien, Histoire des guerres des Romains, des Byzantins et des Vandales, Paris, 1858.

Décret (F) ; Fantar (M), L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, des origines au V Siècle, éd, Payot, Paris, 1981.

Decret (F), Le Christianisme en Afrique du Nord Ancienne, éd, Seuil, Paris, 1996.

Desanges (J), Catalogue des Tribus Africaine de l'Antiquité classique A l'Ouest du Nil, N⁰4, Dakar, 1962.

Diehl (Ch), L'Afrique Byzantine, l'histoire de la domination Byzantine en Afrique (533-709), éd, Ernest, Leroux, Paris, 1896.

- Dominique (A), Histoire du Christianisme en Afrique, Les Sept Premiers Siècles, éd, Kanatada, Paris, 1996.
- Ernest (M), Histoire de l'Afrique Septentrionale, depuis les temps les plus reculés, jusqu'à la conquête Française 1830, T1, éditeur Ernest Lerouse, Paris, 1888.
- Février (J.G), Histoire de l'écriture, éd, Payot, Paris, 1959.
- Fourmier De Flaix (E), L'impôt dans les diverses civilisations, t1, Librairie de la société du recueil général des lois et des arrêts, Paris, 1897.
- Gautier (E.F), Le Passé de l'Afrique, 2^{em} éd, Paris, 1952.
- Gautier (E.F), Genséric, rois des vandales, Paris, 1935.
- Gourdin (H), Genséric, Soleil Barbare, éd, Paris-Méditerranée, 1999.
- Gregory Tours, the History of Franks, Penguin, 1974.
- Gsell (S), l'Algérie dans l'Antiquité, éd, Adolphe Jourdan, Alger, 1903.
- Gsell (S), H.A.A.N, T3, Histoire militaire de Carthage, éd, Librairie Hachette, Paris, 1918.
- Gsell (G), H.A.A.N, T 4, La Civilisation Carthaginoise, éd, Librairie Hachette, Paris, 1920.
- Gsell(S), H.A.A.N, T5, les Royaumes indigènes organisation sociale politique et économique, Librairie Hachette, Paris, 1927.
- Gsell (S), Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine, mélanges Gustave Glots, T1, Paris, 1932.
- Gsell (S), Atlas Archéologique de l'Algérie, Alger, 1997.
- Hacouard (G), Guide mythologique de la Grèce et de Rome référence, éd, Hachette, Paris, 1984.
- Hadi (S), Mahjoui (A), Belkhoudja (Kh), Histoire Générale de la Tunisie, T1, l'Antiquité, éd, Sud éditions- Tunis, 2010.

- Jister (J), Les Juifs dans l'Empire Romain, Paris, 1975.
- Josèphe (F), Antiquité Judaïque, trd, Matheu (G) et Herriman (L), T 4, éd, Leroux Ernest, Paris, 1926.
- Julien (Ch. A), Histoire de l'Afrique du Nord, éd, Payot, Paris, 1969.
- Lacroix(L) , Histoire de la Numidie et des Maurétanie , des origines jusqu'à l'invasion vandale , Alger, 2004.
- Leclercq (H), l'Afrique Chrétienne, T1, Librairie Victor Le coffre, Paris, 1904.
- Leglay (M), Les religions Orientale dans l'Afrique Ancienne, Alger, 1956.
- Lepelley (C), Les Cites de l'Afrique romaine au bas- Empire, Paris, 1979.
- Lapeyre (P), Saint Fulgence de Ruspe, Un évêque Catholique Africain sous la Domination Vandale, Paris, 1929.
- Lot (F), La Fin du monde antique et le début du Moyen Age, Paris, 1927.
- Martroye (F), Genséric, la conquête vandal en Afrique et la destruction de l'empire d'Occident, Paris, 1907.
- Mesnage (J), Romanisation de l'Afrique, éd, Beauchesne (G), Paris,1913.
- Mesnage (J), Le Christianisme en Afrique, origines développements, extension, Paris, 1914.
- Modéran (Y), Les Maures et l'Afrique Romaine (IV-VIIe siècle), école française de Rome, 2003.
- Monceaux(P), Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne, depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T 1, éd, Ernest Leroux, Paris, 1901.
- Monceaux (P), Histoire Littéraire de L'Afrique Chrétienne, depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T 4, éd, Ernest Leroux, Paris,1923.
- Picard (Ch), la Civilisation de l'Afrique Romaine, éd, Plon, 1959.
- Picard (Ch), Les religions de l'Afrique Antique, éd, Plom, Paris, 1954.

Schmidt (L), Histoire des Vandales, trd, Del Medico (H.E), éd, Payot, Paris, 1953.

Simonde de Sismondi(J.C.L), Histoire de la chute de l'Empire Romain et du déclin de la civilisation, de l'an 250 à l'an 1000, T1, Paris, 1935.

Tautain (J), Les Cultes Païens dans l'Empire Romain, Paris, 1911.

Wahl(M), L'Algérie, 4^{ème} éd, Félix Alcan, Paris, 1903.

Yanoski (J), Histoire de la domination des Vandales en Afrique, éd, Fermi Didot, Paris.

3-المقالات والمجلات:

أ-المقالات والمجلات العربية:

أبو عمران الشّيح، «أغسطين العنّابي ومقاومة الحركة الدّوناتيّة» ، مجلة الأصالة، العدد 34-35، وزارة التعليم العالي والشؤون الدّينيّة، مطبعة البعث، الجزائر، 1996.

آيت عمارة ويزة، «التجارة ومواردها في إفريقيا الوندالية» ، مجلة عصور الجديدة، العدد 16-17، 2015/2014.

بشاري محمد الحبيب، « ثورة جيلدون» ، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2016.

بشاري محمد الحبيب، « أجهزة الدفاع الرومانية في السهول العليا الشرقية لنوميديا » ، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية تعني بنشر الدراسات والأبحاث في التاريخ والآثار والفنون، أعمال الملتقى الدولي، النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني، الجزء1، العدد5، 27/26 نوفمبر 2014.

- بوشارب سلوى، « أشكال التنظيمات الاجتماعية بالمغرب القديم من خلال المصادر المادية، دراسة في الأصول والتطور »، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- التازي عبد الهادي، « شمالي إفريقيا والوندال 439-534م »، المجلة التاريخية المصرية، مج11، مصر، 1963.
- حارش محمد الهادي، « اللغة والكتابة الليبية »، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 12، الجزائر، 2009.
- حارش محمد الهادي، « الجذور التاريخية لمملكة نوميديا »، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، العدد 10.
- حارش محمد الهادي، « ثورة فيرموس »، مجلة الدراسات التاريخية، العدد السابع، الجزائر، 1993.
- خالد محفوظ، « مقاومة القبائل المورية ضد الإحتلال الروماني خلال القرن الثالث »، بحث في العلاقات المورية الرومانية، مجلة الدراسات التراثية، الجزء الأول، العدد 5، الجزائر، 2014.
- خليفة عبد الرحمن، « جوانب من المقاومة الثقافية ضد الرومنة في الجزائر القديمة »، مجلة تنمية الموارد البشرية، المجلد 4، العدد 2.
- داده محمد، « ملامح من أوضاع اليهود في شمال إفريقيا خلال الإحتلال الروماني والوندالي والبيزنطي »، مجلة أبحاث في التاريخ والتراث، العدد 1، 1996.
- رحماني بلقاسم، « أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم »، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 2، جوان 2009.
- رحماني بلقاسم، « روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب أنموذجا) »، مجلة البحوث والدراسات، العدد 9، 2010.

- رمضاني أم هاني، « روما وسياسات الإصلاح: يوليوس-قيصر أغسطس - ديوقلسيانوس أنموذجاً » ، مجلة أفكار وآفاق، المجلد 6، العدد 1، 2018.
- ساحير نصيرة، «منطقة التمرکز الروماني في مقاطعة موريطانيا الطنجية خلال العهد الإمبراطوري المتأخر (284-429م)» ، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مركز كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- سليمان سعاد، قراءة في تاريخ الحضنة القديم، دراسات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، مجلد 33، العدد 2، جويلية 2019.
- الشريف علي أحمد، « المستوطنات اليونانية الباكورة في إقليم كيري » ، المجلة الليبية العالمية، العدد 15، بنغازي، 2017.
- شنيتي محمد البشير، « الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن الرابع ميلادي » ، مجلة الأصاله ، العدد 60-61، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1978.
- عبد الحفيظ عبد الله أبو لموشة، «خليج السرت في العصر الفينيقي والروماني (السكان والنشاط الاقتصادي)» ، مجلة جامعة سرت العلمية، العدد الأول، 2015.
- عبد الحميد عمران، « نوميديا أثناء الإحتلال الروماني » ، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، 2014.
- العقون أم الخير، « الموقع الإستراتيجي لـ"منطقة الحضنة" في التاريخ القديم » ، مجلة دراسات إنسانية ، جامعة وهران، عدد خاص، جوان 2012.
- عقون محمد العربي، « من أعلام المغرب القديم، القديس أوغسطين » ، مجلة الحوار الفكري، العدد 3، 2002.
- عقون محمد العربي، «اللمس النوميدي، نظرة موجزة في الخطوط والمراكز الأمامية للتوسع الروماني في الجنوب النوميدي» ، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2016.

- عقون محمد العربي، « المنطقة الأوراسية في القرن السادس الميلادي من خلال المصادر » ،
مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد6، العدد 12.
- علي كسار غدير الغزالي، « الجذور والأصول التاريخية لسكان منطقة بلاد المغرب القديم،
وموقفهم من السيطرة البيزنطية قبيل الفتح العربي الإسلامي لها »، جامعة كربلاء.
- العود محمد الصالح، «الواح ألبيرتيني ودلالاتها الإقتصادية خلال القرن الخامس
الميلادي » ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزء4، العدد8.
- قلواز خالد ولخضر سليم قبوب، « دراسة أثرية للأضرحة المورية في شمال إفريقيا، أضرحة
جبل لخضر بالجدار، تيارت » ، مجلة تاريخ العلوم، العدد 7، مارس، 2017.
- اللبار محمد، « الموقف الموري من الزحف الوندلي سنة 429م » ، مجلة كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، سايس-فاس، العدد 4، 2000.
- اللبار محمد، «الوندال بين التاريخ والوندالية » ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد3، كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المغرب، 2002.
- اللبار محمد، «الوندال، التعريف التاريخي » ، مجلة المصباحية، سلسلة العلوم الإنسانية،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، دار المنظومة، المغرب، 2007.
- لعياضي حفيضة، « مقاومة الأوراس للإحتلال البيزنطي » ، مجلة البحوث التاريخية، المجلد
4، العدد 1، مارس 2020.
- المبكر محمد، «حركة الدوارين في شمال إفريقيا في القرنين الرابع والخامس الميلاديين » ،
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، دار المنظومة، المغرب، 2016.
- محمد عبد المومن، «العنصر السوري ببلاد المغرب القديم من خلال نماذج من النقوش
اللاتينية » ، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد12، 2015.
- مسعودي أحمد، « التأثيرات الثقافية والاجتماعية للسكان الوافدين على بلاد المغرب القديم » ،
مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد1،

مقدم بنت النبي، «هيرودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم»، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015/2015.

مقدم بنت النبي، «المظاهر الاجتماعية للأسرة ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي»، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 1.

منصوري خديجة، «ثورة فيرموس»، مجلة أبحاث في التاريخ والتراث، العدد الأول، وهران، 1996.

مواس نورة، «القنانة في العصر الإمبراطوري المتأخر 285-395م»، مجلة أفكار وآفاق، العدد 10، 2017.

يحياوي سليمة، «الدراسة الموقعية في تحديد الهوية التاريخية الجغرافية للمدن الجزائرية- تلمسان أنموذجا-»، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 5.

ب-المقالات والمجلات الأجنبية:

Albertini (E), « Actes de vante du V^e siècle trouvés dans la région de Tébessa », in : J. S Janvier, 1930.

Albertini (E), « Documents d'époque vandale découverts en Algérie », in :C. R. A.I,72^{eme} Année, n^o3,1928.

Audollent (A), « La Diffusion Du Christianisme en Afrique au Sud des Territoires Soumis à Rome, Après le Ve Siècle », in: C.R.A.I , 86^{eme} Année, n^o 4-6.

Basset (H), « Les influences Punique chez les Berbères », R. Afr, T 62, 1921.

Bourgeois (C), « Les Vandales, le vandalisme et L'Afrique », in : Ant. Afr, n^o16,1980.

Cagnat (R), «L'Annone D'Afrique », in : M.A.I, Paris, 1915.

Camps (G), " Antalas ", In : In:5/Anacutas-Anti-Atlas, Aix en Provence, Edisud, Volume n^o5, En. B, 1988 .

Camps (G), " Les Numidies et la Civilisation Punique ", Ant .Afr, 1979.

Camps (G), " Qui Sont les DII mauri ? ", Ant. Afr, T26, 1999.

Camps (G), " les Bavares Peuples de la Mauritanie Césarienne ", B.S.G.O, N^o 3971.

Camps (G), " Rex gentium Maurorum et Romanorum, Recherches sur les royaumes de Maurétanie des Vie et VIIe siècles ", in : Ant.Afr, 20,1984.

Camps(G), " Ecritures-Ecriture Libyque ", En. B, T 17, Paris, 1996.

Carcopino (J) ; Courtois (Ch) ; Leschi (L) ; Miniconi (Ch) ; Perrat (Ch) ; Saumagne (Ch), " Tablettes Albertini, textes privés de l'époque vandale (Fin du V^e Siècle) ", In : J. S, 1952.

Carcopino (J), "Un empereur Maur inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès ", in : R. E. A, T46, n^o1-2, 1944.

Carcopino (J) , Leschi (L) , "Inscription d'Arris (Aurès) en l'honneur de Masties ", in : C.R.A.I, 88^{em} Année , n^o 1, 1944.

Carcopino(J), " Encore Masties l'empereur Maure inconnu ", R. afr, T100, 1956.

Chalon (M) ; Georges (D) ; Force (P) ; Griffé (M) ; Lassère (J.M), Michaud (J.N), " Mémorable factum. Une célébration de l'évergétisme des rois vandales dans l'anthologie latine ", in : Ant. Afr, n^o21 ,1985

Charlet (J.L), " Corippe (Flavius Creconius Corippus) ", in : En. B, n014, 1994.

Courcelle (P) ; "Sur quelque textes littéraires relatifs aux grandes invasions ", Revue belge de philologie et d'histoire, T31, 1953.

Demougeot (E), " Le chameau et l'Afrique du Nord romaine ", in :Annales. Economies, Sociétés, Civilisations, 15^{eme} Année, n^o2,196.

Dondin (P.M), " Recherche sur un aspect de la Romanisation de l'Afrique du Nord, l'expansion de la Citoyenneté Romaine jusqu'à Hadrien ", in: Ant. Afr, n^o17.

Dussaud (R), " Carcopino (J) - La Fin du Maroc romain ", in: Syria , T 22, 1941.

Euzennat (M), "la frontière romaine d'Afrique", in: C.R.A.I, 134^e Année, N^o2, 1990.

Février (P.A), " Masuna et Masties ", in: Ant. Afr, n^o24, 1988.

Février (P.A), " Inscriptions de Basse époque récemment Découvertes et chronologie vandale ", in : B. S. N. A. F, 1967

Gagè (J), " Christian Courtois, Les Vandales en Afrique ", in :Annales Economies, Sociétés, Civilisations, 13^{eme} Année, n^o 2, 1958.

Hamdoune (Ch) , " Ptolémée et la localisation des Tribus de Tingitane ", in : M.E.F.R, T105,n01, 1993.

Hombert (P), " Pierre Courcelle , Histoire littéraire des grands invasions Germanique ", in : Ant.Clas, T18, 1949.

Janon (M), " L'Aurès au VI^e siècle, note sur le récit de Procope ", in : Ant. Afr, n^o15, 1980.

Jezy (K), " Les invasions des Barbares sur L'Empire romain dans La perspective de l'Europe centrale et orientale ", in : Cahiers du Centre Gustave Goltz, n^o6, 1995.

Lancel (S) , " Victor de Vita, témoin et chroniqueur des années noires de l'Afrique romaine au V^e siècle ", in :C.R.A.I, 144^e année, n^o4, 2000.

Lassère (J. M), " La Byzacène méridionale au milieu de VI^e Siècle pc, d'après la Johannide de Corippus", in : Palles, 1984.

Latouche (R), " Aspect démographique de la Crise des Grandes Invasions ", in : population, 2^{eme} Année, n^o4, 1947.

Laveau (Ph) , " L'aile des thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord ", in: Ant. Afr, T7, 1973.

Le Bohec (Y), " Inscription Juives et Judaïsâtes de l'Afrique Romaine ", Ant. Afr, T17, 1981.

Lepelley (C) , " Déclin ou stabilité de l'agriculture Africaine au bas-empire à propos d'une loi de l'empereur Honorius ", in : Ant. Afr, N^o1, 1967.

Lepelley (C), " La Crise de l'Afrique Romaine au début du V^e siècle, d'après les lettres nouvellement découverte de Saint Augustin ", in C.R.A.I, 1981

Loyen (A), "Résistants et collaborateurs en Gaule à l'époque des grandes invasions ", In : Bulletin de L'Association Guillaume Budé , Lettre d'Humanité, n⁰22, Décembre 1963.

Mallon(J), Christian (C), Leschi (L), Parrat (Ch), Saumagne, " Tablettes Albertini , Actes Privé de L'époque vandal ", in : Ant. Clas , T 22, 1953.

Modèran (Y), " Iaudas (Iabdas) ", in: En. B, n⁰23, 2000.

Modèran (Y) " Corippe et l'occupation Byzantine de l'Afrique : pour une nouvelle lecture de la Johannide ",in : Ant. Afr, n⁰22, 1986.

Modèran (Y), " Cabaon ", in : En. B ,T11, 1992.

Modèran (Y), " Cusina ", in :En. B, n⁰14, 1994.

Modèran (Y), " De Julius Honorius à Corippus, La réapparition des Maures au Maghreb oriental ", in: C. R. A.I, 147, Année, n⁰1, 2003.

Modèran (Y), " La chronologie de la Vie de saint Fulgence de Ruspe et ses incidences sur l'histoire de l'Afrique vandale ", in: M.E.F.R, T105, n⁰1, 1993.

Modèran (Y), " Qui montana Gurubi Colunt", Corippe et le Mythe des Maures du Cap Bon, in: M. E. F. R , T 99,n⁰2, 1987.

Modèran(Y), " Jean Troglita ",in : En. B, n⁰25, 2003.

Monceaux (P), " Les Colonies Juives dans l'Afrique Romain ", C.T, T18, 1970.

Moniot (H), " Désange (J), Catalogue des Tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nile ", in : Annales Economie Sociétés, Civilisations, 19^e Année, N⁰ 1, 1964.

Morazzani (A) , " Essai sur la puissance maritime des Vandales ",in: Bulletin de Guillaume Budé : Lettres d'humanité, n⁰25, décembre 1966.

Morizot (P), " Pour une nouvelle lecture de l'elogium de Mastiés ", in : Ant. Afr, n⁰ 25,1989, P279.

Nautin (P), " L'introduction d'Hydace à sa continuation de la chronique d'Esèbe et Jérôme ", in : R. H, N014-15, 1984,1985, p 143-153.

Rebuffat(R) , “ Les Tribus en Maurétanie Tingitane ” , in: Ant. Afr,n⁰37, 2001.

Richardot (Ph), “La Pacification de l’Afrique Byzantine 534-546 ”,in : Institut de Stratégie Comparée, n⁰93- 96, 2009.

Rinn (L), “ Géographique Ancienne de l’Algérie : localités désignée par l’historien Procope en son récit de la deuxième expédition de Solomon dans le Djebel Aurès ”, in : R. Afr, 1893.

Rinn (L), “ Les premières royaumes berbères et la guerre de Jugurtha ”, R. Afr, T169, 1885.

Roques (D), “ Synésios de Cyrène et les migrations Berbères vers L’Orient (398-413) ”, in : C. R. A. I, 127eme Année, n⁰4, 1983, p 662.

Tauxier (H), “ Etude sur les migrations des tribus berbères avant l’islamisme ”, R. Afr, T6, 1862.

Vannier (O), “ Les Circoncellions et leur rapports avec l’église Donatiste, d’après le texte d’optat ”, R. Afr, N⁰67, 1926..

Verheijen (L), Alain-Tranoy , “ Hydace, Chronique ”, T1, Introduction texte critique, Traduction, commentaire et index.

Vitalien (L), “ Chr. Courtois, Les Vandales et L’Afrique ” in :Revue des études byzantines, T17, 1959.

Whittaker (D), “ L’importance des invasions du Bas- Empire : peut-on faire confiance aux historiens ? ”, in : Revue du Nord, T77, n⁰313, 1995.

Wolff (E), “ être Romain à Carthage sous la domination vandale ”, in :VL, n⁰163,2001.

4-الرسائل والأطروحات الجامعية:

دريسي سليم، البيزنطيون في شمال إفريقيا، الاحتلال والعمارة الدفاعية، أطروحة الدكتوراه في الآثار القديمة، إشراف محمد البشير شنييتي، جامعة الجزائر، 2007 /2008.

- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم-النشأة والتطور-(180-430م)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، جامعة منتوري، 2011/2010.
- العود محمد الصالح، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والدينية في بلاد المغرب القديم خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه إشراف محمد الحبيب بشاري، جامعة الجزائر، 2016-2015.
- عبيش يوسف، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، إشراف، محمد البشير شنييتي، 2007/2006.
- عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، منذ عصور ما قبل التاريخ إلى عشيّة الفتح الإسلامي، أطروحة الدكتوراه، إشراف محمد الصغير غانم، 2010/2009م.
- قبائلي كاهينة، الحياة الاجتماعية في المغرب القديم خلال القرن الرابع والخامس في ظل الإحتلال الروماني، الطبقات الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، إشراف، توفيق حموم، جامعة الجزائر، 2015 /2014م.
- كرتي فوزية، الدين والمجتمع بالشمال الإفريقي (180-430م)، نموذج المسيحية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، إشراف حليلة بن غازي، الرباط، 1999-1998م.
- مقدم بنت النبي، الأسرة في بلاد المغرب القديم، خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى 27ق.م-484م، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إشراف بلقاسم رحمان، 2013م/2012.
- منقاشي فاطمة، المقاومة الأمازيغية للاحتلال الوندالي والبيزنطي، إشراف حليلة غازي، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الأركيولوجي، الرباط، 2004-2003.

الفهارس

فهرس الأعلام:

—أ—

أبوليوس: 118.

أتيلا: 138، 141، 142، 173، 177.

أثنيوس: 174.

أثولف: 140.

إدوكسيا: 184، 186، 228، 230.

أذريعل: 117.

أرادابوريوس: 137.

أركاديوس: 52، 137، 136، 140، 218.

أرمفكتور: 200.

أريان مكسيمان: 146.

أريسوطيليس: 111.

إريك: 141.

أريوبيدوس: 173.

أسبار: 137، 145، 160، 170.

أسديلاساس: 277.

الإسكندر: 39.

أغريينوس: 35.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

أفیتوس: 170،

أكسیدو: 43.

أكسیل/كسيلة: 260.

ألاریك: 138، 139، 140، 141، 177.

أمالافریدا: 183، 184، 274، 275.

أمیان مارسلان: 46، 174، 175.

أنسلا: 173.

أنطلاس: 73، 74، 75، 92، 93، 94، 240، 250، 257، 258، 259، 260، 261، 266، 268،

269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 278، 279، 280، 283.

أنطونیوس: 227.

أوبیطا التیمقادی: 54.

أوبیطا المیلی: 33.

أوتروب: 52.

أوتکیانوس: 218.

أوجین: 52، 224، 227، 229، 230.

أودواكر: 130، 142، 176، 177، 222، 250، 253.

أورتیاس: 88، 90، 91، 92، 97، 244، 246، 247، 257.

أوریلیوس فلكیانوس: 109.

أولمبیوس: 138.

أیتوس: 145، 146، 147، 160، 162.

إیدمون: 75.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

إيدير: 94، 95،

إيغمان: 49، 51.

إيوداس: 90، 91، 97، 98، 247، 250، 256، 257، 258، 259، 260، 267، 278.

أيوفروتاس: 277.

بـ

باتوس: 111، 112.

باتيلاريا مينور: 109.

بازيليوس: 175.

باكا: 87.

برادسيوس: 209.

بريوس: 218

بروس: 132.

بروسبير: 147.

بشاديوس: 218.

بظلموس الأول: 106.

بليزاربيوس: 185، 235، 259، 277، 279.

بوخوس الأول: 58.

بوخوس الثاني: 58.

بودانتيوس: 265.

بول: 38.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

بولس: 33، 41، 42.

بونيفاص: 90، 124، 128، 145، 146، 147، 148، 152، 159، 160، 162، 161، 236، 249.

بييلكولا: 219.

بيكتور: 109.

-ت-

تاكفاريناس: 82.

تراجان: 17، 36، 130.

ترازمونند: 183، 184، 194، 228، 229، 230.

ترتليان: 35، 118.

ترتولوس سكابولا: 36.

تيتيوس: 142، 169.

-ث-

ثيودريك: 130، 141، 142، 168، 183، 222، 245، 274، 275.

ثيودوسيوس: 47، 48، 49، 50، 51، 52، 164، 185.

ثيودميدل: 182.

ثيودور الثاني: 173.

-ج-

جالا بلاسيديا: 137، 139، 140، 145، 146، 147، 158، 160.

جان تروجيلتا: 73، 259، 266، 267، 278.

جانزون: 231.

جرمانوس: 173.

جلاسيوس: 222.

جليمر: 184، 185، 196، 209، 214، 216، 228، 231، 273، 274، 276، 277، 283.

جنديك: 135، 136، 147، 148، 163.

جنسريك: 69، 85، 93، 98، 136، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 180، 181، 182، 183، 186، 187، 188، 189، 190، 193، 194، 195، 204، 212، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 226، 232، 235، 236، 237، 238، 239، 242، 249، 251، 252، 253، 254، 280، 282.

جوداس: 108.

جودجيزل: 182.

جوديجيل: 132.

جوستتيان: 181، 184، 185، 214، 216، 228، 231، 259، 276، 277، 284.

جوفيان: 69.

جوليان: 221.

جونثريك: 182.

جيلدون: 42، 48، 51، 52، 53، 54، 60.

-ح-

حنبل: 57، 268.

-د-

داريوس: 110.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

دوغراتوس: 220.

دوناتوس: 109، 284.

ديوس: 49.

ديوقلسيان: 20، 21، 25، 28، 29، 31، 37، 76، 201.

- ر -

روفين: 136.

رومانوس: 46، 48، 69.

رمولوس أوغستول: 176، 253.

ريجينيون: 225.

ريكيمير: 170، 172، 171، 173، 174.

- ز -

زمالك: 46.

زينون: 167، 176، 177، 224، 225.

- س -

ساباتييكوس: 108.

ساروس: 139.

سالفيان: 144.

سانت أوغسطين: 33، 105، 117، 148، 159، 160، 218، 236.

سانت فولجانس: 190، 209، 261، 269، 281، 282.

ستوتزاس: 258، 266، 279.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

ستيليكون: 51، 52، 53.

سجسفولت: 147.

سكيببو: 105، 114.

سلمون: 88، 91، 97، 244، 251، 257، 258، 259، 266، 277، 278، 284.

سيبتموس سيفيروس: 18، 19، 22، 36.

سيجرك: 140.

سيفاكس: 82.

سينيسبوس، 146.

-ص-

صدريل: 115.

-ط-

طورينوس: 33، 42.

-ع-

عليسة: 103، 104.

-غ-

غالوس: 36.

غرانتينوس: 51.

غوانثاموند: 201، 212، 217، 228، 229، 269، 282، 283.

غوانثريس: 259.

ـفـ

فارتيا: 89، 90، 91، 97، 100، 244، 246، 257.

فازير: 43.

فالنتيان: 29، 47، 52، 137، 145، 162، 163، 164، 166، 169، 172، 186، 230، 249،
250، 253.

فاليريان: 36، 220.

فراكسن: 79.

فلافيانوس: 64.

فلافيانوس: 65.

فيجيليوس ساتورنيوس: 36.

فيرموس: 42، 44، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 60، 64، 79.

فيكتور: 38.

فيمكتيوس: 48.

ـقـ

قسطنطين: 21، 31، 29، 40، 41، 251.

قنوفان: 93، 240، 250، 268.

ـكـ

كابوون: 69، 71، 72، 231، 232، 235، 260، 261، 262، 263، 265، 280، 283.

كاركسان: 250، 267، 279.

كاكليانوس: 39.

كركلا: 20، 115، 121.

كلوديان: 107.

كلوديوس: 75.

كوتزينا: 258، 267، 276، 277، 278، 279.

كومودوس: 36.

كونداليفيتوديس: 144.

-ل-

ليبيوس سفريوس: 172، 173.

ليو الأول: 169، 172، 174، 176.

-م-

ماجوريان: 167، 170، 171، 222.

مارتينيانوس: 98، 220، 238.

مارسيلينوس: 225.

مارقيان: 137، 174.

مارك أورليان: 130، 131.

ماركليانوس: 174.

مازوكا: 49.

ماستياس: 89، 90، 91، 100، 231، 244، 247، 249، 250، 251، 252، 253، 255، 256، 257.

ماستيغاس: 97، 100.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

ماستيناس: 87، 90، 91، 97، 100، 244، 247، 257.

ماسوناس: 244.

ماسينيسا: 104، 105، 114، 115، 117، 118.

ماصونا: 242، 243، 244، 245، 246، 247، 257.

ماقرال: 49.

ماكاريوس: 41، 42.

ماكسما: 222.

ماكسماس: 242.

ماكسنتيوس: 39.

ماكسيم: 52، 139.

ماكسيمليان: 26، 68.

ماكسيموس: 48.

مانسويت: 220.

مدسينيساس: 277.

مكيبسا: 118.

مونصريوس: 38، 39.

ميحي: 36.

-ن-

نبوخذ نصر: 105.

نرفا: 17.

نمفاموا: 36.

نوبل: 46، 51، 64.

- ه -

هرقل: 174، 175، 176.

هلديريك: 184، 186، 228، 230، 231، 250، 261، 272، 273، 274، 276، 283

هلديمير: 273.

همبصال، 114.

هميلكار: 268.

هوامر: 273، 274.

هونريك: 163، 168، 169، 172، 182، 183، 184، 186، 189، 190، 194، 196، 210، 214،
216، 217، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 231، 239، 246، 252، 253، 254، 256،
260، 281، 283.

هونريوس: 25، 32، 34، 52، 124، 135، 137، 138، 139، 145، 186، 188، 221.

- و -

واليا: 135، 140، 141.

- ي -

يوبيا الأول، 117.

يوحنا: 65، 71، 145.

يودكسيا: 169، 172.

يوغرطة: 82، 117.

فهرس الآلهة:

-أ-

أبللو:

أبللو: 111.

أبولو: 120.

أسكولاب: 119.

أشمون: 120.

أمون: 93، 102، 104.

إيونا: 120.

-ب-

باخوس: 120.

بالاس: 113.

بوسيدون: 113.

بوشور: 120.

-ت-

تانيت: 102، 104، 105، 106، 119.

-ج-

جويتير: 119.

جونو: 119.

-د-

ديميترا: 113.

-س-

ساتورن: 119.

سوقن: 120.

-ف-

فارسيما: 120.

فرتونة: 120.

فيترينام: 120.

-ك-

كايلستيس: 119.

كوري: 113.

-م-

ماتيلام: 120.

ماركيوس: 120.

ماكورتا: 120.

ماكورجوم: 120.

مينيرفا: 119، 120.

-ن-

نبتونس: 120.

-ي-

يهوه: 109.

فهرس الأماكن

-أ-

أبارتينا: 164، 188.

أبتينا: 38.

أبيدوم لامفكتاس: 49.

أبينسا: 221.

إثنوس: 64.

الأدرياتيك: 139.

أردليو: 53.

أزيريس: 111.

إسبانيا، 76، 103، 121، 124، 128، 133، 134، 135، 140، 141، 143، 146، 148، 154، 167،
170، 209، 213.

إشبيليا: 135.

أعمدة هرقل: 58، 87.

إفرا: 73.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

إفريقيا: 22، 39، 47، 48، 51، 52، 58، 69، 70، 73، 76، 84، 93، 94، 96، 102، 103،
106، 124، 144، 145، 146، 147، 157، 159، 167، 171، 193، 194، 214، 216، 229،
235، 236، 240، 241، 249، 260، 277.

أكطافيا: 33، 42.

الألب: 126، 127، 131، 137.

ألفتيريا: 282.

الأليان: 194.

أليكانتي، 171، 176.

الأندلس: 134.

أوتيكيا: 157.

أوتيكيا: 192.

أوتيكيا: 102، 103.

أوجيلة: 67، 68.

الأودر: 126.

الأوراس: 16، 57، 61، 81، 82، 85، 88، 89، 90، 91، 92، 97، 98، 100، 164، 190، 192،
239، 246، 247، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 260، 267، 278.

أوروبا: 124، 126، 127، 131، 132، 133، 156.

أوريس: 220.

أوستيا: 166، 169.

أوكويتانيا: 140، 141.

أولاد ميمون/ ألتافا: 94، 95، 156، 242، 243، 251.

الإبير: 143، 167، 176.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

إيطاليا: 57، 116، 121، 190، 209، 210، 228، 253.

إيليريا: 238.

بـ

باجة: 205.

باديس: 192.

باغاي: 89، 255.

بانشاريا: 48.

بانونيا: 131، 132، 137، 138، 142.

بجاية/ صلداي: 157، 204، 205.

البرانس: 133.

برقة: 60، 67، 106، 110، 262، 268.

البرمو: 163.

بروفانس: 170.

البروقنصلية: 25، 26، 64، 70، 74، 81، 106، 144، 142، 164، 188، 219، 222، 224، 226، 228، 261، 262، 275.

بلاد الغال: 121، 124، 125، 130، 134، 140، 141، 149، 163، 167، 170.

بلاد فارس: 211.

البليار: 135، 152، 165، 170، 172، 177.

بن زادة: 17.

بنازا: 59، 64، 76.

بولارجية: 205.

بوميرانيا: 131.

بيت المقدس: 105، 106.

بيتيكا: 154.

بيرتيروش: 180.

بيزنطا: 53، 141، 138، 174، 177، 214، 244.

—ت—

تازة: 155، 156.

تازولت/ لمباز: 19، 39، 48، 255.

تالة: 268، 269.

تاورة: 109.

تبسة/ ثيفيست: 37، 53، 74، 81، 82، 83، 117، 188، 189، 190، 191، 255، 268، 269.

تراقيا: 141.

ترانسلفانيا: 132.

تريتون: 113.

تترموسو: 282.

تنس/ كرطناي: 46، 47، 157.

تولوز: 140، 141.

تونس: 16، 18.

تيازة/ تافزة: 47، 48، 49.

التبير: 169.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

تيمقاد/ تموقادي: 33، 54، 192، 89، 255، 256.

-ث-

ثاموسيدا: 76.

ثيس: 132.

-ج-

جبال الأورال: 132، 136.

جبل طارق: 152، 154.

الجريد: 188.

الجزائر/ إكوزيم: 47.

جزر البليار: 135، 165، 170، 172.

الجزيرة الإيبيرية: 209.

جفارة: 19.

جليدة: 76.

جليقية: 135.

الجم/ نيسيدرا: 26، 108، 109، 200، 205.

الجميلة: 180.

جنوة: 59، 86.

جيتوليا: 189.

جيجل/ إيجيلي: 17، 46، 48، 98.

-ح-

الفضنة: 61، 89، 90، 91، 92، 97، 100، 246، 249، 257.

حيدرة/ أمادرا: 53، 269.

-خ-

خنشلة/ ماسكولة : 180.

-د-

داسيا: 121.

دالماتيا: 121.

الدانوب: 125، 126، 128، 129، 130، 132، 136، 141، 149.

دوقة/ ثقة: 205.

-ر-

راتيتيا: 132.

رافينا: 142، 181.

الراين: 125، 127، 126، 128، 129، 130، 132، 133، 141.

رودس: 176.

روزوادوا: 215.

روسب: 190، 271.

روما: 16، 17، 18، 19، 21، 22، 23، 24، 26، 28، 29، 31، 32، 33، 34، 35، 37، 38،
39، 40، 41، 42، 43، 46، 47، 49، 51، 52، 53، 54، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 64، 65،

،100 ،95 ،94 ،90 ،89 ،88 ،87 ،86 ،85 ،84 ،82 ،81 ،79 ،78 ،74 ،73 ،69 ،68 ،67 ،66 ،105 ،106 ،107 ،113 ،122 ،124 ،130 ،138 ،139 ،140 ،141 ،142 ،143 ،144 ،148 ،149 ،159 ،163،166 ،169 ،171 ،180 ،184 ،185 ،186 ،190 ،200 ،204 ،211 ،212 ،214 ،215 ،218 ،222 ،230 ،232 ،233 ،235 ،236 ،237 ،238 ،244 ،245 ،249 ،250 ،251 ،252 ،253 ،255 ،261 ،263 ،279.

ريجيا: 223.

-ز-

زريولي: 258.

زغوان: 164 ،188 ،189 ،191 ،221.

زيرزليس: 71.

-س-

سببته/ سبتيم: 154 ، 239 ، 280.

سبيطلة: 144 ، 205 ، 230.

سدزشتونز: 215.

السرت: 67، 68 ، 71 ، 85 ، 110.

سردينيا: 152 ، 163 ، 64 ، 168 ، 170 ، 172 ، 174 ، 175 ، 177 ، 193 ، 209 ، 225 ، 226 ، 237 ، 259 ، 271.

السرسو: 96.

سرقوسة: 209.

سطيف/سطيفيس: 16 ، 17 ، 48 ، 65: 77 ، 78 ، 91 ، 100 ، 108 ، 109،124 ، 157 ، 161 ، 162 ، 204.

سفر: 95 ، 96.

سفرئانا: 96.

سككدة/ روسكاد: 38، 157، 200.

السهل الكبرى: 18.

سور الغزلان/ أوزيا: 19، 46، 47.

سوريا: 102، 106، 121.

سوسة/ حضرموت: 74، 18، 85، 108، 109، 118، 204، 205، 266، 267، 275.

سوق أهراس/ تاغست: 16، 192.

سولكنوم: 276.

سليوم: 36.

-ش-

شرشال: 47، 96، 108، 195.

الشلف: 46، 47، 157.

-ص-

صقيلية: 87، 103، 128، 139، 152، 163، 164، 165، 168، 170، 171، 172، 173، 174،

176، 177، 183، 190، 193، 209، 225، 228.

-ط-

طبرقة: 53، 157.

طبنة: 246.

طرابلس/ أويا: 19، 69، 70، 175، 261، 262.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

الطرابلسية: 66، 67، 68، 70، 71، 72، 75، 85، 92، 222، 231، 235، 259، 260، 261، 262،
263، 265، 266، 267، 274، 276، 277، 278، 279، 281، 282.

طريفة/ أبوليا تراجوكتا: 154.

طنجة: 156.

-ع-

عنابة/ هيبوريحيوس: 18، 154، 157، 158، 159، 160، 162، 194، 197، 205، 218، 221.

عين غريميد: 107.

-غ-

غاليا: 142.

غاليسيا: 134، 140، 148.

غدامس: 19.

غريزة: 67.

-ف-

فركان: 180.

فزان: 67، 81، 101.

فلسطين: 102، 105، 106.

فلورنسيا: 132.

الفيستول: 126، 131.

-ق-

قادس: 280.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

قالمة/ كالاما: 159، 200، 205.

قرطاجة 38، 39، 76، 86، 87، 88، 103، 104، 105، 108، 110، 112، 113، 114، 155،
118، 119، 144، 154، 156، 159، 160، 167، 168، 171، 173، 175، 177، 180، 185،
188، 189، 195، 204، 209، 216، 224، 235، 238، 239، 266، 267، 280، 284.

قرطاجنة: 135، 152، 153، 154، 171.

قسطل/كيسة: 82.

القسطنطينية: 137، 139، 141، 142، 145، 167، 172، 175، 184، 214، 218، 224، 230.

قسطنطينة/ سيرتا: 38، 81، 89، 98، 157، 161، 165، 159، 255، 260، 261.

القصرين: 266، 268.

قفصة: 189، 220.

القل/ شولو: 205.

قورينا: 70، 72، 85، 87، 101، 106، 110، 112، 113، 174.

-ك-

كابرايكي: 220.

كابسور: 220، 221.

الكاربات: 131، 133.

كازاي نيقراي: 39.

الكاف/ سيكا: 192، 226.

كالبياريا: 170.

كامبانيا: 170، 219.

كراليس: 209.

فهرس الأعلام، الآلهة، الأماكن، القبائل والشعوب.

كورسكا: 152، 167، 170، 172، 177، 225.

كولوليس: 276.

-ل-

لاربيوس: 266، 267، 269.

لبدة/ لبيتوس ماغنة: 67، 69، 70، 108، 120، 261، 265.

لجدار: 94، 96، 97.

لوزيتانيا: 134.

ليبيا: 57، 70، 72، 111، 112، 114.

ليكسوس: 102.

-م-

مادراكيوم: 210.

مارسليا: 144، 174، 210.

ماركور: 73.

ماروش: 132.

ماسيسوليا: 87.

ماكري: 246.

ماما: 276.

ماينز: 133.

متيجة: 47.

مجردة: 73، 18، 81، 83، 204.

مداروش: 36.

المدينة القديمة/ تلبت: 261، 269، 276، 279، 282.

مروانة/ لامسبا: 16.

المزاق/ بيزاكينا: 25، 61، 70، 71، 73، 74، 75، 84، 85، 91، 92، 98، 101، 162، 164، 188،
189، 190، 191، 192، 193، 222، 228، 230، 260، 261، 266، 269، 270، 271، 272،
273، 274، 275، 276، 278، 281، 282، 283.

مسيلة: 46.

مصر: 22، 67، 70، 101، 102، 118، 119، 205، 210، 217.

المغرب القديم: 16، 18، 20، 23، 26، 30، 31، 32، 35، 36، 37، 40، 41، 43، 54، 56، 60،
61، 62، 63، 65، 66، 78، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 92، 94، 97، 100، 101، 102،
103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117،
118، 119، 121، 122، 124، 136، 139، 141، 143، 144، 147، 148، 151، 152، 153،
154، 155، 160، 161، 165، 166، 168، 169، 171، 173، 174، 176، 177، 178، 180،
181، 182، 185، 187، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 200، 204، 205، 209،
210، 211، 212، 213، 215، 216، 217، 218، 224، 225، 231، 232، 233، 235، 236،
237، 239، 240، 242، 244، 245، 251، 254، 256، 259، 261، 266، 268، 271، 275،
277، 280، 283، 284.

مكثر: 205.

موريطانيا السطيفية: 157، 162، 226، 246.

موريطانيا الطنجية: 75، 76، 77، 81، 94، 135، 153، 154، 226، 242، 280، 283.

موريطانيا القيصرية: 18، 46، 60، 61، 65، 74، 76، 78، 80، 84، 94، 95، 97، 154، 155،
170، 226، 245، 282.

موزيفيل: 282.

المونستير: 261.

-ن-

نابلس: 219.

ناتبوتسن: 64.

نوتيتيا: 216، 225.

نوميديا: 16، 18، 26، 36، 38، 39، 41، 42، 58، 60، 61، 68، 81، 83، 88، 91، 100، 106،
112، 113، 152، 158، 161، 162، 163، 164، 166، 181، 189، 191، 192، 194، 222،
223، 226، 235، 246، 261، 277، 278، 282.

نيبيس: 246.

نيمور: 154.

نيوسدروينز: 215.

-ه-

الهند: 210.

هنشير: 74، 109، 230.

هنغاريا: 132.

-و-

الواد الكبير / أمسافا: 76، 78، 147،

واد المثل: 83.

وادي بوسلام/: 17،

وليلي / فيلوبوليس: 18، 59، 76، 78، 86، 95، 108، 156، 245،

الونشريس: 94، 96.

الوهرانية: 154، 155، 156، 157، 261.

- ي -

اليونان: 177.

فهرس القبائل والشعوب:

- أ -

الأتلوز: 77.

الأثيوبين: 81.

الأجوباردي/ اللومباردين: 127.

الأرثوذكس: 163.

الأرزوقيين: 220.

الأريوس: 182، 186، 222، 223، 224، 225، 227، 228، 229، 230، 231، 134، 163.

إزفانس: 49.

الأسترياني: 66، 67، 68، 69، 70، 75، 85، 262، 274.

الأستريكس: 66، 71، 262.

الأستور: 68.

الإغريق: 57، 58، 63، 72، 87، 100، 110، 114، 113، 112، 118، 119.

الأفوراكسيس: 66، 67، 70، 262.

الأكتوماني: 98.

الآلان: 132، 133، 134، 135، 137، 140، 148، 149، 150، 170، 196، 213.

الأليمانى: 132.

الأملاكس: 66، 71، 262.

الأناكوتاس: 66، 72، 262.

الأوراسيين: 235، 247، 249، 253، 254، 255، 257، 260، 283.

الأورزوج: 238.

الأوركليانى: 66، 72، 262.

الأوطولول: 238.

إيزافلانس: 79.

إيسفلن: 79.

بـ

البسيلي: 238.

بغنسيس: 72،

البقواط: 59، 64، 76، 77، 78، 84، 243.

البوار: 76، 77، 78، 79، 80، 243.

بيتانى: 72.

البيزانتييس: 73.

البيزنطيين: 70، 72، 73، 88، 97.

بيسالين: 79.

تـ

تتدين: 49.

تيدين: 79.

-ج-

جدالة: 65.

الجرامنت: 238.

الجرمان: 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 134، 136، 137، 138، 140، 142،
173، 176، 181، 182، 186، 196، 197، 212، 213، 214، 215.
الجيتول: 19، 63، 53، 65، 81، 82، 83، 101، 120، 164، 188، 238.

-ر-

الرومان: 16، 22، 23، 59، 60، 61، 64، 65، 66، 69، 75، 77، 79، 82، 85، 88، 89، 90،
94، 100، 105، 106، 107، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122،
130، 138، 139، 140، 142، 143، 148، 149، 155، 160، 163، 170، 171، 176، 186،
187، 188، 189، 191، 193، 194، 196، 214، 217، 218، 228، 233، 237، 238، 239، 244،
245، 249، 251، 252، 255، 261، 262، 264، 277، 283، 284.

-ز-

الزويكس: 73.

-س-

السويف: 133، 134، 135، 140، 148، 149.

السيلينغ: 140.

-غ-

الغرامنت: 53، 81.

الغيزنتيس: 73.

-ف-

الفراكسيس/ الفراشيش: 73، 74، 75، 93، 268، 269، 274.

الفرنك: 149.

الفيثيين: 102، 103.

-ق-

القوط الشرقيين: 168، 132، 183، 273، 274.

القوط الغربيين: 130، 135، 133، 138، 141، 140، 149، 163، 170، 182، 274.

-ك-

الكنعان: 102.

الكوريسنسيس: 72، 73، 280، 281.

-ل-

لواتة: 67، 66، 69، 70، 75، 85، 92، 122، 262، 265، 266، 274، 281.

الليبيين: 58، 112.

-م-

ماتيداي: 17.

الماركوني: 127.

المازيس: 80.

الماسليين: 68.

الماسوناي: 80.

ماسينيسس: 78.

الماكسيس: 73.

الماكتس: 84.

المرميد: 238.

المور: 42، 47، 51، 53، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 71، 75، 78، 83، 84،
86، 87، 88، 89، 91، 93، 94، 96، 99، 100، 104، 105، 108، 120، 122، 146، 149،
156، 164، 166، 169، 178، 211، 213، 214، 216، 217، 220، 221، 224، 227، 228،
231، 232، 233، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261،
263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278،
279، 280، 281، 282، 283، 284.

الموزولامي: 81، 83.

موزيني: 92.

ميسنيسن: 49.

- ن -

الناسمون: 53، 67، 68، 69، 71، 238.

النفور: 73، 75.

النوميد: 39، 63، 64، 77، 79، 81، 82، 83، 87، 104، 112، 113، 114، 120، 238.

- ه -

الهون: 130، 132، 136، 137، 138، 142، 141، 145، 164، 167، 172، 173.

هياجواس: 69.

-و-

الوندال: 56، 60، 61، 66، 71، 73، 75، 76، 84، 85، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94،
98، 99، 122، 124، 125، 126، 126، 127، 128، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136،
137، 140، 143، 144، 145، 147، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164،
165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 180،
181، 182، 183، 184، 185، 186، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197،
198، 199، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215،
216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231،
232، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248،
249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 260، 261، 262، 263، 264، 265،
268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 280، 281، 282، 283، 284،
285.

فهرس الجداول، الخرائط والصور

فهرس الجداول:

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	توطين قبائل الأسترياني ولواتة وفقا للمصادر الكلاسيكية	70
02	فرضيات توطين زعماء المور في نوميديا وموريطانيا خلال القرن السادس الميلاد.	100
03	الفترات الزمنية والمواضيع المذكورة بالجوهانيد عن دخول الوندال لشمال إفريقيا	241

فهرس الخرائط:

الرقم	عنوان الخريطة	الصفحة
01	ثورة الدوارين	45
02	المجال الجغرافي لثورة فيرموس	50
03	موقع المعركة الفاصلة بين جيلدون وقوات ماسيزل	54
04	قبائل البوار والحلف الخماسي خلال القرن 4م حسب المصادر الأدبية والأثرية	80
05	القبائل المورية حسب بروكوب خلال العهد الوندالي	83
06	موقع مملكة ألتافا	95
07	الممالك المورية	99
08	تواجد الشعوب الجرمانية	127
09	غزو الشعوب الجرمانية للإمبراطورية الرومانية	129
10	الوندال بأوروبا سنة 406م	133
11	المسالك المفترضة أثناء الزحف الوندالي على شمال إفريقيا	158
12	الوجود الوندالي بشمال إفريقيا	165

فهرس الجداول، الخرائط والصور

فهرس الصور:

الصفحة	عنوان الصورة	الرقم
198	الحلي والمجوهرات الوندالية	01
199	نماذج من المصابيح خلال الفترة الوندالية	02
202	قطع نقدية فضية خلال العهد الوندالي	03
203	قطع نقدية برونزية خلال العهد الوندالي	04
207	لوحة متعلقة ببيع قطعة أرضية وحقل من التين سنة 493م	05
208	لوحة متعلقة ببيع عبد شاب بتاريخ 5 جوان 494م	06
243	نقيشة ألتافا للملك ماصونا	07
248	نقيشة ماستياس	08

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	كلمة شكر وعرفان
	قائمة المختصرات
أ - ذ	مقدمة
54-15	الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب القديم قبيل الإحتلال الوندالي
26-16	أولا-الأوضاع الإقتصادية
19-16	1-السياسة الزراعية
22-19	2-الوضعية التجارية
26-23	3-السياسة الضريبية
34-26	ثانيا-الأوضاع الإجتماعية
30-27	1-التباين الطبقي وأثره على مجتمع بلاد المغرب القديم
34-31	2-علاقة أرياف بلاد المغرب القديم بالدواوين
41-35	ثالثا-الأوضاع الدينية
39-35	1-إضطهاد المسيحيين
41-40	2-الإعتراف بالمسيحية وتأثيرها على الوضع الديني ببلاد المغرب القديم
54-42	رابعا-ثورات القرن الرابع الميلادي ودورها في ضرب الإحتلال الروماني
45-42	1-ثورة الدواوين
51-46	2-ثورة فيرموس
54-51	3-حرب جيلدون
122-55	الفصل الأول: التركيبة البشرية ببلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس الميلادي

فهرس المحتويات

61-56	أولا-ماهية المور
85-62	ثانيا-القبائل المورية
73-66	1-القبائل الصحراوية الطربلسية
75-73	2-قبائل إمارة المزاق
80-75	3-قبائل موريطانيا الطنجية والقيصرية
83-81	4-قبائل الأوراسيين
85-84	5-القبائل المجهولة
100-86	ثالثا-الممالك المورية
92-88	1-الممالك الشرقية
90-88	أ-مملكة الأوراس.
92-90	ب-مملكة الحضنة
94-92	2-ممالك ولاية الطرابلسية والمزاق
92-92	أ-مملكة كابوون بالطرابلسية
94-92	ب-مملكة أنطلاس بالمزاق
98-94	3-الممالك الغربية
96-94	أ-المملكة ألتافا
98-96	ب-مملكة لجدار
121-101	رابعا-الأجناس الأخرى الموجودة ببلاد المغرب القديم:
109-101	1-الأجناس الشرقية
105-102	أ- الفينيقيون
109-105	ب- اليهود
121-110	2-الأجناس الشمالية
114-110	أ- الإغريق
121-114	ب- الرومان

178-123	الفصل الثاني: الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم
147-124	أولا-ظروف ودوافع الإحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم
128-124	1- التعريف بالوندال
147-128	2-ظروف ودوافع الإحتلال الوندالي
143-128	أ-على المستوى الخارجي
147-143	ب-على المستوى الداخلي
152-148	ثانيا-التنظيم العسكري للوندال ودخول جنسريك المنطقة
150-148	1-تعداد الجيش
151-150	2-القوات البرية
152-151	3-القوات البحرية
167-153	ثالثا-مراحل الإحتلال الوندالي
160-153	1-مرحلة الزحف حتى سنة 430م
167-161	2-مرحلة المعاهدات إلى حدود سنة 477م:
177-167	رابعا-موقف الإمبراطورية الرومانية الغربية والبيزنطية الشرقية من الإحتلال الوندالي
172-168	1-موقف الإمبراطورية الرومانية الغربية
177-172	2-موقف الإمبراطورية البيزنطية الشرقية
233-179	الفصل الثالث: مدى تفاعل المور والوندال بعد إحتلالهم لبلاد المغرب القديم.
190-180	أولا-التنظيم الإداري الوندالي لبلاد المغرب القديم.
184-181	1- نظام الحكم
186-185	2-مجلس الأعيان
187-187	3-النظام البلدي

فهرس المحتويات

190-187	4-تنظيم المقاطعات
211-191	ثانيا-النشاط الإقتصادي في العهد الوندالي.
195-191	1-الزراعة
204-195	2-الصناعة
211-204	3-التجارة
208-205	أ-التجارة الداخلية
211-209	ب-التجارة الخارجية
232-211	ثالثا-الأوضاع الإجتماعية والدينية خلال العهد الوندالي
216-212	1-الأوضاع الإجتماعية
213-212	أ-طبقات المجتمع
214-213	ب- الحياة اليومية
216-215	ج- الحياة الثقافية والفكرية
232-216	2-الأوضاع الدينية
223-217	أ-في عهد الملك جنسريك (428-477م).
227-224	ب-في عهد الملك هونريك (477-484م).
232-228	ج- في خلفاء هونريك (484-533م).
284-234	الفصل الرابع : موقف المور من الإحتلال الوندالي
241-236	أولا-موقف المور من جنسريك أثناء الزحف الوندالي.
245-242	ثانيا-موقف الممالك الغربية من الإحتلال.
260-246	ثالثا-ثورات الممالك الشرقية ووقوفها أمام الزحف الوندالي
247-246	1- مملكة أورتياس
260-247	2- ثورة الأوراسيين
279-260	رابعا- ثورات ممالك ولاية الطرابلسية والمزاق
267-261	3-ثورة كابوون
279-268	4-ثورة أنطلاس

فهرس المحتويات

283-280	خامسا-مقاومة القبائل للحكم الوندالي
281-280	1-ثورة قبائل موريطانيا الطنجية
281-281	2-ثورة قبائل الكورسنسيس
283-281	3-ثورة القبائل المجهولة
289-286	الخاتمة
310-291	قائمة المصادر والمراجع
350-312	الفهارس:
322-312	الأعلام
325-323	الآلهة
338-325	الأماكن
343-338	القبائل والشعوب
345-344	الجداول، الخرائط والصور
350-346	المحتويات